مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٣٧ ، السنة الثالثة عشرة

مجلة
مجمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)

تصدر مرتين في السنة

* البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر ، وان تتوافر فيها شرائط البحث العلمي .
* يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
* البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
* يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
* تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة .
* يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

الاشتراكات

في الأردن دیناران سنوياً

في البلاد العربية ثلاثة دنانير سنوياً او ما يعادلها .

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين

المملكة الاردنية الهاشمية - عمان - ص.ب ١٣٢٦٨ هاتف ٨٤٣٥٠٠ - تلكس MAGMA -JO. 23441

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٣٧

ذو القعدة ١٤٠٩هـ - ربيع الثاني ١٤١٠هـ

السنة الثالثة عشرة

تموز - كانون الأول ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة تحرير المجلة

فهرست العدد ٣٧ لعام ١٩٨٩

الصفحة

أولًا: البُحُوث

النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي

للدكتور عبد الغني زيتوني
جامعة حلب

نستدل من أشعار كثيرة على أن العربي ربط حياته بحياة القبيلة لشعوره بضرورة هذا الربط ، بل لعله كان مضطراً إلى هذا الربط لحاجته إلى العيش حياة جماعية في تلك المرحلة من حياته . أما فيما عدا ذلك فإنه يظهر في الشعر ذا شخصية متفردة ، وذات مستقلة ، وتفكير متميز ، وذلك من خلال حديثه عن حياته الخاصة ، وعن عواطفه الذاتية ، سواء أكانت تجاه قبيلته ، أم تجاه المرأة التي يحبها ، أم تجاه أصدقائه وخصومه .

وعلى ذلك فإن الشعر يصف لنا الإنسان العربي ذا نزعتين تتجاذبانه ، نزعة جماعية نحو القبيلة ونزعة فردية تجعله متميزاً من طغيان الروح الجماعية . وقد قوى هذا النزوع الفردي ماطُبع عليه العربي من حبّ للحرية ومن إباء نفس يجعلانه عسير الانقياد والخضوع فيما يتعلق بشؤونه الخاصة ، وإن كان على النقيض من ذلك فيما يتعلق بشؤون القبيلة .

وقد عبر الشعراء أنفسهم عن ذلك التجاذب النفسي ، الجماعي والفردي ، أفضل تعبير ، فلم يقصر الشاعر في القيام بواجبه نحو القبيلة ، ملتزماً بقضاياها والدفاع عنها ، كما أنه في الوقت نفسه ، لم يغفل عن دوافعه الشخصية ونوازعه الذاتية ، فكان شأنه شأن الفنان «الذي أقر رسالة اجتماعية مزدوجة ، رسالة مباشرة تفرضها حاضرة أو رابطة أو فئة اجتماعية معينة ، ورسالة غير مباشرة تفرضها تجربة هامة بالنسبة إليه»[1] .

وقد جُلِّيت هذه النزعة لدى الشعراء في الخروج على القبيلة ، راضين عن ذلك الخروج أو مضطرين اليه ، وفي تميّزهم الفردي وبروز ذواتهم بروزاً واضحاً ، وفي موقفهم من الأفراد الآخرين الذين تربطهم بهم روابط مختلفة .

١ ـ الخروج على القبيلة :

إن الشعر الجاهلي أبان لنا عن أن الحياة الاجتماعية التي كان يحياها الانسان العربي كانت تدعوه بإلحاح إلى التمسك بالنسب الذي هو بمنزلة «الهوية الشخصية» التي تميزه من بين أفراد القبائل الأخرى ، لذلك كان عليه أن ينهض بما تمليه عليه القبيلة من واجبات وحقوق ، لينال رضاها ، ويأمن في حمايتها ، ويعيش مطمئنا في ظلال جناحيها الوارفين .

بَيْدَ أن الشعر أوضح لنا أيضاً أن العربي قد يقف ، في بعض الحالات ، موقفا مغايراً للموقف السابق ، إما مدفوعا إليه بدافع ذاتي ، ينبع من قناعة فكرية معينة ، وإما أن تضطره القبيلة إليه اضطراراً . وقد أبرز الشعراء هذين الأمرين أكثر ما أبرزوهما في حالتين ، مثلت الأولى خلاف الفرد مع القبيلة ، ومثلت الثانية خلع القبيلة له .

- أولا ، الخلاف مع القبيلة :

يرينا الشعر أن الفرد يعيش في كنف القبيلة آمناً مطمئناً ، ما دامت تمد رعايتها عليه ، وتقوم بحماية أهله ومصالحه ، غير أنه قد يحدث أن يلحق الفردَ ضيمٌ في شخصه ، أو يناله غبنٌ في حقوقه ، ثم لا تقف القبيلة معه موقفا عادلاً ، من وجهة نظره ، بل لعلها قد تقسو عليه ، وتناصبه العداء ، من غير ذنب أو جريرة جديرين بهذا العداء بحسب رأيه . عند ذلك يصوره لنا الشعر ، في أغلب الأحوال وقد ثارت نفسه سخطاً وغضباً ، وتحرك إباؤه رافضاً متمرداً ، ومضى بأهله نازحاً عن ديار القبيلة .

بَيْدَ أن ذلك كله لا يدفعه إلى أن ينسلخ من انتمائه إلى قبيلته ، ولا يجعله يخلع نسبها عنه ، لأن التخلي عن النسب يعني الضياع في أرض غير آمنة وحياة غير مطمئنة . وقد عبر عن ذلك الموقف خير تعبير عمرو بن قَمِيئة الذي أبعدته القبيلة رغماً عنه ، فعانى ماعاناه من صراع نفسي يقوم بين حبه لقومه الذين دفعوه إلى النزوج عنهم ، وبين إبائه وكرامته وعزته التي أبت عليه أن يكون هدفاً لسهام الضغينة والحقد التي يرميه بها الكاشحون ، وفي نهاية الأمر انتهى إلى قرار يرضي إباءه ويحفظ عليه انتماءه ، إنه الفراق ، فهو الأجمل للبقاء على كرامة النفس ، وعلى النسب الذي كادت أواصره تتقطع(٢) :

على أنَّ قومي أَشْقَذُوني فأصبحتْ ... دياري بأرضٍ غير دانٍ نُبُوحُها
تَنَفَّذ منهم نافِذاتٌ فَسُؤنني ... وأَضْمَرَ أضغاناً عليَّ كُشُوحُها
فقلتُ : فِراقُ الدارِ أجملُ بيننا ... وقد ينتئي عن دارِ سَوْءٍ نزيحها
على أنني قد أدعي بأبيهمُ ... إذا عَمَّتِ الدَّعْوَى وثابَ صريحُها

وعلى هذا الغرار ما حدث لزهير بن عَروة المازني ، المعروف بزهير السَّكْب ، وكان من أشراف قبيلته وفرسانها وشعرائها ، حين غاضب قومه

في شيء ذمَّه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم ، فلحقه ضيم ، وأراد الرجوع إلى عشيرته فأبت نفسه ذلك عليه ، ونازعه الشوق اليهم ، فقال يذكر ناسا من بني عمه الأقربين ، يُدعون بني خَنْبَل[٣] :

إذا اللهُ لم يَسْقِ إلاَّ الكرامَ ۝ فَسَقَّى وجوهَ بني خَنْبَلِ
فَنِعْمَ بنو العمِّ والأقْرَبُونَ ۝ لدى حُطْمَةِ الزمنِ المُمْحِلِ
ونعمَ المواسون في النَّائبا ۝ ت للجار والمُعتَفِي المُرْمِلِ
ونعمَ الحُماةُ الكفاةُ العظِيْمَ ۝ إذا غائظُ الأمرِ لم يُحْلَلِ

وقد عكس الشعر أحيانا شعور الفرد بالندم بعد أن يفارق قومه مغاضباً لهم ، وكيف يؤنب نفسه . ويطامن من غضبها، ويرى أن إباءه الذي كان يشمخ بين جوانح القبيلة لا يكاد ينهض لدى الأقوام الذين يأوي اليهم . وقد انتاب مثلُ هذا الشعور البُرْجَ بن مُسْهِر الطائي ، وكان قد خرج على قومه ، وجاور بني كَلْب زمناً فلم يحمد جوارهم ، فندم وتحسّر على ما كان من تركه لقومه[٤] :

فَنِعْمَ الحيُّ كلبٌ غيرَ أنَّا ۝ رأينا في جِوارهمُ هَنَاتِ
تركنا قومَنا من حربِ عامٍ ۝ ألا ياقومِ للأمرِ الشَّتاتِ
وأخرجْنا الأيامى من حصونٍ ۝ بها دارُ الإقامةِ والثَّباتِ
فإن نرجعْ إلى الجبلَيْن يوماً ۝ نُصالحْ قومَنا حتى المماتِ

وربما صادف الفرد في قبيلته أموراً تخالف ما اعتاد عليه من قيم وأخلاق ، وتناقض ما يختزنه في فكره من صورة مثلى لها ، فتأبى عليه نفسه أن يقبل ما ينكره ، ولو كان صادراً عن القوم الذين يمجدّهم ، ويعلي من مكانتهم ، فإذا هو يثور في وجوههم ، ويعلن خروجه على نهجهم وسلوكهم ، على شاكلة لبيد بن ربيعة الذي عبر عن نزعته الذاتية التي ترفض كل ما من أن يشوّه صورة القوم في نفسه ، وذلك في قوله[٥] :

هُمْ قومي وقد أنكرتُ منهم ... شمائلَ بَدَّلوها من شِمالي
يُغارُ على البَرِيِّ بغيرِ ظلمٍ ... ويُفْضَحُ ذو الأمانةِ والدَّلالِ
وأسْرَعَ في الفواحشِ كلُّ طِمْلٍ ... يَجُرُّ المُخْزِياتِ ولا يُبالي
أطعتم أمرَهُ فَتَبِعْتُمُوهُ ... ويأتي الغيُّ مُنْقَطِعَ العِقالِ

ويرينا الشعر أن ثمة أمراً آخراً قد يحدث للفرد فتثور نفسه سخطاً وغضباً على قومه ، وهو أن تغير قبيلة عليه ، فتغنم منه ما تغنم ، فيطلب العون من قومه ، فيجدهم يتثاقلون عن نصرته ، إما إهمالاً وتحقيراً لشأنه ، وإما ضعفاً وجبناً منهم ، وفي كلتا الحالين فإنهم قد أخلوا بحقوقه ، وقصَّروا عما تتطلبه العصبية من نصرته والاقتصاص من المعتدين عليه .

ومن ذلك ما وقع لقُريط بن أُنَيْف العَنْبَري ، إذ أغار عليه بنو اللَّقِيطة واستاقوا إبلا له ، فاستنجد قومه فلم ينجدوه ، واستنجد أقرباء بعيدين له من بني مازن فأنجدوه ، وأغاروا على بني اللَّقِيطة وأعادوا عليه أكثر من الإبل التي فقدها ، فقال يمدحهم ، ويذم قومه ، ويسخر منهم[1] :

لو كنتُ من مازنٍ لم تَسْتَبِحْ إبِلي ... بنو اللَّقِيطَةِ من ذُهْلِ بنِ شيبانا
إذاً لَقامَ بنصري معشرٌ خُشُنٌ ... عند الحِفيظةِ إنْ ذو لُوثَةٍ لانَا
قومٌ إذا الشَّرُّ أبدَى ناجِذَيْه لهم ... طاروا إليه زَرَافاتٍ ووحْدانا
لا يسألون أخاهم حين يَنْدُبُهم ... في النَّائباتِ على ما قالَ بُرهانا
لكنَّ قومي ، وإنْ كانوا ذوي عددٍ ... ليسوا من الشرّ في شيءٍ ، وإنْ هَانا
يَجزون من ظُلْم أهلِ الظلْمِ مغفِرةً ... ومن إساءةِ أهلِ السُّوءِ إحسانا
كأنَّ ربَّكَ لم يَخْلُقْ لِخَشْيته ... سواهمُ من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهمُ قوماً إذا ركبوا ... شَنُّوا الإغارةَ فرساناً ورُكْبانا

لقد كادت أواصر القبيلة تتقطع في نفس قُرَيْط ، فإن أهم ما يربطه بقومه هو التآزر والتعاضد أمام الأخطار ، وها هوذا يتعرض لها فتتخاذل

القبيلة عن نصرته ، ويُهرع إلى قوم آخرين فينصرونه ويعيدون إليه إبله وماله . فكيف تتحقق المعادلة ؟ وما الموقف الذي تتخذه النفس من قوم أذاقوها مرارة الخذلان ، ومن قوم آخرين أذاقوها حلاوة الانتصار ؟ إنها لن تنسلخ من نسبها ، ولن تتبرأ من قومها ، لكنها تمور بأمنية وتجيش بحلم أن يتبدل قومها غير القوم ، فتنبعث فيهم الشجاعة بدل الجبن ، والكرامةُ بدل الذل ، ويحتذون حذو بني مازن في نجدتهم ومروءتهم .

وعرض الشعر أيضاً لحالات يرى فيها الفرد رأياً ، ويعتقد أن فيه نفعاً للقبيلة ، فينصح لها أن تتبعه ، لكنها تقف ، لأمر ما ، موقفاً رافضاً منه وتنهج نهجا مخالفا ، فإذا النفس تعلو بصوتها في وجه القوم ، تناقش وتجادل مسوغة ما ارتأته ، غير أن صوتها لا يلبث أن يتلاشى بين أصوات الجماعة المعارضة ، فتزجر صاحبها وتحضّه على التمرد ومفارقة القبيلة ، لكنه غالباً ما يأبى عليها ذلك ، ويتركها وهي تنطوي منه على يأس ممض ، ونجد صراعاً مماثلاً نشب في وجدان عامر بن الطفيل فعبّر عنه شعرا[٧] :

ولـو أني أُطِعْتُ لكـان منّي ... لمُـدْرِكِ أَكلُبٍ يـومٌ طـويـلُ
ولكنّي عُصِيتُ وكـان جهـلا ... بهم ألاَّ يُبـالـوا مـا أقـولُ
يَلومُوني الذين تـركتُ خلفي ... ويَعصيني الـذين بهم أَصولُ

وعلى نحو مماثل نصح الكَلْحَبَةُ العُرَنيُّ قومه ، لكنهم أبو أن ينصاعوا لرأيه ، فحزّ في نفسه أن يذهب قوله هباء ورأيُه ضياعا[٨] :

أمرتُكُمُ أمري بِمُنْعَرَجِ اللِّوى ... ولا أمرَ للمَعْصيِّ إلاَّ مُضَيَّعا
إذا المرءُ لم يَغْشَ الكَرِيهةَ أوشكتْ ... حبال الهُوَيْنَي بالفتى أنْ تَقَطَّعَا

ويؤكد لنا الشعر ، في قسم منه ، أن القبيلة ، مهما أظهرت من مخالفة لرأي الفرد وتفكيره ، تبقى مشدودة إليه بأسباب متينة ، ويبقى الفرد

يحاول جاهداً أن يكبح جماح نزعته الشخصية ، مغلباً عليها ما يجده في نفسه من نزوع إلى القوم . وإذا بدر منها ما يسيء إليه عدّه أمراً عارضاً ، ورأى أنها لا تلبث أن تثوب إلى رشدها ، وتكشف ما نزل به من إساءة . وذلك الموقف الذي يقفه منها يكون مدعاة إلى فخره الذاتي ، لأنه استطاع أن يحقق الموازنة بين طموحه إلى التميز والتفرد وبين الخضوع والانقياد للقبيلة ، على الرغم من أنها ، في نظره ، غير بعيدة عن الوقوع في مزالق الخطأ والجهل أحياناً .

نجد هذه الرؤية جلية واضحة لدى عِلْبَاء بن أَرقَم اليَشْكُريّ الذي أصلح ما فسد من أمر قبيلته ، وصفح عن جهلها وضلالها ، وأنار لها طريق الهدى والرشاد ، ولم يبخل على معوزها بالعطاء[9] :

ولقد رَأَبْتُ ثَأَىٰ العشيرةِ بينَها وكفيتُ جانبَها اللُّتَيَّا والتي
وصَفَحتُ عن ذي جهلها ورَفَدْتُهُ نُصْحِي ولم تُصِبِ العشيرةَ زَلَّتي
وكفيتُ مولايَ الأحَمَّ جريرتي وحَبَسْتُ سائمتي على ذي الخَلَّةِ

وقلّما تفاقم الشر بين العربي وقبيلته حتى أدى إلى التقاتل والاحتراب ، ويبدو أن ذلك لا يحدث إلا في حالات نادرة ، كأن يُقتل قريبٌ له ، فيرفض أن يأخذ ديته ، ولأمر ما ترفض القبيلة أن يُقاد من الفاعل ، ويُقتل لقاء ما جنت يداه . حينئذ تثور ثائرة الفرد غالباً ، ويفارق ديار القبيلة ، مضمرا العداوة والبغضاء لها ، لأنه يعدّها شريكة في الجريرة ، ويحاول الانتقام منها ما وجد إلى ذلك سبيلاً . وتمثل هذه الحالة حالة بَلْعاء بن قيس الكنانّي مع قومه ، فقد أبى أن يرضى بالعقل ، ويقبل بالدية ، ويصالح من أراقوا الدماء ، وإنما آلىٰ على نفسه أن ينتقم منهم أشد الانتقام برجال أشداء وفرسان أقوياء[10] :

يقولون : خُذْ عَقْلاً وصالحْ عشيرةً فما يأمروني بالهموم إذا أُمسي
فأقسمتُ لا أنفكُّ حتى أزورَهُمْ بِقُبٍّ كأمثالِ المُجَوَّعَةِ الغُبْسِ

وبذلك كان موقف الشعراء من قبائلهم التي خاصمتهم أو ناصبتهم العداء موقفاً ، فيه إباء شديد للضيم ، ورفض قوي للذل والهوان ، وقد برزوا من خلال أشعارهم أفرادا معتزين بأنفسهم ومفتخرين بكبريائهم . بَيْدَ أن ثمة أمراً جديراً بالاهتمام ، وهو أن الشاعر ، مهما تقلّبت به أمور القبيلة وأحوالها ، ومهما خالفته في آرائه ، أو تقاعست عن نصرته ، أو ناصبته العداء ، يظل متصلا بأرومتها ، ومعلناً أن آصرته وشيجة فيها ، وأنه فرع من غصنها .

- **ثانيا ، الخليع** :

إذا كنا لا نكاد نجد في الشعر فرداً يعلن أنه تبرأ من نسب قبيلته ، أو أنه خلع انتماءها عنه ، في المقابل ، نجد إشارات كثيرة فيه ، تنطوي على أن القبيلة هي التي كانت تتبرأ من بعض أفرادها ، وتعلن خلعها لهم ، مما يؤدي إلى ضعف رابطتهم العصبية بها ، وظهور ذواتهم ظهوراً مميزاً تجاهها .

وقبل أن نبحث في الأشعار التي عرضت للخليع والخلع لا بد لنا من إيضاح صورتهما في الحياة الجاهلية ، إذ كان شائعا فيها أن تخلع القبائل أفرادها ، وذلك إذا وجدت أنهم غير جديرين بالانتساب إليها ، أو غير مؤهلين لأن تربطهم بعصبيتها . ولا تسلك هذا السلوك إلا إذا اضطرت إليه اضطراراً ، ورأت أنها لم تعد قادرة على تحمل المسؤولية تجاه الفرد الخليع ، وخاصة إذا كانت جرائره كثيرة ، ينوء كاهلها بحمل تبعاتها ، وتخشى أن تخوض بسببها معارك مع قبائل أخرى لا طاقة لها بها .

وكانت صورة الخلع تتم بأن تعلن القبيلة ذلك على رؤوس الأشهاد ، وتنادي بخلعه في المواسم ، لكي يعلم العرب جميعا أنها بريئة من أية جناية يرتكبها ، أو أية جريرة يقوم بها ، وهذا ما كانت تفعله قريش ، إذا كانت تكلف منادياً ينادي بأعلى صوته عن خلع الخليع ، وقد

يكتبون كتاباً يحفظونه عندهم ، أو يعلقونه في مكان عام ليقف عليه الناس . أما ما يقال عند الخلع فقد ورد أنهم كانوا يقولون : «إنا خلعنا فلانا فلا نأخذ أحداً بجناية تجنى عليه ، ولا نُؤاخَذُ بجناياته التي يَجنيها»[11] .

ومعظم أولئك الخلعاء اتخذوا من الصعلكة نهجا لهم ، فالتقوا بذلك مع أولئك الذين ترفّعت القبائل عن إلحاقهم بنسبها من جراء شائبة تعترى أصولهم ، أو لسواد أتاهم من أمهاتهم اللواتي غالباً ما كنَّ من الإماء الحبشيات ، وقد دُعيَ هؤلاء الذين أتاهم السواد من أمهاتهم بالأغربة[12] ، فكانوا جميعاً يتكتلون في جماعات ، ويغيرون على القبائل وقوافلها ، فيغنمون ما يغنمون ثم يعودون لائذين بالجبال والشعاب ، قد جمعتهم وحدة الدفاع عن النفس بعد أن فقدوا وحدة الدم ووحدة الانتماء .

ولاريب في أن الحياة ضمن مجتمع قوامه القبيلة لم تكن تيسّر للخليع أن يعيش في معزل عن الجماعة التي تقوم مقام القبيلة ، وخاصة إذا علمنا أن ثمة حاجة ملحة تدفع الضعفاء ، في مجتمع كالمجتمع الجاهلي يعتمد على القوة وأسبابها ، إلى التكتل والتجمع ، بغية إشباع غرائز مكبوتة لديهم ، تلتمس السيطرة عن طريق التكثر والتعدد .

وقد يسعى الخليع أحياناً للالتجاء إلى قبيلة أخرى طلباً لحمايتها والعيش في جوارها ، وكان بعض العرب يجير هؤلاء الخلعاء ، ويفخر بإجارته لهم ، لأن ذلك دليل على شرفه ونبله ، فضلاً عن شجاعته وقوته ، لما تتطلبه تلك الإجارة من حصانة وحماية تجاه أقوام ، قد يكونون ذوي قوة وعدد ، يطالبون بالخليع لجرائره فيهم ، وجناياته عليهم . وبلغ ببعض الأشراف الأمرُ أن جعل منزلاً خاصاً ينزل به أولئك الخلعاء فيضحون في جواره وحمايته ، كما كان من شأن الزُّبير بن عبد المطلب الذي كان له بمكة مكان خاص ينزل فيه الخلعاءُ[13] .

وقد ظهر من الخلعاء شعراء عبروا عن صدق مشاعرهم وعظيم امتنانهم تجاه من أجاروهم بعد طرد قبائلهم لهم . وكان من أبرز هؤلاء قيس بن الحُدادِيَّة الذي تبرأ منه قومه بنو خُزاعة وأشهروا خلعه بسوق عكاظ ، فلجأ إلى جوار بني عدي بن عمرو ، فآووه ، وأحسنوا إليه ، فقال يمدحهم ، واصفاً مروءتهم وشجاعتهم . ومقامَهم لديه مقام الأهل والأقرباء[١٤] :

جزى اللهُ خيراً عن خليعٍ مُطَرَّدٍ ... رجالاً حَمَوْهُ آلَ عَمرِو بنِ خالدِ
فليس كَمَنْ يغزو الصديقَ بنُوكِهِ ... وهمَّتُهُ في الغَزوِ كَسْبُ المَزَاوِدِ
وقد حَدَبَتْ عمرو عليَّ بعزِّها ... وأبنائها من كلِّ أروعَ ماجدِ
مَصاليتُ يومَ الرَّوْعِ كَسْبُهُمُ العُلا ... عِظامُ مقيلِ الهام شُعْرُ السَّواعدِ
أولئك إخواني وجُلّ عشيرتي ... وثَروتُهم والنصرُ غَيْرُ المُحارِدِ

وشبيه بهذا ما كان من شأن شَيْبان بن دِثَار النَّمَرِيِّ الذي صوَّر لنا تصويراً بارعاً ما كان من طرد قبيلته له وخلعها إياه ، لجرائره فيها وجناياته عليها ، مما جعله طريداً مشرداً ، تتناوشه الهموم والأحزان ، فيبيت ليلة في أرق وسهد ، حتى إذا ما آواه الزِّبْرِقَان بن بدر ، ونشر عليه جناح الحماية والرعاية ، طابت نفسه ، واطمأن قلبه ، لأنه وجد فيها نعم المجير ونعم المغيث :[١٥]

فَمَنْ يـك سائـلاً عنّي فإنّي ... أنـا النَّمَريُّ جـار الـزِّبْـرِقَـانِ
طـريدُ عشيـرة وطريـد حربٍ ... بما اجترمتْ يدي وجنى لساني
أبيتُ الليل أرقُبُ كلَّ نجمٍ ... حَلَلْتُ على المُمَنَّعِ من أَبانِ
إلى بيت الأكـارم من مَعَـدٍّ ... مَحَـلاً بيِّنـاً لِمَنْ ابتـغـاني

أمّا إذا استمر الخليع بارتكاب الجنايات ، في جوار القوم الذين التجأ اليهم ، فإنهم عندئذ يخلعونه هم أيضاً ، ويرفعون عنه حمايتهم ، ويعلنون ذلك على الملأ . ومصداق ذلك أن البَرَّاص بن رافع الكِنانيّ كان

قد خلعه قومه ، ونبذوه ، فالتجأ إلى جوار بني سَهْم ، «فعدا على رجل من هُذَيل ، فقتله ، فجاء بنو هُذَيل إلى بني سَهْم يطلبون بدم صاحبهم ، فقال بنو سَهْم : قد خلعناه وتبرأنا من جرائره ، فقالت هُذَيل : من يعرف هذا ، قال العاص بن وائل : أنا خلعته كما يُخلع الكلب ، فسكت الهُذليُّون ، ولم يروا وجه طلب»[١٦] .

وهذا الخبر يدلنا على الحالة السيئة التي يؤول إليها الخليع ، فحين يتبرأ منه قومه يضحي شريدا ، ينتقل في أحياء العرب بغية الحصول على جوار قوم ، فإذا حصل عليه فإن النظرة إليه تظل نظرة ازدراء ، ويظل جواره مرتبطا بأوهى الأسباب التي سرعان ما تنقطع أمام أية تجربة له .

ولئن كنا نرى في الشعر أن الذي ينتمي إلى أصل عربي عريق يناله مايناله من الذل والإهانة والتشرد ، إننا لنرى فيه أيضاً أن الخليع من أغربة العرب كان يحس بوطأة أشد وأقسى ، ويشعر بمرارة الخلع شعوراً متفاقماً .

ولعل السُّلَيْك بن السُّلَكَة قد عبَّر لنا عن تلك الحالة حين صوَّر موقف فتاة كانت قد أعرضت عنه لما رأت من سواد بشرته ، ولما علمت من ضآلة نسبه ، وتخلي قومه عنه ، ورنت ببصرها إلى فتيان يزهون بجمالهم وحسنهم الوضاء ونسبهم العريق ، وتناست ما له من قوة وشجاعة تفوقان ما عند الآخرين[١٧] :

أَلَا عَتَبَتْ عليَّ فصارَمَتْنِي وأعجبها ذَوُو اللِّمَم الطِّوالِ
فإنِّي يابنةَ الأقوامِ أُربِي على فعل الوَضِيِّ من الرجالِ
فلا تَصِلِي بصُعْلُوكٍ نَؤُومٍ إذا أمسَى يُعَدُّ من العَيالِ
ولكنْ كلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ بنَصْلِ السيفِ هاماتِ الرجالِ

وإزاء الموقف السلبي الذي يقفه القوم والأفراد الآخرون من الخليع

أو الصعلوك ، يحاول في كثير من الأحيان ، أن يستبدل الشجاعة والبأس ، وخوض المهالك ، والتحلي بالمكارم ، بما وصم به من وصمة الخلع والطرد . وربما كان في قول تأبّط شرّاً ما يدل على هذه الرغبة(١٨) :

لكنّما عِوَلي ، إن كنتُ ذا عِوَلٍ   على بصير بكَسْب الحَمْدِ سبَّاقِ
سبَّاقِ غاياتِ مَجْدِ في عشيرتهِ   مُرَجِّعِ الصوتِ هَدّاً بين أرْفَاقِ
عاري الظَّنَابِيْبِ ، مُمْتَدِ نواشِرُهُ   مِدْلاج أدهَمَ واهي الماءِ غَسَّاقِ
حمَّال ألويةٍ ، شَهَّادِ أنـديةٍ ،   قَوَّالِ مُحْكَمَةٍ ، جَوَّابِ آفاقِ

فهو إذا أراد أن يأسى ، ويحزن ، ويبكي ، فإنما يفعل ذلك لأجل من يتصف بتلك الخلال الحميدة ، ويسعى جاهداً لاكتساب المعالي والأمجاد . وأغلب الظن أن تأبط شراً يرسم بهذه الأبيات لوحة لطموحة هو وشجاعته وسجاياه الفاضلة ، يغيب فيها ما اعتدنا عليه من فخر بالنسب إلى القبيلة ، والاعتداد بالانتماء إليها ، بل انه ليضاهي أقرانه ذوي النسب الصريح ، ويسبقهم إلى ارتياد الأمجاد .

هل نبالغ إذا قلنا بعد ذلك : إنه وجد البديل للقبيلة في هذه الشخصية التي يطمح أن يكونها ؟ وإنه وجد فيها ما يعوضه من حماية القوم ورعايتهم ، حين بث فيها من صفات الشجاعة والبطولة والفتوة ما يجعلها تمنع ذاتها ، وتجعل حياتها ملائمة لحياة الجاهلية بقسوتها وأخطارها ؟ بل إننا لانعدو الحق إذا عمَّمنا حالة تأبط شراً على معظم الشعراء الصعاليك الذين كادت أشعارهم تخلو من الإلحاح على ذكر النسب والفخر به ، كما هو معهود عند سائر الشعراء .

أما موقف الشاعر من قبيلته بعد خلعها له ، فإنه كان موقف الناقم الذي يتحيّن سانحة ينقضّ فيها للثأر منها ، والانتقام لِما لحقه من ضيم وإهانة ، ولعل في أخبار قيس بن الحُدادِيَّة خير دليل على ما ذهبنا اليه ، إذ يروى أنه ما كادت القبيلة تخلعه ، وتتبرأ منه بسوق عكاظ ، حتى شرع في

جميع شذّاذ من العرب ، وفتاك من الذين خلعتهم القبيلة أيضاً ، وأغار عليها بهم ، فقتل منهم من قتل ، وغنم إبلا ومالا[١٩] .

وقلّ أن نجد من الشعراء الخلعاء من يبقى محبّاً لقومه ، ميالاً إليهم ، على الرغم من طردهم له ، كما هو الشأن لدى السُّلَيْك بن السُّلَكَة الذي كان يتجنب الإغارة على قبيلته ، بل إنه كان في بعض الأحيان ، يحذّرها من إغارة الأعداء عليها[٢٠] .

وهكذا نجد أن الشعراء صوروا لنا الإنسان العربي في موقفه من القبيلة حريصاً كل الحرص على الأواصر التي تربطه بها ، حتى إنه لايتبرأ منها ، ولا يخلع نسبها عنه ، وان غبنته في حقوقه ، أو قست عليه ، أو سامته ظلما ، وناصبته عداء ، ولكنهم صوّروه أيضاً أبيّ النفس ، لاينام على ضيم القبيلة ، ولا يسكت عن هوانها ، فسرعان ما ينزح عن ديارها ، وينأى بعيداً عن منازلها ، وقد يبلغ به الأمر أن يتمرد عليها ، وينبذ طاعتها .

بيد أن صورة الانسان في الشعر تبدو مغايرة في حالة خلع القبيلة له من نسبها ، وطردها إياه بعيداً عن حماها ، إذ يظهر ساخطاً عليها حينذاك سخطا كبيراً ، يجعله ، في كثير من الأحيان ، ينقلب عدواً ، يغير عليها ثائراً منتقماً ، لأنها ، بخلعه ، سحبت منه الجنسية القبلية ، وتركته بلا هوية يعرف بها ، وفي هذا مافيه من تأثير في حياته ضمن المجتمع القبلي ، ومن تأثير في نفسه ذات النوازع الفردية المستقلة .

٢ ـ التميّز الفردي :

إذا كان الإنسان العربي قد رفع قبيلته إلى الذروة في البأس والشجاعة والسجايا الحميدة ، وكاد صوته يتلاشى في صوت الجماعة ، فإنه في كثير من الأحيان شمخ بنفسه وتطاول بها حتى جعلها في منزلة تضاهي منزلة القبيلة ، إذ لم يدع صفة من صفات البطولة والفتوة إلاّ

ألصقها بها ، ولا خصلة من خصال النبل والشرف إلاّ جعلها مزّية من مزاياها .

ومن يتصفح الشعر الجاهلي يجده زاخرا بفخر الفرد بنفسه ، وإعلاء مكانتها ، ورفع شأنها غير أن هذا الفخر يتفاوت بين شاعر وشاعر ، فواحد ينخفض صوته حتى لا يكاد يبين ، وآخر يلعلع صوته مدوّيا حتى لا يُسمع أيُّ صوت سوى صوته .

وما يهمنا في هذا المجال هو الإشارة إلى ذلك الفخر الذي ينزع فيه الفرد إلى إبراز الذات وتضخيمها وإعلاء صوتها ، حتى ليطغى أحياناً على صوت الجماعة . ولنا في معلقة طرفة بن العبد خير شاهد على ماينبغي الإلماع اليه ، إذ إنّنا لا نجد فيها إلاّ نشيداً يتغنى بذات صاحبها ، في حزنها على الأطلال الدارسة ، وفي إشادتها بالفتوة والبطولة والخلال الحميدة ، وأخيراً في نظرتها المميزة إلى الحياة والموت .

وذلك كله يُعبَّر عنه بلغة ذاتية لا نرى فيها إلا ضمير المتكلم ، أو ما يعود إليه ، مما يجعل أبيات المعلقة مفعمة بروح طرفة ، والمعاني تدور في فلكه ، فلا نجد صوتاً غير صوته ، ولا رؤية غير رؤيته . فلا علينا بعد ذلك أن نعزو إليه تضخم الذات وطغيانها على كل شيء ما عداها ، ولنأخذ مثالا على ذلك[٢١] :

أنا الرجلُ الضّربُ الذي تعرفونه ... خَشاشٌ كرأس الحَيّةِ المُتوقّدِ
فآليتُ لا ينفكُ كَشحي بِطانَةً ... لِعَضبٍ رقيقِ الشَّفرَتَينِ مُهَنَّدِ
فإنْ مُتُّ فانعيني بما أنا أهلَهُ ... وشقّي عليّ الجَيبَ يابْنَةَ مَعبَدِ
ولا تجعليني كامرىءٍ ليس همّته ... كهمي ولايُغني غنائي وَمشهَدي
بَطيءٍ عن الجُلى سريعٍ إلى الخَنا ... ذليلٍ بأجماعِ الرِّجالِ مُلهَّدِ
فلو كنتّ وَغْلا في الرجالِ لضَرني ... عداوَةُ ذي الأصحابِ والمُتَوَحِّدِ
ولكن نَفى عني الأعاديَ جُرأتي ... عليهم وإقدامي وصدقي ومَحْتِدي

لعمَـركَ ما أمـري عليَّ بغُمَّـةٍ نهاري ولا ليلي علي بسَرَمَدِ

إنّ القبيلة لا تغيب عن أبصارنا ، إنها موجودة نلمسها بأيدينا ، فهو موجود بين المجموع ، لكن الذي غاب حقّاً هو صوتها ، فقد تلاشى هباء ولم يبق إلا دويّ نفس متوثبة بذكائها وفتوتها . لقد صغرت الجماعة وتضاءلت بعد أن طغت عليها فردية الشاعر التي لم تر في الآخرين إلا شخصها وسجاياها وخلالها ، واختصرت الحياة فلم تعد إلا حياة واحدة تدور رحاها حول محور واحد هو محور الشاعر .

وعلى هذا الغرار من الفخر الذاتي وطغيان الروح الفردية ما نجده في معلقة عنترة بن شداد الذي كان مشغولا بعواطفه تجاه محبوبته ، ومهتما بخوض المعارك والحروب ، فعلا صوت الحب والحماسة في قصيدته على كل صوت ، وكأنه حين شعر بوهن العصبية القبلية التي تشده إلى قومه ، لِما يعترى أصله من ضعف برز في سواده ، حاول أن يسد الفراغ بقوته وشجاعته ، فإذا شعار القبيلة في الحرب وصيحتها قد تحول من المناداة باسمها إلى المناداة باسمه هو[٢٢] :

لمَّا رأيتُ القوْم أقبل جَمعُهم يَتَذَامَرون كَرَرتُ غَيْرَ مُـذَمَّمِ
يدعون عنتـرَ والرِّمـاح كأنهـا أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهمِ
مـازلتُ أرميهم بغُـرَّةِ وجهـه ولَبَـانِهِ حتى تسـربَلَ بـالـدَّمِ
ولقد شفى نفسي وأبرأ سَقْمها قِيلُ الفوارسِ : ويكَ عنترَ أَقْدِمِ

ولئن كان العربي يستظل بحماية القبيلة ، ويلجأ لائذاً بقوتها ، ويفتخر بتلك القُوة ، ويغلوا أحياناً فيجعل منها أشد القبائل بأساً وهيمنة ، لقد كان أيضاً يفخر ببطولته وشجاعته وذوده عن حياض القبيلة وحماها . ولا نغلو إذا قلنا إنه في بعض الأحيان كان يزعم أن قومه يستظلون بحمايته ، ويأوون لائذين بقوته ، ليدفع عنهم بأس الأعداء .

وقد زعم ذلك الزعم قُطبة بن الزِّبَعْرَى ، فهو لم يقتصر على حماية القبيلة فقط ، وإنما ذاد أيضاً عن مواليها ومن لاذ بجوارِها[٢٣] :

حَمَيْتُ القَوَم قد علمتُ مَعَدٌّ   وَمَنَ للقوم من مولى وجارِ
حَبَوْتُ بها قُضاعَةَ إنّ مثِلي   حَقيقٌ أنْ يَذُبَّ عن الذِّمارِ
ولستُ كمن يُغمّزُ جانباه   كغمز التينِ تجنيه الجواري

وعلى نحو مماثل نجد في الشعر صوت عامر بن الطفيل مدويا ، يفخر بإفراد جناحيه على قبيلته ورعايتها وصونها من اعتداء المعتدين وأذى الطامعين[٢٤] :

إنّي وإنْ كنتُ ابن سيّدِ عامرٍ   وفارسَها المندوبَ في كلِّ موكبِ
فما سوَّدتّني عامرٌ عن وراثةٍ   أبى اللهُ أنْ أسمُوْ بأمٍّ ولا أَبِ
ولكنّني أحمي حِماها ، وأَتَّقي   أذاها ، وأرمي مَنْ رماها بمَنْكِبِ

إذا فليست الوراثة هي التي سوّدته ، وليست مجاملة القبيلة لشرف للآباء والأجداد هي التي جعلته سيداً لها ، وإنما شخصيته المميزة ، وشجاعته الفائقة ، وشمائله الحميدة ، هي التي صيرته قائداً ، يذود عن حمى القبيلة ، ويرمي أعداءها بسهام بأسه وشدته .

ويرينا الشعر أن الفخر بالنفس قد يبلغ ، أحياناً ، أقصى الغايات ، فيجد الشاعر أن ذاته تمور بأماني وأحلام تكاد تتجاوز الواقع محلقة في أجواز الخيال ، بَيْدَ أنها تتمثل في ذهنه بالسمو والرقي وبلوغ الأمجاد ، كما يبدو التعبير عنها جلياً لدى العبَّاس بن مِرداس حين قال[٢٥] :

أنا الرجلُ الذي حُدِّثْتَ عنه   إذا الخَفِراتِ لم تَسْتُر بُرَاها
أَشُدُّ على الكتيبة لا أبالي   أَفيها كان حتفي أم سواها؟
ولي نفس تتوق إلى المعالي   سَتُتلفُ أو أُبَلِّغَها مُناها

ألا يحق لنا أن نقول إن الشاعر قرن وجوده بالمعالي والأمجاد ، ورأى أن عليه إدراكها ونيلها ، وإلا فالأحرى به أن يموت ويتلاشى في غياهب العدم .

وعلى ذلك نجد أن شعراء كثيرين أبرزوا ذواتهم متميزة ، ففخروا بسجاياها وخلالها ، واعتدّوا بقوتها وفروسيتها ، كما عبَّر بعضهم في شعره عن منازع شتى انفعلت بها نفسه ، وعن طموحات وأماني رغبت في تحقيقها . وذلك كله يبيّن لنا أن الروح الجماعية لم تكن تمنع النزعة الفردية من أن تظهر بين حين وآخر لدى الإنسان العربي .

٣ ـ الموقف من الأفراد :

إذا كانت نزعة الإنسان الفردية قد أظهرها لنا الشاعر جلية في تمرده على القبيلة ، وفي فخره النفسي ، فإنه يظهرها لنا أيضاً في مواقفه من الأفراد الآخرين وعلاقاته الشخصية بهم ، بعيداً عما تقتضيه العصبية القبلية ، وعما يتطلبه الانتماء إلى القوم . ولعل تلك المواقف والعلاقات وما تثيره من مشاعر شتى وأحاسيس متنوعة في نفس الشاعر قد برزت في الشعر أكثر ما برزت في حبه للمرأة ، وفي نظرته المثالية إلى الصديق ، وفي سخطه الشديد على الخصم .

ـ أولا ـ المرأة المحبوبة :

من يبحث في الشعر الجاهلي يجده زاخراً بالغزل الذي يعبّر عن ميل الشاعر إلى فتاة قد أسرته مفاتنها ، ورهنه جمالها ، وبهرته محاسنها ، فإذا هو حريص على عرض المفاتن والمحاسن والجمال في دقة وتفصيل ، وربما كان حرصه على رسم تلك الأوصاف الحسية يعود إلى رغبته في التدليل على أنها جديرة بأن يقف فنه الشعري عليها ، وأن تأخذ من غزله ونسيبه النصيب الأوفر .

ولا ريب في أن الشاعر الجاهلي لم يكن دائما يتغزل بمحبوبة معينة ، أو ينسب بفتاة معروفة ، يمحضها الودّ والصفاء ، وإنما كان يجري ، أحياناً ، على تقليد فني سار عليه الشعراء من قبله ، ولهذا وجدنا حرارة الحديث في الشعر ترتفع حينا حتى يسعر ضرامه ، وتنخفض في أحايين حتى تذوى وتنطفى وتتلاشى في ألفاظ موشّاة ، عارية من أي إحساس ، وبريئة من أي شعور .

ونحن ، في هذا المجال ، نبحث عن تلك المواقف التي تعكس ذاتية الفرد بكل حرارتها وصدقها تجاه المحبوبة ، لنستطيع من خلالها أن نتبيّن شخصيته المتفردة ، وأن نستطلع نزوعه الذاتي المميز . وسنجد أن ذلك جلّي خاصة في حديث الشاعر عن عواطفه تجاه المرأة مباشرة ، وفي حديثه عن طيفها الذي يلازمه في حلّه وترحاله .

فمن الشعراء الذين بدت عواطفهم تجاه المحبوبة حارة مميزة المرقّش الأكبر حين باح للفن الشعري بما يكنّه قلبه ، وبما تخفيه جوارحه من هيام شديد ، وحبّ جارف ، ينزعان به نحو أسماء التي تيّمته بهواها ، وشغلت نفسه بغرامها[٢٦] :

أغالُبكَ القلبُ اللجوجُ صَبابةً ... وشوقاً إلى أسماءَ أم أنت غالبُهْ
يَهيمُ ولا يَعيا بأسماءَ قلبُهُ ... كذاكَ الهوى إمرارُهُ وعواقِبُهْ
أَيُلْحَى امرؤ في حب أَسماءَ قد نأى ... بغَمز من الواشين وازوَرَّ جانِبُهْ
وأسماءُ هَمُّ النفس، إن كنتَ عالماً، ... وبادي أحاديثِ الفؤادِ وغائبُهْ
إذا ذكرتْها النَّفْسُ ظِلْتُ كأنَّني ... يُزَعزُعُني قَفْقَافُ وِرْدٍ وصالِبُهْ

ويكاد الأعشى يقترب من المرقّش في بعض أحاديث الغزل الكثيرة ، وذلك حين يعرض عن الغوص والتدقيق في أوصاف الجسم ، ليعبّر عن منازعه الذاتية ومشاعره الوجدانية ، من ألم العشق ، وأسى الهيام وحرارة القلب وصبابته[٢٧] .

وقد يصور الشاعر ماينتابه من مشاعر عندما تعصف رياح الفرقة بينه وبين محبوبته ، كما هو الشأن لدى قيس بن الحُداديَّة الذي فجأه رحيل محبوبته «نعم» فانبرى يرسم لوحة شعرية ، مضمنا إياها ما شعر به من هموم وأحزان ، وما تعاور قلبه من لوعة وأسى ، وما انتابت عيونه من عبرات حرّى لوشك البين وألم الفراق[٢٨] :

وما خِلْتُ بَينَ الحيِّ حتى رأيتُهمْ   بِبَيْنُونةِ السُّفلَى وهَبَّتْ سوافِعُ
كأنَّ فؤادي بين شَقَّين من عَصا   حِذارَ وقوعِ البَيْن والبَيْنُ واقعُ
يَحُثُّ بها حادٍ سريعٍ نَجَاؤه   وَمُعْرًى عن الساقَيْن والثَّوبُ واسِعُ
قلتُ لها : يانُعْمُ حِلِّي مَحَلَّنا   فإنَّ الهوى ، يانُعْمُ ، والشَّملُ جامِعُ
فقالتْ ، وعيناها تَفِيضانِ عَبْرَةً :   بأهلي بَيِّنْ لي متى أنت راجِعُ؟
فقلتُ لها : تاللهِ يَدري مسافرٌ   إذِا أضمرتهُ الأرضُ : ما اللهُ صانعُ؟
فَشَدّت على فيِها اللثامَ وأعرضتْ   وأمعنَ بالكُحْل السّحيقِ المَدامِعُ
وإنّي لعهدِ الوُدِّ راعٍ وإنَّني   بوصلكِ ، مالم يَطْوِني الموتُ ، طامِعُ

ويبيّن لنا الشاعر في موطن آخر من شعره أن قلب الفرد يظل عالقا بأسباب الهوى ، إذا ماشطّ المزار بالمحبوب ، وشحطت به الديار ، وتظل النفس تنزع نحوه صبابة وتلهفا ، كلما عنَّ ذكره في الخيال[٢٩] .

ولعل ذات الشاعر تضحي أشد بروزاً ، في هذا المجال ، حين ترفض أن تخضع خضوعا تاما للمرأة المحبوبة ، وكذلك حين تطالبها بأن تقف موقفا يحقق رغبات الشاعر من العلاقة القائمة بينهما ، وذلك على غرار ما نجده لدى المُثقِّب العبديّ في موقفه من صاحبته عندما همّت بالفراق[٣٠] :

أفاطِمُ قبلَ بَينِكِ متِّعيني   ومنعُكِ ما سألتكِ أن تَبِيني
فلا تَعِدي مواعدَ كاذباتٍ   تمرُّ بها رياحُ الصيفِ دوني
إذاً لَقَطَعتُها ولَقلتُ : بِيني   كذلك اجتوى مَنْ يَجْتوِيني

ويؤكد لنا عدد من الشعراء أن النزوع الفردي نحو المرأة المحبوبة يظل حاراً قويا ، على الرغم من فراق الشاعر لمحبوبته ، وامتناعه عن مشاهدتها ، ذلك أن علاقته الحميمة بها تجعل المخيلة تورد على الذهن ذكريات الأمس الحافلة باللقاءات ، فإذا طيف الحبيب يحوم مرفرفا في الحُلم ، وإذا الشاعر أحياناً ، لا يكاد يميّز بين الخيال والواقع .

ومصداق ذلك ماصوّره لنا المرّقش الأصغر في شعره من مجيء طيف محبوبته إليه في النوم ، حتى إنه التبس عليه الأمر ، وظنّ الحُلم حقيقةً ، ووصال الخيال واقعاً محسوساً(٣١) :

أَمِنْ بنتِ عَجْلانَ الخيالُ المُطَرَّحُ ... أَلَمَّ ، وَرَحِلي ساقطٌ مُتَزَحْزِحُ
فلمَّا انتبهتُ بالخيال وراعَني ... إذا هو رَحْلِي والبلادُ تَوَضَّحُ
ولكنَّه زَوْرٌ يُيقِّظُ نائما ... ويُحدثُ أشجاناً بقلبك تَجْرَحُ
بكلِّ مبيت يَعتَرينا ومنزلٍ ... فلو أنَّها إذْ تُدْلِجُ الليلَ تُصبحُ
فولَّت وقد بَثَّتْ تباريحَ ماتَرى ... ووجدي بها إذْ تُحْدِرُ الدَّمعَ أَبْرَحُ

لقد نبَّه طيف الحبيب الشاعر فثار به وثار عليه، فقد رغب فيه لأنه خيال المحبوب وصورته ، ورغب عنه لأنه خيال باطل سريع الزوال ، وكم تمنى لو أنه استمر حتى الصباح جسداً يلمسه ويعانقه ، إنه قد أهاج شوقه الساكن ، وأضرم وجده الخامد ، وذكّره بساعة الفراق ، فانبثق الجرح بالدم ثانية .

وشبيه بذلك ما فعله الطيف بطرفة بن العبد حين قطع البيد والمفاوز اليه فهيّج حبه وأشجانه(٣٢) ، وكذلك ما أحدثه خيال سلمى بالمُرقِّش الأكبر بين أصحابه الهجود(٣٣) . أما سويد بن أبي كاهل اليشكري فكان إذا اعتاده خيال المحبوب امتنع عليه النوم ، وبقي ليله كله مسهداً أرقاً(٣٤) . وكان الشعراء تجاه طيف الحبيب ما بين راضٍ به سعيد بقدومه ، وبين ساخط عليه ، لأنه زور باطل يبعث الأشجان ، ويسعر نيران الحب الخامدة(٣٥) .

فموقف زهير بن جَناب الكلبي من الطيف كان موقف الراضي به ، فقد تلقاه متلهّفا مرحّبا ، لأنه حظي بلقاء من غير موعد ، على بعد الديار وشحط المزار . وعلى الرغم من أنه كان متعجبا من قطعه المفاوز والفلوات فإنه أسرع إلى اغتنام زمن اللقاء والعيش لحظة الاتصال ، فإذا الحلم يختلط بالواقع ، وإذا الخيال يصبح شخص المحبوب مجسداً ، فيبتسم له ويرد على تحيته ، ويكاد الشاعر يغيب في نشوة الوصال الحقيقي ، لولا أنّ المحبوب قد ابتعد سريعا ، وقطع الحلم ، وترك أمنية الوصال عالقة بنفس الشاعر(٣٦) :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى ذا الخيالُ المُورِّقُ ... وقد يَمِقُ الطيفَ الغريبُ المشوَّقُ
وأنّى اهتدتْ سَلْمَى لوجهِ محلِّنا ... وما دونها من مَهْمَهِ الأرضِ يَخْفِقُ
فلم ترَ إلاّ هاجعا عند حَرَّةٍ ... على ظهرها كُورٌ عتيقٌ ونُمْرَقُ(٣٧)
فلما رأتني والطّليحَ تبسَّمَتْ ... كما انهلّ أعلى عارضٍ يتألّقُ
فَحُيّيتِ عنّا زودينا تحيَّة ... لعلَّ بها العاني من الكَبْلِ يُطْلَقُ
فردَّتْ سلاما ثم ولَّتْ بحاجةٍ ... ونحن لَعَمْري يابنةَ الخير أشوقُ
فياطِيبَ ماريًّا وياحُسْنَ منظرٍ ... لهوتُ به لو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

وقد عبّر مالك بن حريم الهمدانّي في شعره أيضا عن الرضا بخيال المحبوب ، وعن أمنيته في أن يكون حقيقة ينعم بوصاله(٣٨) .

وبذلك نجد أن الشعراء عبروا لنا عن موقف الإنسان الذاتي من المرأة المحبوبة ، فصوروا لنا مايجيش في النفس من مشاعر الحب والهيام ، وما يعتريها من ألم البعد وحسرة الفراق ، مبينين أن طيف المحبوبة يبقى ملازما الذهن ، ومستحوذاً على الخيال ، بسبب تلك العاطفة القوية التي تشدهما إليها .

ـ ثانيا ، الصديق :

إنّ أبرز مظاهر النزوع الفردي ، كما نتبيّنه من الشعر ، هو موقف الإنسان العربي من الصديق ، سواء أكان من القبيلة أم من غيرها . ويبدو ذلك النزوع واضحا لدى الشاعر حينما نراه يرسم صورة مثلى للإنسان الذي يتخذه صديقا ، فإذا هو الإخلاص عينه والوفاء ذاته ، يعادي من يعاديه ، ويسالم من يسالمه ، وإذا ألمَّ به سوء ، أو حاق به مكروه ، حنا عليه مواسيا ، وماسحا الدموع ، ومانحا الأمل الوضاء . ولعل لنا في قول ربيعة بن مقروم الضَّبِّي أفضل تعبير عن تلك الصورة(٣٩) :

أخوك أخوك مَنْ يدنو فتدنو ... مودَّتُهُ وإنْ دُعي استجابا
إذا حاربتَ حاربَ مَنْ تُعادي ... وزادَ سلاحُهُ منك اقترابا
يُواسي في الكريهة كلَّ يومٍ ... اذا ما مضْلِعُ الحَدَثانِ نابا

ويرى بعض الشعراء أن سعي الصديق لعون صاحبه لا يقتصر على الخطوب والملمات ، وإنما يكون سعيه أيضاً في السلم والرخاء ، وهذا ما كان من رؤية امرىء القيس الذي وجد في صديقه الخليل والرفيق ، والسامرَ والنديم ، والساقيَ والمفاكهَ ، كما وجد فيه خلالا نبيلة ، وشمائل فاضلة ، تجعله كريم العطاء ، برّاً بالأصدقاء ، وفيّا لهم وفاء ما بعده وفاء(٤٠) :

لَعَمْرُكَ ماسَعْدُ بخُلَّةِ آثِم ... ولا نَأنَأ يومَ الحِفاظِ ولا حَصِر
يفاكِهنا سَعدٌ ويغدو لجمعنا ... بمَثْنى الزِّقاقِ المُتْرعاتِ وبالجُزُرْ
لَعَمْري لَسَعْدُ حيث حَلَّتْ ديارُهُ ... أحبُّ إلينا منك مافَرَسٍ حَمِرْ
وتعرفُ فيه من أبيه شمائلا ... ومن خالِهِ ومن يزيدَ ومن حُجُرْ
سماحة ذا وبرَّ ذا ووفاءَ ذا ... ونائل ذا ، إذا صحا وإذا سَكِرْ

ويبدو أن النزعة الفردية نحو الصديق لدى الشاعر تغدو أكثر وضوحا وجلاء حينما تتخطّفه المنيّة ، وتنتشله من بين إخوانه ، وتترك صاحبه ملتاع

الفؤاد ، محزون النفس ، باكي العين على نحو مانجده لدى أبي خِراش الهُذَليّ الذي فقد خليله ، فهلع قلبه حزنا وألما ، وتفجرت العبرات من عينيه لوعة وأسى ، فلمّا شحّت ونضبت ردفتها الدماء بكاء ونشيجا ، ونهشت الهموم والأحزان الجسم فصيرّته هزيلا ضئيلا ، وانحنت على العظم فرقّ ووهن ، وقد زاد في الحسرة عليه واللوعة له أنه مات في شرخ الصبا وعنفوان الشباب ، فانقطعت العلاقة به مبكرة ، وغابت صحبته في زهوها وغضارتها(٤١) :

أَرِقْتُ لهمٍّ ضافني بعد هَجْعَةٍ ... على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السَّجْمِ
إذا ذَكَرَتْه العينُ أغرقَها البُكا ... وتَشْرَقُ من تَهْمَالها العينُ بالدَّمِ
فباتتْ تَراعي النَّجْمَ عينٌ مريضةٌ ... لِما غالَها واعتادَها الحُزْنُ بالسَّقْمِ
وما بعد أَنْ قد هدَّني الدَّهرُ هدةً ... تَضَالَ لها جسمي ورقَّ لها عَظْمي
أتتْهُ المنايا وَهْوَ غَضٌّ شبابُه ... وما للمنايا عن حِمَى النفسِ من عَزمِ

وذهب بعض الشعراء إلى أن الأصدقاء لاتصفو من تهم دائما ، فقد تبدّلهم الأيام وتغيّر من سجايهم وخلالهم ، فيُظهرون خلاف مايبدون ، مما يجعل الإنسان يقف منهم موقف المتردد الشاك ، متسائلا : أهم أحباب خلان أم إنهم قد ارتدوا ثوب الرياء والنفاق ؟ وذلك كله يَظهر لدى الشاعر نزعةً ذاتية خالصة ، تنبعث من نفس حائرة تهفو إلى معرفة حقيقة الصديق معرفة تامة .

وآية ذلك ما نجده لدى سُوَيْد بن صامت الذي تكونت لديه رؤية خاصة من تجربته مع الأصدقاء ، عبّر عنها في قوله(٤٢) :

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقا ، ولو تَرى ... مقالتَه في الغيبِ ساءكَ ما يفري
مقالتُهُ كالشَّهدِ ما كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغْرَةِ النَّحْرِ
يَسُرُّكَ باديـهِ وتحت أَديمـهِ ... نَمِيمَةُ غِشٍ تبترِي عَقَبَ الظَّهْرِ
تُبينُ لك العينانِ ما هو كاتِمٌ ... من الغِلّ والبغضاءِ بالنَّظَرِ الشَّزْرَ

وكان المُثَقِّب العبدي قد رفض الغوص في متاه الحيرة ، وأبى الترجّح بين الشك واليقين تجاه الصداقة ، ولم يقبل حداً وسطاً فيها ، فإمّا صداقة خالصة بريئة من الرياء والنفاق ، وإمّا عداوة جلية تدفعه إلى الحذر ، اتقاء للشر ودفعاً للأذى[٤٣] :

فـإمَّـا أنْ تكـونَ أخي بحقٍ   فأعرفَ منك غَثِّي من سَمِيني
وإلا فــاطَّــرِحْني واتَّـخـذْني   عــدوّاً اتَّـقـيــكَ وتـتَّـقِيـنـي

وقد يقف الشاعر موقفاً أقل حدة من الموقف السابق ، فيرى أن الخلق الكريم والسجايا الفاضلة تحتم على المرء أن يظل محافظاً على ود الصديق ، مهما تغيرت به الأحوال ، لأن المعوَّل عليه هو لا الصاحب في الإبقاء على الصداقة خالصة نقية ، على نحو ما عبر عنه حاتم الطائي حين قال[٤٤] :

اللهُ يعلُم أنِّي ذو محـافـظةٍ   ما لم يَخُنِّي خليلي يبتغي بدلا
فـإنْ تَبَـدَّلَ ألفـاني أخـائِقَـةٍ   عَفَّ الخليقةِ لانِكْسا ولا وكِلا

ولعل أغلب الشعراء في حديثهم عن الصداقة والصديق لم يكونوا يتعدون عن المواقف السابقة ، فكان أبو دواد الإيادي يرى رأي حاتم الطائي في الصداقة ، فهو يحافظ عليها في أحواله كلها ، حتى إنه يؤثر صديقه بالماء في حالة الظمأ ، ويغدق عليه بالأموال ، ويرفعه إلى المكانة العليا في حالتي الأمن والسلم[٤٥] . بيد أن سلامة بن جندل كان يقترب من موقف المُثَقِّب تجاه الصديق ، فهو ، على الرغم من تحمله لصديقه ، ومايبدر عنه من حقد وعداوة ، لا يرضى لنفسه أن يخدع الصاحب أو أن يخادعه ، فيبادر إلى المجاهرة ومباداة الشر بمثله[٤٦] .

وفضلاً عما مر بنا فقد حفلت داووين الشعر الجاهلي بمديح الشعراء الذي يعبر عن موقف الشاعر من الممدوحين : إمّا إعجاباً ذاتياً بهم ، وإمّا

تسجيلاً لمآثر قاموا بها ، وإمّا رهبة وخوفاً من بطشهم ، وإمّا رغبة في نوالهم وعطاياهم . ولنا في دواوين النابغة وزهير والأعشى خير مثال على ذلك . بيد أننا اهتممنا ، في هذا المجال ، بالمواقف التي تبرز فيها ذات الفرد بروزاً مميزاً ، نلمح فيها شخصيته المتفردة بسماتها الواضحة وخصائصها البيّنة ، بعيداً عن أية مؤثرات أخرى ، كأن يمدح الشاعر عرفانا لجميل أسداه الممدوح للقبيلة ، أو رغبة في المكافأة والعطاء ، أو توقياً لشر متوقع منه ، وفي معظم تلك الأحوال يكون موقف الفرد غالباً موقفاً آنياً أو محدداً بوقت معين ، بخلاف الموقف من الصديق الذي يمتد إلى زمن طويل ، قد يشمل العمر كله .

ـ ثالثا ، الخصم :

إذا كان موقف الشعراء من الأصداء يُعَدُّ مجلىً للنفس ونزوعها الذاتي لديهم ، فإن موقفهم من الخصوم يعدُّ مظهراً آخر لذلك النزوع ، يمثّله مايندفعون إليه من هجاء لأولئك الخصوم ، سواء أكانوا من القبيلة أم من غيرها ، وسواء أكان ثمة عداء وحروب بينهم وبين خصومهم أم لم يكن ، لأن الشاعر غالباً ما يعبر ، في هذا المضمار ، عن شعور شخصي وإحساس فردي تجاه الخصم .

ولاريب في أن الشعر هو السلاح النافذ الذي ما إن يطلق حتى تسعى به الركبان ، ويتجاوب صداه في أحياء العرب ومجالسهم وأسواقهم ، ولهذا كان وقع الهجاء في نفس الخصم شديداً ، ووخزه لها أليماً . فإذا ما وقعت الواقعة ، ولحقت بالشاعر إساءة شديدة من امرىء ما ، فإنه يتميز غيظاً ، ويفور حنقاً ، ويصرخ في نفسه الغضب ، فإذا هو قد أخذ للأمر عدته ، وتهيأ للتعبير عما يجيش في داخله بألفاظ وتعابير لا تقل شأناً عن اللعنات التي تحيق بالمرء ، فتصيبه بضروب من الأذى والشرور .

فمن ذلك ما كان من أمر الأعشى مع عُمَيْر بن عبد الله الذي ناصبه عداء ، وراش له سهاماً من الأكاذيب والافتراءات رماه بها ، فثار سخط الشاعر وانبرى يرد الكيد بكيد مثله ، مصوّرا ما كان منه من عداء لاسبب له إلاّ الحقد والضغينة ، مما أثر في نفسه ، وجعله يقسم أغلظ الأيمان ليصِمَنَّه بهجاء ينال منه نيلاً ما بعده نيل ، ويجعله يندم ندما شديداً على ما فرّط في جنب الشاعر(٤٧) :

أراني بريئاً من عُمَيْر وَرَهطِهِ ... إذا أنت لم تَبْرأْ من الشَّرِّ فاسْقَمِ
إذا مـارآني مقبلاً شـامَ نَبْلَهُ ... ويرمي ، إذا أدبرتُ ظهري ، بأسهُمِ
على غير ذنبٍ غيرَ أنَّ عداوةً ... طَمَتْ بكَ فاستأخِرْ لها أو تقدَّمِ
وكنتُ إذا نفسُ الغَوِيِّ نوت به ... صَقَعْتُ على العرنِينِ منه بِمِيسَمِ
حلفتُ بربِّ الرَّاقصاتِ إلى مِنًى ... إذا مَخْرَمٌ جاوَزْنَه بعد مَخْرَمِ
لئنْ كنتَ في جُبٍّ ثمانين قامةً ... ورُقِّيتَ أسبابَ السماءِ بسُلَّمِ
لَيَسْتَدْرِجَنْكَ القولُ حتى تَهِرَّهُ ... وتعلمَ أنِّي عنك لستُ بمُلجَمِ
وتَشْرَقَ بالقولِ الذي قد أذَعتَهُ ... كما شَرِقَتْ صَدْرُ القناةِ من الدّمِ

وشبيه بهذا ما فعله ربيعة بن مَقْروم بخصمه ، الذي كان يغلي صدره بمراجل العداوة والبغضاء له ، فصده عنه ، ووسمه بسمة من الذل ، ظلت لاصقة بجبينه، تدل عليه أبدا(٤٨) :

وألَدَّ ذي حَنَقٍ عليَّ كأنما ... تَغْلي عَداوةُ صدرِه في مِرْجَلِ
أرْجَيْتـهُ عنِّي فـأبصـرَ قَصْـدَهُ ... وكَوَيْتُهُ فوقَ النواظرِ من عَلِ

فلا غرابة بعد ذلك أن بعدَّ العربي الهجاء وصمة تلحق العار بمن تُلصق به ، بل هو دنس ورجس يلطّخان سمعة المهجو ، فلا يستطيع إزالتهما وتطهيرهما ، مهما حاول ذلك . ويبدو أن هذا ما اعتقده زهير بن أبي سلمى في هجائه للحارث بن وَرْقاء الأسدي الذي أغار عليه ، واستاق

غلاماً له وإبلاً ، مما أثر في نفس الشاعر تأثيراً كبيراً ، دفعه إلى إشهار سلاحه الشعري متهدداً متوعداً[٤٩] :

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ مِنكم بداهيةٍ   لم يَلْقَها سُوقَةٌ قبلي ولامَلِكُ
فارْدُدْ يساراً ولا تَعنف عليه ولا   تَمْعَكْ بعِرضكَ إنَّ الغادرَ المَعِكُ
تَعَلّمَنْ ها ، لعمرُ اللهِ ، ذا قسماً   فاقصِدْ بذَرْعِكَ وانظرْ : أينَ تنسلِكُ
لئن حَلَلْتَ بجَوٍّ من بني أسدٍ   في دينِ عمرو وحالت بيننا فَدَكُ
ليـأتينَّـكَ منّي مَنْـطِقٌ قَـذَعٌ   باقٍ كما دنَّسَ القُبْطِيَّةَ الوَدَكُ

إذاً فإنه التهديد والوعيد والنذير بالشر النازل ، يُجلّى في موقف الشاعر الذاتي من الحارث ورهطه ، وذلك في حالة الاصرار على العداوة وإبقاء الغلام يَسار في الأسر ، فلن يسلم العرض من الأذى ، ولن يسلم الشرف من الغمز به ، يؤكد ذلك يمينٌ مغلظة بالله إنه لن يفلت من أن تصيبه قارعة من الشاعر ، وأن تناله سهام الهجاء ، فتلطخه دنساً ورجساً ، ولن ينجيه منها اختفاؤه بَفدَك ، ولا احتماؤه بالملك عمرو بن هند .

فالشاعر غالباً لا يسكت على خصم ، وإنما يقف منه موقف النِدّ للندّ ، فيساجله الخصومة بخصومة مماثلة ، والعداوة بعداوة شبيهة ، ووسيلته المجدية إلى ذلك فنّ القول الذي يتخذه سلاحاً فتاكاً ، لِما للشعر من أهمية في حياة الجاهليين ، ولما له من أثر في نفوسهم ، جعلت بعضهم يبكي ألماً من وقع الهجاء عليه[٥٠] . وذلك كله يدل على إحساس مفرط لدى الإنسـان العربي جعله يتأثر بكل ما ينال سمعته وشرفه وعرضه من إهانة ، وليس أسوأ من كلمات فيها من المثالب ما فيها ، تتناقلها الألسن على شفاه لا همَّ لها إلاَّ شدو الأشعار .

ولا شك في أن دواوين الشعر الجاهلي تنطوي على كثير من النصوص الشعرية التي تشابه النصوص السابقة ، وكلها تعكس مواقف

الشعراء الذاتية من خصومهم ، وانفعالهم بما يرميهم به أولئك الخصوم من نبل الحقد والعداوة ، ومن ثَمَّ تعبيرهم عن ذلك الانفعال بفنهم الشعري الذي يتخذ أداة فعالة لدرء مبغضيهم والحاقدين عليهم . وقد رأينا آنفاً أنهم عبّروا به أيضاً عن ميولهم الشخصية وعواطفهم الذاتية تجاه محبوباتهم حينا ، وتجاه أصدقائهم حينا آخر .

وهكذا أظهر لنا الشعر الإنسان العربي ذا شخصية مميزة في علاقاته الاجتماعية ؛ فصوَّره خارجاً على القبيلة ومتمرداً عليها حيناً ، ومفتخراً بذاته ومُعلياً من شأنها حيناً آخر ، كما أبرز نزوعه الذاتي حين بيّن مدى حبه وهيامه بالمرأة ، ومدى تعلقه بالصديق الوفي ، ونفوره الشديد من الخصم المبغض .

الحواشي والمصادر والمراجع

(١) ضرورة الفن : ص ٥٧ ، لانست فيشر ، طـ بيروت .

(٢) ديوان عمر بن قميئة : ص ١٩ ـ ٢٠ ، تح د. حسن كامل الصيرفي ، ط القاهرة ١٩٦٥ .

(٣) الأغاني : ٢٧٠/٢٢ ، لأبي الفرج الاصبهاني ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

(٤) الحماسة : ٣٥٩/١ـ٣٦٢ ، لأبي تمام ، شرح المرزوقي ، تح أمين وهارون ، ط القاهرة ١٩٥١ .

(٥) ديوان لبيد بن ربيعة : ص ٩٤ ، تح إحسان عباس ، ط الكويت ١٩٦٢ .

(٦) الحماسة : ٥/١ ـ ١١ ، شرح التبريزي ، ط بولاق ١٢٩٦هـ .

(٧) ديوان عامر بن الطفيل : ص ٩٩ ، رواية ابن الأنباري ، ط بيروت ١٩٦٣ .

(٨) المفضّليّات : ص ٢٣ ، للمفضل الضّبيّ ، شرح الأنباري ، ط بيروت ١٩٢٠ .

(٩) الأصمعيات : ص ١٦٢ ، للأصمعي ، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٧ .

(١٠) حماسة البحتري : ص ٩ ، تح كمال مصطفى ، مصر ١٩٢٩ .

(١١) لسان العرب وتاج العروس : مادة (خلع) .

(١٢) القاموس المحيط : مادة (غرب) .

(١٣) الشعر والشعراء : ٣٨٨/١ ، لابن قتيبة ، تح أحمد محمد شاكر ، ط القاهرة ١٩٦٦ .

ى١٤) الأغاني : ١٥٣/١٤ ، طـ المؤسسة المصرية العامة .

(١٥) النقائض : ٧١٤/٢ ، لأبي عبيدة ، مصور عن طبيعة ليدن ، ط بيروت .

(١٦) المحبّر : ص ١٩٥ ، لابن حبيب ، تح إيلزة ليختن شتيتر ، ط الهند ١٩٤٢ .

(١٧) الكامل : ٤٦٠/٢ ، للمبرد تح زكي مبارك ، ط القاهرة ١٩٣٦ .

(١٨) المفضليات : ص ١٣ ـ ١٥ .

(١٩) الأغاني : ١٤٥/١٤ .

(٢٠) خزانة الأدب : ٣٤٦/٣ ، للبغدادي ، تح عبد السلام هارون ، ط القاهرة ١٩٦٧ .

(٢١) شرح القصائد العشر : ص ١٤٨ ـ ١٥٦ ، للتبريزي ، تح د. فخري الدين قباوة ، ط حلب ١٩٧٣ .

(٢٢) المصدر نفسه : ص ٣٠٩ـ ٣١٣ .

(٢٣) من نُسب إلى أمه من الشعراء (نوادر المخطوطات) : ٨٦/١ ، لابن حبيب ، تح عبد السلام هارون ، ط القاهرة ١٩٧٢ .

(٢٤) ديوان عامر بن الطفيل : ص ١٣ .

(٢٥) الحماسة الشجريّة : تح الملوحي والحمصي ، ط دمشق ١٩٧٠ .

(٢٦) الاغاني ، ١٣٤/٦ ، ط دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠ .
(٢٧) ديوان الأعشى الكبر : ص ١٢٩ ، تح محمد محمد حسين ، ط القاهرة ١٩٦٠ .
(٢٨) الأغاني : ١٥٨/١٤ .
(٢٩) الاختياران : ص ٢٢٢ ، للأخفش الأصغر ، تح د. فخر الدين قباوة ، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ .
(٣٠) ديوان المثقّب العبدي : ص ١٣٦ - ١٤١ ، تح د. حسن كامل الصيرفي ط القاهرة ١٩٧١ .
(٣١) المفضليات : ص ٤٩٤ .
(٣٢) ديوان طرفة بن العبد : ص ٦٨ - ٦٩ ، تح علي الجندي ، ط القاهرة ١٩٥٨ .
(٣٣) المفضليات : ص ٤٦٠ .
(٣٤) المصدر نفسه : ص ٣٨٤ .
(٣٥) طيف الخيال : ص ٥ - ٦ ، للشريف المرتضى ، تح د. حسن كامل الصيرفي ، ط القاهرة ١٩٦٢ .
(٣٦) الأغاني : ٢٥/١٩ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .
(٣٧) الحرّة : أراد بها هنا الناقة .
(٣٨) الأصمعيات : ص ٦٣ .
(٣٩) الحماسة : ٥٤٣/٢ ، شرح المرزوقي .
(٤٠) ديوان امرىء القيس : ص ١١٢ - ١١٣ ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .
(٤١) شرح أشعار الهذليين : ١٢٢٣/٣ ، تح عبد الستار أحمد فراج ، ط القاهرة .
(٤٢) السيرة النبوية : ٤٢٦/١ ، لابن هشام ، تح السقا والأبياري وشلبي ، ط مصر ١٩٥٥ .
(٤٣) ديوان المثقّب العبدي : ص ٢١١ .
(٤٤) ديوان حاتم الطائي : ص ٧٤ ، ط بيروت ١٩٦٣ .
(٤٥) الحماسة البصرية : ٤٣/٢ ، لصدر الدين البصري ، تح مختار الدين أحمد ، ط الهند ١٩٦٤ .
(٤٦) ديوان سلامة بن جندل : ص ١٩٧ - ١٩٩ ، تح د. فخر الدين قباوة ، ط حلب ١٩٦٨ .
(٤٧) ديوان الأعشى الكبير : ص ١٢٣ .
(٤٨) الحماسة : ٦٤/١ - ٦٥ ، شرح المرزوقي .
(٤٩) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ١٨٠ - ١٨٣ ، شرح ثعلب ، ط القاهرة ١٩٦٤ .
(٥٠) الحيوان : ٣٦٤/١ ، للجاحظ ، تح عبد السلام هارون ، ط مصر ١٩٦٥ .

وقائع

مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة

في الدورة الخامسة والخمسين

١٩٨٩

للدكتور عدنان الخطيب
عضو المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الخامسة والخمسين ، بمدينة القاهرة في المدة الواقعة بين ٢١ من رجب الموافق ٢٧ من شباط (فبراير) حتى ٥ من شعبان سنة ١٤٠٩هـ ، الموافق ١٣ من آذار (مارس) سنة ١٩٨٩م ، عقد خلالها ثلاث عشرة جلسة بما فيها الجلسة الختامية .

وفيما يلي عرض موجز لما دار في المؤتمر من بحوث وما انتهى اليه من مقررات :

أولاً : جلسة الافتتاح :

عقدت الجلسة الافتتاحية في قاعة الاحتفالات بمبنى المجمع برئاسة **الدكتور ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية** ، رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، وقد شهدها ، فضلاً عن أعضاء المجمع من مصر وسائر الأقطار العربية ، لفيف كبير من العلماء والأدباء ورجال الفكر والإعلام ، وفيما يلي موجز لما تمّ فيها :

١ ـ كلمة الدكتور أحمد فتحي سرور وزير التعليم :

رحب السيد الوزير في مطلع كلمته بأعضاء المؤتمر ، وخص الوافدين على مصر بتحية حارة ثم قال : «. . . ها هي دوراتكم المجمعية تتواصل عاماً بعد عام . . وأنتم عاكفون على بحث كلّ ما يتصل بلغتنا العربية من قريب أو بعيد ، والتصدي لمشكلاتها وقضاياها في مختلف المجالات» .

ونوّه السيد الوزير بانجازات المؤتمرات السابقة قائلاً : «ولا يفوتني التنويه كذلك بأن بعض دور الطباعة والصحف قد عمدت الى تطبيق المشروع المجمعي ، وفي طليعتها صحيفة (الأهرام) التي أعلنت عن ذلك ، مشفوعاً بالإشادة والعرفان لمجمعكم العريق الجليل» .

وتحدث السيد الوزير عن قضية (**ألفاظ الحضارة العربية**) الموضوع الرئيس في أبحاث دورة المؤتمر هذه ، مؤكداً أن الحاجة ماسة وملحة للتقريب بين ألفاظ الحضارة العربية عن طريق البحث والدراسة .

وختم السيد الوزير كلمته قائلاً : «إننا نتطلع الى جهودكم في هذا السبيل بكل الأمل والتقدير» .

٢ ـ كلمة الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المؤتمر :

استهل السيد الرئيس كلمته بقوله : «إن مؤتمرنا هذا خاتمة دورتنا المجمعية السنوية ، وما أسعدها من خاتمة ، فإنها تتيح لنا فرصة لقاء زملائنا العرب والمستعربين من أعضاء عاملين ومراسلين ، نسعد بهم حقاً لأنهم يسهمون معنا عن قرب في خدمة اللغة العربية» .

ثم تحدث السيد الرئيس عما كان المجمع قد أقرّه من ألفاظ الحضارة ، في دورات انعقاده السابقة ، وعما تم إخراجه من معجمات ومطبوعات ، منوهاً بجهود أعلام المجمعيين من الراحلين .

وبعد أن تحدث السيد الرئيس عن الجهود المبذولة في خدمة العربية ، ختم كلمته بقوله : «أظنكم تتفقون معي على أن (**لغة الحضارة**) كانت جديرة بأن تحمل راية البحث في لقائنا هذا وسنسعد بكل ما يعرض حولها من بحث ودرس» .

٣ ـ كلمة الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع :

تحدث السيد الأمين العام عن رسالة مجمع اللغة العربية ، وما دأب على عمله منذ إنشائه ، وما أدّاه سديداً من الأمانة العلمية الملقاة على عاتقه من الإعداد القويم لجعل العربية في عصرنا ، وافية بمطالب العلوم والفنون ومسميات الحضارة .

ثم تحدث السيد الأمين العام عما تمّ للمؤتمر إنجازه في دورته السابقة ، وما انتهى اليه من مقررات وتوصيات ، وعما أنجزه مجلس المجمع قبل انعقاد هذه الدورة .

وأخذ السيد الأمين العام يعدد ما تمّ انجازه من مطبوعات ، وما هو قيد الطبع ، ثم تحدث عن صلات المجمع الثقافية بالمجامع العربية والهيئات الثقافية في كل من مصر والأقطار العربية والدول الاسلامية والأجنبية .

ثم عدّد أسماء الأعلام الذين اختارهم المجمع من مختلف الأقطار أعضاء مراسلين من المهتمين بشؤون اللغة ، لمعاونته في أداء رسالته .

ثم تحدث السيد الأمين العام **عمن فاز من المصريين بالانتخاب عضواً عاملاً ، وعمن التحق بالرفيق الأعلى من المجمعيين** ، منهياً كلمته بشكر الحاضرين مرحباً بالأعضاء الوافدين ، متمنياً لهم طيب الإقامة في بلدهم مصر .

٤ ـ كلمة الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع من سورية باسم الأعضاء العرب :

استهل الدكتور عدنان الخطيب كلمته بقوله : «يسعدني أن أحمل الى مصر ، التليد مجدها في الحضارة والعمران ، العظيم شعبها في الدفاع عن العروبة والاسلام ، العميم فضلها في الهبوب الى نصرة المستنجد بها من العالمين العربي والاسلامي ، الشديد بأس أبنائها إذا ما غضبوا لعسف حاق بمقهور ، الحلوة شمائلهم إذا ودعوا ، الفائق كرمهم إذا ما استضيفوا . لا بل أنا جدّ سعيد بأن أحمل اليوم إليكم من بلاد الشام ، خالص الحبّ وجزيل التقدير ، وقد عرف عن أمهات الأطفال في بلاد الشام من قديم الزمان ، بأنهن يرضعن أبناءهن حبّ مصر وسائر

بلاد العرب ، حتى إذا ما ألحقتهم بالمدارس ، كان نشيدهم صباح كل يوم «بلاد العرب أوطاني» .

وبعد أن تحدث السيد عضو المجمع من سورية ، عما يشعر به وهو في مصر ، وعندما يفارقها ، تحدث عن شعر الحنين الى الأوطان ودوافعه ، وعن مكانة الشعر عند العرب بصورة عامة ، وكيف كانوا يبالغون في تكريم الشاعر إذا نبغ في إحدى قبائلهم ، وكيف كانوا يدفعون به الى الأفق الرحيب حتى يصبح شاعر العرب قاطبة .

ثم تكلم السيد عضو المجمع عن ظاهرة غريبة وقعت في عصرنا الحديث ، ظاهرة تلقيب خليل مطران بشاعر القطرين ، لأنه استطاع أن يوفي حق الولاء لكل من مصر والشام ، حتى إذا ما وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها ، وتقاسم المستعمرون من رابحيها الأقطار العربية وصنعوا فيها حكومات موالية لهم ، متخاذلة مع شقيقاتها العربيات ، جاء خليل مطران يزور بلاد الشام ، فاستقبل ببالغ الحفاوة والتكريم .

ثم تحدث السيد عضو المجمع عن المهرجان الذي أقيم لتكريم خليل مطران ، وكيف وقف فيه شاب مغمور ، وكان في ميعة شبابه وأنشد قصيدة ، كان مما جاء فيها :

كُلُّ الربوعِ ربوعِ العُربِ لي وطن ... مـا بين مبتعـدٍ منهـا ومقتـربِ
للضـاد تـرجـع : أنسـاب مفـرقـة ... فـالضــاد أفضــل أمٍّ بـرَّة وأبِ
تفنى العصور وتبقى الضاد خالدة ... شجيٌّ بحلق غريب الدار مغتصبِ

★ ★

من مُبْلِغٌ فتيـةَ الحيَّين مـألكـةً ... كالسهمِ ريشَ فإن سـدَّدته يُصبِ
فيم التخـاذل لا فـلَّت جـموعكـم ... والـدهر يـزحف بالأرزاء والنـوبِ
مالي وللناس ، جـدّ الناس كلهم ... وضـاع قوميَ بين الجـدّ واللعبِ
لا تطلبوا الـراحة الكبـرى بلا تعب ... فـراحة المـرء بعد الكـدّ والتعبِ

★ ★

أين الشباب وفتيان غطارفة | كالأسدِ في الغِيل ما واثبتها تثبِ
اليعربيون لا حقد ولا غضب | قد يُسلب الحقّ بين الحقد والغضبِ
غنيت قوميَ بالأشعار أطربهم | لو يسمع القوم شدو الشاعر الطربِ
وأحزن الشعر بيت راح ينشده | دمع تحدّر من أجفان مكتئبِ
خير القصائدِ ما أوحته عاطفة | فسار في كل دنيا غير مغتربِ

★ ★

لقد كان الشاعر المغمور يومئذ ، **محمد سليمان الأحمد** ، **شاعرَ العربية الكبير بدوي الجبل** .

ثم تحدث السيد عضو المجمع عن حق مصر بالمفاخرة بمجمعها العامل ما وسعه على النهوض بالعربية لتؤدي الفصحى رسالة العلم والحضارة ، مختتماً كلمته بقوله : « . . وإني لأزداد شرفاً ، إذ أعلن **باسم الزملاء الوافدين على مصر** ، من سائر أقطار الوطن العربي عن خالص تقديرهم وعميق **شكرهم لمصر ولمجمعها** الموقر على ما يلاقونه من فائق الترحاب وعلى ما يسدى الى الفصحى من جليل المكرمات .[1]

ثانياً : المصطلحات العلمية :

درس المؤتمرون وناقشوا ، أثناء جلساتهم اليومية ، ما عرض عليهم من مصطلحات علمية وفنية واجتماعية ، كانت اللجان المختصة قد وضعتها ، ثم عرضت على مجلس المجمع ، فرفع الى المؤتمر ما أقرّه منها ليبرمها إذا وجدها صالحة .

---

(١) أشارت الى هذه الكلمة صحف عديدة في أقطار مختلفة ، على أن أبلغ ما كتب عنها ، كان بقلم الأستاذ عبد الرزاق البصير الذي نشر في جريدة الوطن الكويتية بتاريخ ٢٠ من آذار (مارس) ١٩٨٩ مقالاً تحت عنوان : «في رحاب الخالدين» مشيداً بالكلمة وبقصيدة شاعر العربية الكبير بدوي الجبل .

ومن العجيب أن نشر أخبار مؤتمر مجمع اللغة العربية كان شبه معدوم في وسائل الاعلام ، كما كان ضعيفاً جداً في الصحف المصرية على اختلاف نزعاتها السياسية !!

وقد وافق المؤتمرون على أغلب ما عرض عليهم من مصطلحات بالاجماع . وعلى بعضها بالأكثرية أو بعد إدخال تعديل عليها ، كما ردّ الى اللجان المختصة عدداً منها لإعادة النظر فيه .

وبلغ مجموع المصطلحات التي أقرّها المؤتمر ٢٩١٦ مصطلحاً موزعة بين مختلف العلوم والفنون بالشكل التالي :

١٧٠ مصطلحاً في الفيزيقا .
٢٥٣ مصطلحاً في علوم الأحياء والزراعة .
٣٢٢مصطلحاً في الكيمياء والصيدلة .
٢٧١ مصطلحاً في الجيولوجيا .
٢٦١ مصطلحاً في الهندسة .
١١٦مصطلحاً في التربية .
٧٨ مصطلحاً في علم النفس .
١٩٧ مصطلحاً في الآثار .
٩٩ مصطلحاً من ألفاظ الحضارة في الموسيقى .
٥٧٠مصطلحاً في العلوم الطبية .
٣٨٦مصطلحاً في الرياضيات .
١٦٣ مصطلحاً في الجغرافيا .
١٣٠ مصطلحاً في المعالجة الالكترونية للمعلومات .

ثالثاً : البحوث والدراسات :

استمع المؤتمرون ، أثناء انعقاد المؤتمر ، الى عدد كبير من البحوث والدراسات المتخصصة ، غلب فيها موضوع (ألفاظ الحضارة) في العصر الحديث وفي كتب التراث ، ألقاها أعضاء المؤتمر ، بينما ضاق الوقت عن سماع بحوث ودراسات اخرى ، وفيما يلي عرض لملخص

البحوث والدراسات التي ألقيت مسلسلة بحسب تواريخ إلقائها مع التنويه بأهم ما دار حولها من تعليقات ومناقشات :

١ ـ صلة الكلام في تسوية الأرقام :

بحث أعده وألقاه الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع من (سورية) أعاد الباحث المؤتمرين الى جلسة مجلس المجمع في الدورة الثانية والعشرين المنعقدة في الثامن والعشرين من أيار (مايو) سنة ١٩٥٩ التي أعلن فيها رئيس المجمع الراحل الأستاذ أحمد لطفي السيد موافقة المجلس على تعديل كتابة الرقم (٢) ، وكان ذلك بناء على كتاب المراقب المالي لوزارة التربية والتعليم ، واقتراح لجنة تيسير الكتابة بعد أن درست مع خبراء فنيين عيوب الأرقام العربية المتمثلة في كتابة كل من (الصفر) و(الاثنين) و(الخمسة) وبينت طرق إصلاحها .

وتحدث الباحث بعدئذ عن صور الأرقام قائلاً : «تتقاسم العالم العربي اليوم سلسلتان من الأرقام مختلفتا الصور والأشكال ، أرقام مشرقية يطلق عليها وصف **(الأرقام الهندية)** وأرقام مغربية هي وليدة **(الأرقام الغبارية)** الأندلسية الأصل ، وكلتا السلسلتين من إبداع الحضارة الاسلامية ، **ولا يجحد عروبتهما إلا مكابر**» .

ثم بيّن الباحث كيف قام بعض علماء المغرب العربي ، بحماسة بالغة ، بدعوة جماهير العرب في المشرق الى نبذ الأرقام التي يستعملونها ، بحجة أعجميتها ، ومن ثم استعمال الأرقام الغبارية السائد استعمالها في العالم والمشهورة بوصف (الأرقام العربية) .

وأكد الباحث أن الادعاء بأعجمية الأرقام المشرقية ، لا يؤيده أيّ دليل إلّا وصفها بالهندية ، ولم تكن الأوصاف والألقاب في يوم من الأيام دليلاً قاطعاً على تحلي الموصوف أو الملقب بما تدل عليه في واقع الأمر .

ثم أوضح الباحث كيف تلقف رجال في مختلف أقطار المشرق العربي دعوة اولئك العلماء ، بغيرة قومية واضحة وبحماس يتفاوت بتفاوت الأقطار التي ينتمون اليها بالاندفاع القومي ، وبلغ الأمر في أحدها الى اندفاع المجلس النيابي فيه الى إقرار الالتزام بالأرقام الغبارية بحجة عروبتها ، ثم بيّن الباحث كيف سرت الدعوة الى أخذ الأرقام الغبارية في كثير من الأقطار ، حتى اضطر المجمع الفقهي لرابطة العالم الاسلامي الى تأييد قرار كبار علماء المملكة العربية السعودية بإعلان فساد الدعوة الى تلك الأرقام .

ثم تحدث الباحث عن عيوب صور الأرقام المختلفة وقال : «لم يكن المراقب المالي لوزارة التربية والتعليم في مصر ، أول من كشف مساوىء صور بعض الأرقام ، كما لم يكن آخر من طلب تعديلها» ثم بيّن مساهمة مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، في نشر عدة مقالات في هذا الموضوع ، ثم مساهمة بعض أعضاء المجمع المذكور في اقتراح أشكال جديدة ، للأرقام الثابتة عيوبها ، تتفادى معها مساوئها .

ثم وازن الدكتور الخطيب بين مختلف اقتراحات التعديل مختاراً منها أكثرها ملاءمة لجمال الحرف العربي وليونته وانسيابيته ، ثم أنهى حديثه بتلخيص مطالبه بالأمور التالية :

أولاً : اعتبار قرار مجلس المجمع المؤرخ في ٢٨ مايو (أيار) سنة ١٩٥٦ مرفوعاً الى المؤتمر لإقراره .

ثانياً : الأخذ باقتراح تسوية رمز (الصفر) في الأرقام المشرقية بالابقاء عليه مع إضافة ما لا يفسد شكله ولكن ينفي عنه عيب التشابه مع النقطة .

وبعد أن شكر الرئيس الباحث على جهوده ، علّق الدكتور عبد الكريم خليفة (الأردن) بالشكر والتأييد داعياً المؤتمر الى دراسة الموضوع دراسة علمية متأنية وإقرار حلّ متفق عليه ثم فرض استعماله .

ثم علّق بعض المؤتمرين مؤيدين قيمة الصفر في الخط العربي ، مستنكرين أيّ تعديل يدخل على شكله ، وكان منهم الدكتور أبو القاسم سعد الله (الجزائر) والأستاذ حمد الجاسر (السعودية) والدكتور عبد الرزاق عبد الفتاح (مصر) مضيفاً بأن أي تعديل على شكل الأرقام يستغرق زمناً طويلاً . وأضاف الدكتور حسن الفاتح قريب الله (السودان) قائلاً : «يجب الابتعاد عن كل ما يستتبع حساسية بين مشرق العالم العربي ومغربه» .

وعلّق الدكتور حسين علي محفوظ (العراق) داعماً القول بعروبة الأرقام المشرقية مضيفاً التأكيد على أنّ الحروف السنسكريتية كالأرقام الهندية فضلاً عن شكل الصفر كلها مستقاة من الخط العربي .

وعلّق الدكتور مهدي علام (نائب الرئيس) مبيناً الخطأ الذي ورد في ملاحظات بعض المؤتمرين .

ثم شكر الباحث الدكتور عدنان الخطيب (سورية) كل من علّق على بحثه مؤيداً أو مستنكراً له .

وأخيراً قال الرئيس الدكتور ابراهيم مدكور بأن المؤتمر سبق له أن فصل في رسم العدد (٢) وقراره ما يزال قائماً . أما بقية الاقتراح الذي جاء به الباحث فيحال على لجنة تيسير الكتابة العربية لدراسته على أن يعرض قرارها على المؤتمر في العام القادم .

فوافق المؤتمر على هذا بالاجماع .

٢ ـ دواب الأرض في القرآن الكريم :

بحث أعده وألقاه الدكتور محمد رشاد الطوبي عضو المجمع من (مصر) .

بدأ الباحث حديثه بقوله : «لقد كرّم الله سبحانه وتعالى تلك الدواب ، المختلفة الأنواع ، المتعددة الأشكال والأحجام والألوان ،

والتي منها ما يدبّ على سطح الأرض ، أو يستقر مختبئاً في طبقاتها السطحية ، أو يطير في أجواز الفضاء ، كرّمها الله سبحانه وتعالى بالآية التالية : ﴿ومَا مِنْ دابَّةٍ في الأَرْضِ ولا طائرٍ يَطيرُ بِجناحيْهِ إلاّ أُمَمٌ أمْثالُكُم[٢]﴾ .

وبعد أن تكلم الباحث عن المجتمعات الحيوانية والأنظمة الدقيقة السائدة فيها ، انتقل الى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَنْ في السَّماواتِ ومَنْ في الأرْضِ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجومُ والجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُ وكَثيرٌ مِنَ النَّاسِ . . .[٣]﴾ قائلاً : «إن الله سبحانه وتعالى راضٍ عن جميع الدواب لأنها تسجد له وتسبح بحمده ، ولكنه غير راضٍ عن كل الناس ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر» .

ثم تحدث الباحث عن أصناف الدواب التي ذكرت في القرآن الكريم ، من النملة الصغيرة ، التي هي من أصغر المخلوقات حجماً ، الى الفيل ، وهو أضخم الحيوانات الأرضية المعاصرة ، مشيراً الى قصة كل واحد منها ، كما وردت في القرآن الكريم .

ثم تحدث عن تصنيف الدواب في مختلف بلاد العالم ، وموطن كل منها ، ثم تكلم عن منطق الطير ، مفصلاً الكلام عن مفهوم لغة الطير والحيوان وعن هجرة الطيور وأشهر الطيور المهاجرة ، وعن أصوات الطيور المسموعة والتي لا تسمع ، ثم عن (دابة الأرض) أو الأرضة ومستعمراتها والأنظمة السائدة فيها .

ثم أنهى الباحث دراسته بالكلام عن الإنسان ، وما ميزه الله به عن دواب الأرض ، وعن ما سخره له من الدواب لدفئه ومنافعه وأكله وركوبه وليتخذها زينة .

---

(٢) الأنعام ٦ : ٣٨ .
(٣) الحج ٢٢ : ١٨ .

وشكر الرئيس للدكتور الطوبي بحثه الممتع ، وأبدى كل من الدكتور مهدي علام والشيخ محمد نائل بعض الملاحظات عليه ، كما أثنى عليه الأستاذ حسن عبد الله القرشي (السعودية) مقترحاً ترجمة البحث وأشباهه الى اللغات الأجنبية ليعرف العالم مدى عناية علمائنا بكتاب الله الخالد وبذخائره وكنوزه القيمة .

٣ ـ عبد الله بن عمرو المزني ـ شاعر في الظل :

بحث أعده وألقاه الأستاذ عبد العزيز الرفاعي عضو المجمع المراسل من (السعودية) .

بدأ الباحث حديثه بقوله : «هذا شاعر من شعراء القرن الثاني الهجري ، قلما عنيت به المصادر الاولى ، أو ترجمه المترجمون . . بالرغم مما يتميز به شعره من طلاوة ، حتى كتاب الأغاني الضخم ، الذي استقصى الكثير من الأخبار والأشعار ، لم يرد فيه ذكر هذا الشاعر . . .» .

ثم ذكر الباحث نتفاً من أخبار الشاعر جمعها من كتاب (جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار) ومن كتاب (التعليقات والنوادر لأبي هارون بن زكريا الهجري) التي نقلها صاحب (الفهرست) وترجم له في (فصحاء العرب) وكان آخر من ترجم له الزركلي في (الأعلام) .

ثم قرأ الباحث أبياتاً من عيون ما وقف عليه من أشعار المزني ، في مختلف المصادر التي رجع اليها ، وقد جمعها في بحثه مرتباً إياها بحسب قوافيها على حروف المعجم ، وبلغ مجموعها قرابة أربعين صفحة ، ويظهر أن البحث هو جزء من كتاب يعده الباحث تحت عنوان «شعراء في الظل» .

وشكر الرئيس للباحث حديثه الممتع ، كما شكره وعلق على ما جاء فيه ، كل من الدكتور شوقي ضيف والدكتور أحمد السعيد سليمان والدكتور حسين علي محفوظ الذي علّق على الحديث بقوله لعل صاحب

الأغاني أتى على ذكر الشاعر في المفقود من كتابه ، لأن القدامى كانوا يتشاءمون من الأغاني ويتطيرون من استكمال أجزائه في خزائنهم .

٤ ـ حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي :

بحث أعده وألقاه الدكتور عبد الكريم خليفة عضو المجمع من (الأردن) .

بدأ الباحث كلامه عن الموضوع الرئيس في المؤتمر بقوله : «جاء موضوع البحث في (ألفاظ الحضارة في الوطن العربي) ليكمل الصورة الكلية لخدمة العربية والعناية بها في جوانبها المتعددة ، من حيث التعريب وجعل العربية لغة التدريس والبحث في الجامعات والمؤسسات العلمية ، وكذلك من حيث الارتقاء بلغة وسائل الاتصالات الجماهيرية في الصحف والمجلات ودور الإذاعة المسموعة والمرئية ، وكذلك الموضوعات التي تثار حول الصراع بين العاميات باتجاهاتها الاقليمية الضيقة وقدراتها الفكرية القاصرة ، وبين اللغة الفصيحة ، بقدراتها الفكرية المبدعة وباتجاهاتها الموحّدة» .

ثم بين الباحث مدلول «ألفاظ الحضارة» عنده قائلاً : «.. فنعني بها جميع الألفاظ التي يستعملها الإنسان العربي في حياته المعاشية من مأكل ومشرب ..» الى أن قال : «... وربما كان من المفيد أن نحدد أن ألفاظ الحضارة التي تعنينا في هذا البحث ، هي الألفاظ التي تعبر عن ظروف الحياة ومستلزماتها المعاشية لجماهير أمتنا العربية في أقاليمها المختلفة ، ومن هنا تنشأ الخصوصية التي تميّز معجم ألفاظ الحضارة بالعربية عن غيره من المعاجم المتخصصة» .

وعرض الباحث لمرحلة الصراع بين أنصار العامية من جهة وأنصار العربية الفصيحة من جهة اخرى ، ثم قال : «... فإذا تجاوزنا هذه المرحلة من تاريخنا العلمي واللغوي ، الى مرحلة سيادة العربية في

أوطانها ومؤسساتها العلمية والجامعية ، وهي بالغتُها قريباً ـ إن شاء الله ـ وجدنا أنفسنا أمام قضية جوهرية واحدة ، وهي توحيد المصطلحات العلمية والحرص على أن تكون هنالك لغة علمية واحدة بالعربية» .

ثم قابل الباحث بين (الفراغ) الذي يواجهه المتصدي لوضع معجم علمي وبين (الامتلاء) الذي يتعثر به المتصدي لوضع معجم لألفاظ الحضارة . . وأخذ يضرب الأمثلة على هذا (الامتلاء) حتى قال : « . . لقد هالني الأمر ، فهنالك الاختلاف بين الألفاظ الحضارية بين مدينة واخرى ، وبين منطقة واخرى» الى أن قال : « . . ونحن إذا تجاوزنا حدود قطرنا الى الأقطار العربية المجاورة والبعيدة ، فإن الأمر يصبح مذهلاً وخطيراً . . » وضرب مثلاً فقال : « . . لنأخذ كلمة (البطيخ) وكم تتعدد الاختلافات في مدلولاتها في مختلف الأقطار . . وقد يضطر الباحث ، مع الأسف ، أن يضع مقابلها اللفظة الأجنبية كي يحدد مدلولها . فهنالك بطيخ أصفر في الشام ، وشمّام في الأردن وفلسطين ، وشمّام وقاوون في مصر ، هذا مع العلم بأن كلمة (قاوون) تركية ، وهكذا تتعدد الألفاظ لمسمى واحد . فهو : بطيخ أخضر وبطيخ أحمر وبطيخ شامي وبطيخ هندي ، ودلّاع ، وحزبز وحجب وجبس ورقّي . حيث تسود كل لفظة في قطر من الأقطار ، أو في منطقة دون اخرى[٤] . . » .

---

(٤) يوجد بين الكلمات التي عددها الدكتور خليفة مقابل كلمة (بطيخ) مترادفات حقيقية وأغلبها صفات خاصة تميز نوعاً من البطيخ بطعمه أو بحجمه أو بشكله سواء أكان انتاجاً محلياً أم كان مجلوباً ، مما يزيد هدفه من البحث صعوبة ، هذا ونلاحظ أن الزميل لم يستقص أسماء البطيخ في سائر الأقطار العربية ، وكان دوزي DOZY حاول ذلك في معجمه مع شيء من الوصف ، وأتمّ بعض النقص مترجم المعجم الزميل النعيمي وقد طبع سنة ١٩٧٨ في بغداد . وفي المساعد معجم الأب الكرملي في مادة برطخ نجد ما نصه : «والبرطيخ عند أهل الحجاز ـ في يومنا هذا ـ البطيخ (أي الرقّي) الكبير والخربز الصغير منه (عن الرحلة الحجازية ص١٨٠) .

وانتهى الباحث الى القول : «نحن الآن لا يدور في خلدنا أننا نهدف الى التغيير القسري لما يستعلمه عامة الناس في كل قطر من الأقطار العربية ، ولكن من الواجب ، كما أشرنا سابقاً ، أن يكون هناك معجم شامل باللغة العربية يستوعب جميع ألفاظ الحضارة ومستلزمات الحياة الحديثة ، يمكن أن يكون مرجعاً لكتّاب العربية وأدبائها في العصر الحديث في مختلف الفنون الأدبية من قصة ورواية ومسرحية . . وغيرها وفي جميع وسائل الاتصال الموجهة الى جماهير الأمة العربية . . » .

وختم الباحث حديثه قائلاً : « . . . **قد آن الأوان ، كي تقوم مجامعنا اللغوية العربية ، ومن خلال اتحاد المجامع بالعمل على إنشاء مؤسسة خاصة بالمعاجم العربية** ، حيث تستغل امكانات الأمة العلمية والمادية من أجل وضع المعاجم المتخصصة في مختلف العلوم والفنون والمعجم الحضاري . . . » .

وقد شكر للباحث جهده القيم كل من الزملاء :

الدكتور عدنان الخطيب (سورية) وأضاف ان العمل المقترح من الزميل الباحث عبء ثقيل يقع على كاهل المجامع العربية ، وهي وإن كانت أهلاً له غير أن عقبات كثيرة تحول بينها وبينه ، يعرفها الزميل وقد أشار الى بعضها ، وأمرها معروض للحوار والمناقشة .

الرئيس الدكتور ابراهيم مدكور ، وأضاف انه غدا متفائلاً بنجاح العمل المقترح بعد التجارب التي مرّ بها المجمع ، وأنه يأمل من اتحاد المجامع ان يخطو في تنفيذ المقترح خطوات واضحة .

الدكتور مهدي علام (مصر) وأضاف بأن كل كلمة تضاف الى ألفاظ الحضارة هي رفد يسير مع الروافد الأخرى الى النهر العظيم للغة العربية .

الدكتور حسين علي محفوظ (العراق) وأضاف انه سبق له نشر بحوث تتصل بالموضوع نفسه ، آملاً الإفادة منها .

الدكتور أبو القاسم سعد الله (الجزائر) وأضاف بأن المؤسسة التي يقترحها الباحث موجودة في تونس تعمل تحت رعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٥ ـ ألفاظ الحضارة في كتب التراث :
اصطلاحات الصيدلة في أقراباذين القلانسي :

بحث أعده وألقاه الدكتور حسين علي محفوظ عضو المجمع المراسل من (العراق) .

بدأ الباحث حديثه قائلاً : «إذا ولدت الحضارة في هذه البلاد ، وإذا اتسعت وامتدت وتعمقت وتنوعت ، وآتت أكلها في هذه الرقعة من الأرض ، فقد وجدت في اللسان العربي المبين ، ما يعبر عن مقاصدها وأغراضها وحاجاتها ، وما يفي بمعطياتها وأبكارها وأفكارها من الألفاظ والتراكيب والكلمات والمشتقات ، **وهذه المزية هي إحدى خصائص هذا اللسان القديم الكريم المعرق المدهش العجاب»** .

ثم تكلم الباحث عن تتبعاته في الاطلاع على المصادر والأصول ، وعما استخرجه منها من ألفاظ الحضارة وأسماء الآلات والأدوات والأشياء والحاجات ومصطلحات العلوم والمواصفات والتعريفات ، مشيداً بما في خزائن التراث من طرائق الكتب في اللغة والعلم وهي كثيرة ، وما ضاع منها أضعاف ما بقي ، قائلاً : «. . أكتفي في هذه الدراسة المقتضبة من مباحث ألفاظ الحضارة في التراث ، باستخراج مصطلحات الصيدلة وتعريفاتها من أقراباذين القلانسي ، والتنبيه على أهمية كتاب شرح كليات القانون لابن النفيس ، والتعريف بكتاب بحر الجواهر لليوسفي الهروي الطبيب» .

وبعد أن عرّف الباحث بالقلانسي وبأقسام كتابه ، سرد قائمة بالألفاظ والمصطلحات التي وردت فيه ، والبعض منها ما يزال معروفاً

وشائعاً حتى يومنا هذا ، وبعضها الآخر غريب أو دخيل أو عاميّ ، ودراستها مفيدة لمن يودّ جمع ألفاظ الحضارة .

وشكر السيد الرئيس للباحث جهده في بحثه المفيد .

٦ - من قضايا السيرة النبوية :
تصحيح لمفاهيم خاطئة ودحض لمفتريات باطلة :

بحث أعده وألقاه الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار عضو المجمع من (مصر) .

بدأ الباحث كلامه بذكر أهمية سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمسلمين وللإنسانية جمعاء ، معدداً واجبات المؤرخ الذي يتصدى للكتابة فيها ، ثم قال : «. . ومن المعروف أن المستشرقين الغربيين قد تناولوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما تناولوه من الأبحاث في التاريخ الاسلامي ، ولكن روح التعصب والتحامل كانت تطغى على معظم كتاباتهم . . ومن المعروف - أيضاً - أن كتب السيرة كغيرها من سائر الكتب الاسلامية ، قد دُسَّت اليها ، في عصور التدوين الاولى ، بعض المفتريات ، وكان أساسها هؤلاء الذين أسلموا ظاهراً ولما يدخل الإيمان في قلوبهم ، أو دخلوا في الإسلام ولم تكتمل معرفتهم بكل مبادئه وآدابه» .

ثم أكد الباحث على وجوب تحري الحقائق والعمل على تصفية الأخبار من الشوائب والرواسب ، على أن يكون ذلك في نطاق محدود بعيداً عن المعجزات الثابتة التي لا ينبغي مناقشتها في ضوء المنطق وعلى أساس من الأسباب والمسببات .

ثم اختار الباحث من الأحداث التي تعرضت لأفهام خاطئة من بعض الكتّاب المسلمين أو لمفتريات كاذبة من غير المسلمين ، الأمور التالية :

أولاً : (قل إنما أنا بشر مثلكم)

عرض الباحث لأقوال متداولة بين المسلمين ، ولأفعال شائعة بينهم ، تسيء الى بشرية النبي عليه السلام ، وانتهى الى القول : «وإذا كان من واجبنا كمسلمين أن نقدّر نبينا العظيم حقّ قدره ، فإنه لحق علينا ـ كذلك ـ ألاّ نسيء الفهم ونتجاوز الحدّ فنبعد نبينا عن منزلته وقدره» إذ ما أبعد الفرق بين الحبّ والتقدير والتّقديس الى درجة الشرك بالله !

ثانياً : (قصة الفيل والطير الأبابيل)

عرض الباحث لأقوال بعض المفسرين لسورة الفيل أخذاً بالمجاز ، ولمن تابعهم أمثال الإمام محمد عبده ومحمد حسين هيكل وطه حسين . مصححاً إياها قائلاً : «. . فالطير الأبابيل هي الطيور الحقيقية المعروفة لدى الناس جميعاً ، ولعلها غارات جويّة وقعت في هذا العالم قبل الأوان ، لم يصنعها انسان ليبطش بأخيه الانسان ، ولكن صنعها الواحد القهار ليكبح بها جماح الظلم والعدوان» .

ثالثاً : (الحجر الأسود)

عرض الباحث لما للحجر الأسود في الكعبة المشرفة من أهمية في الشعائر الاسلامية ، ثم عرض لما ورد في كثير من الأحادث والمأثورات عن أصل الحجر الأسود وخصائصه قائلاً : «. . لا بدّ لنا من أن نقف أمام هذه الروايات وقفة الفاحص المتأمل الذي لا ينخدع بالعاطفة ، والذي يبتغي الحقّ لوجه الحقّ» .

وأنهى الباحث حديثه بتأييد رواية ابن الأثير في تاريخه وما يؤيدها من روايات ذكرتها أمهات الكتب التاريخية التي تقول بأن الحجر الأسود كان من أحجار جبل أبي قبيس فحسب .

رابعاً : (روايات عن إرهاصات النبوة)

عرض الباحث للأخبار التي جاءت في كتب السيرة عما وقع قبل المولد من الإرهاصات ، وللمتداول منها بين المسلمين ،فنفاها وأيد الشيخ الغزالي في قوله : «. . . إن ميلاد محمد كان حقاً إيذاناً بزوال الظلم واندثار عهده واندكاك معالمه . . فلما أحبّ الناس بعد انطلاقهم من قبور العسف تصوير هذه الحقيقة تخيّلوا هذه الإرهاصات . . » .

وأضاف الباحث على مقولة الشيخ الغزالي قوله : «. . إن معظم الكتب الأصيلة في التاريخ والسيرة وكتب السنة الصحيحة لم تذكر هذه الإرهاصات . . » .

خامساً : (حادثة شقّ الصدر)

ناقش الباحث الرواية وآراء مختلف العلماء فيها ، منكراً قول من قال منهم بالمجاز ، ثم انتهى الى القول : «إن الرأي الذي نرتضيه هو إن حادث شقّ الصدر قد وقع بطريقة حسية ، وإنه حقيقة لا ريب فيها ، إيماناً بالعناية الإلهية التي لا يحدها شيء» .

سادساً : (قصة الغرانيق)

عرض الباحث لقصة الغرانيق المشهورة ، التي كثر فيها كلام الكتّاب والباحثين والمغرضين في العصر الحديث ، رغم أن بعض كبار المؤرخين الذين ذكروها ، لم يعلقوا عليها بما يدلّ على بطلانها وفسادها .

ثم دلّل الباحث على بطلان تلك القصة ، وهي تحمل في طيّاتها ما يهدمها من أساسها ، وذلك بآيات من القرآن الكريم ، وانتهى الى

القول : «وبهذا يتبين لنا أن قصة الغرانيق قصة مختلقة دُسَّت الى بعض الكتب القديمة . .» .

سابعاً : (دور الملائكة في يوم بدر)

عرض الباحث لوقعة بدر التي انتصر فيها المسلمون بمدد من الله عزّ وجلّ ، ولما ذهب اليه بعض العلماء من أن الملائكة إنما نزلت للاشتراك في القتال ، وانتهى الى القول : «. . بهذا يتبين لنا ـ بما لا يقبل الشك والجدال ـ أن الملائكة إنما نزلت لتثبيت القلوب ولكنها لم تشترك في القتال» .

ثامناً : (أزواج النبيّ)

عرض الباحث لما تلوكه ألسنة بعض المتخرصين من المسلمين والحاقدين من غيرهم ، حول زوجات النبيّ عليه الصلاة والسلام ، وعددهن يجاوز ما أبيح للمسلمين من زوجات ، متابعاً حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل الزواج ، وما عرف عنه من صون نفس وعفاف ، وما عرف عنه بعد زواجه من السيدة خديجة من استقامة ووفاء ، وانتهى الى القول وهكذا : «**تظهر لنا ساحة الرسول صلى الله عليه وسلم مبرأة من الشوائب والعيوب ، بعيدة كل البعد عن الشهوات الدنيا متوّجة بالطهر والعفاف ومكارم الأخلاق**» .

قام الدكتور عبد الكريم خليفة (الأردن) بشكر الباحث ، باسم المؤتمرين ، على حديثه القيم وتصحيحه لمفاهيم خاطئة ، وسدّه ثغرة استغلها أعداء الإسلام لتشكيك المسلمين في دينهم ، وأردف يقول : «لقد عمل الأستاذ الجليل على رأب هذا الصدع الذي أحدثه أعداء الإسلام في مفاهيم المسلمين» .

كما شكر الدكتور علي عبد الواحد وافي للباحث حديثه ، وأضاف الملاحظتين التاليتين :

الاولى : وصف الباحث الحديث الذي رواه الترمذي بأنه غريب ، والحديث الغريب في مصطلح علم الحديث لا علاقة له بمبلغ صحته وضعفه ، وإنما هو الحديث الذي تنتهي جميع أسانيده الى صحابي واحد .

الثانية : قول الباحث عن حادثة (شقّ الصدر) يجب أن تحمل على الحقيقة ، مع أن الواجب حملها على أنها كناية عن تطهير الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم ، لأن القلب لا علاقة له مطلقاً بالاستقامة والطهر .

وشكر الدكتور حسين مؤنس (مصر) للباحث جهوده وأضاف : «إن الطبري ، وهو من أكبر وأجلّ المفسرين القدماء ، ذكر قصة الغرانيق . . وبذلك فتح الباب على مصراعيه لأعداء الاسلام . . .» ، كما أن بشريّة الرسول عليه السلام مرتبطة بما يوحى اليه ، وعدّد الدكتور مؤنس المصادر الاسلامية التي استغلها أعداء الإسلام للدسّ عليه ، وأنهى ملاحظاته بقوله : «ليس أمامنا إلا طريق واحد للخلاص من هذه المصاعب وهو تنقية الكتب القديمة مما علق بها من شوائب تضر بالإسلام العظيم أبلغ ضرر» .

وأضاف الدكتور أحمد السعيد سليمان (مصر) عن القول بأن محمداً خلق من نور كان من قبل الفلاسفة الذين أخذوا بنظرية «الفيض الربانيّ» لا من المسلمين الحسان الإسلام .

ثم شكر الباحث لجميع الذين أثنوا على حديثه ، وردّ على جميع الملاحظات التي أبداها البعض بما سدد كل اعتراض .

٧ ـ دور مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث : في مجال الدراسات الاسلامية :

بحث أعده وألقاه الدكتور حسن الفاتح قريب الله عضو المجمع المراسل من (السودان) .

بدأ الباحث الحديث بقوله : «الاسلام ـ كما هو معلوم ـ منهج شامل متكامل للحياة ، ينظم شؤونها العلمية والعملية والسلوكية ، وهو يتولى الفرد تربية وتدريباً وسلوكاً ، من حيث كان نطفة الى أن يلقى الله في دار البقاء حيث الجزاء المناسب ، لا على العمل بل بالفضل أو العدل» .

ثم تناول الباحث المفهوم الحقيقي ثم العرفي للدراسات الاسلامية بالشرح ، موضحاً ان الاسلام باعتباره شاملاً لكل شؤون الحياة ، جعل كل العلوم الانسانية فرض كفاية ، وبيّن كيف جعل البعض للدين علوماً وللدنيا علوماً اخرى ، ثم عاد وجرّد من علوم الدين روحها فتركها دراسات نظرية .

وتناول الباحث بعدئذٍ تحديد مفهوم التدريب والبحث في مجال الدراسات الاسلامية العرفية خاصة والانسانية عامة ، وقد صنفت تبعاً لذلك العلوم الاسلامية من حيث التدريب الى قسمين : نظري بحت وعلمي ، وأخذ الباحث يفصل القول في الدور الذي ينتظر من مؤسسات التعليم العالي في التدريب والبحوث ، من حيث اختيار الأستاذ وتأهيله وتوفير ما يحتاج اليه من كتب ووسائل اطلاع ونشر ومناخ علمي وديني ، ثم تحدث عن المناهج الحالية في أكثر الدول الاسلامية وعن تجافيها مع الفكر الاسلامي ، مقترحاً تعديلاً لها يتناسب وحاجة كل دولة منها ، واضعاً تصوراً يعين الدولة على سدّ حاجتها من القوى العاملة في شتى مجالات الحياة ، موضحاً أهمية الجانب الروحي والعلمي والانساني والصحي والاداري في جميع الأحوال .

وعقب على البحث بالشكر على ما فيه من أفكار جديدة وتطلعات يأمل تحقيقها كل من الزملاء :

الدكتور أحمد السعيد سليمان وأبدى ملاحظة على الدعوة الى تنظيم التصوف مبيناً أن التصوف نوعان :

الأول : تصوف اسلامي يمضي على الجادة غير خارج عنها .

الثاني : تصوف باطني خارج عن الاسلام ، ومن حسن حظ بلادنا ان هذا التصوف لم يستطع ان يعمر فيها طويلاً . . وأنا أخاف إذا نحن فتحنا الأبواب للتصوف أن يعود اليها شيء من هذا النوع من التصوف . . فإما أن يبقى التصوف على ما هو عليه الآن ، وإما أن يتحول الى طرق يحمل أصحابها السيف ويجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله ، فأنا أدعو مع الباحث الى وجوب تنظيم التصوف على هذا الأساس .

الدكتور حسين علي محفوظ وأيّد إطراء الباحث المدرسة القديمة في طرق التعليم ، إذ كان فضلها عظيماً ، ولاحظ على البحث افتقاره الإشارة الى هجرة العقول في القديم من بلادها الى بلد يقدر العلم فيه . . ونحن في زمن يجب فيه تقييم العلماء حتى لا يهاجروا . . ثم أنهى تعليقه بقوله : «يظن كثير من أفاضلنا من خريجي المدرسة الحديثة ، أنهم تقلوها من الغرب ، بينما هي في الحقيقة مجرد تحسين أجراه علماء الغرب على الطرائق العلمية القديمة» .

وهنا رفعت الجلسة دون سماع ردّ الباحث على زملائه المعلقين لتجاوز الوقت المخصص لذلك .

٨ ـ ألفاظ حضارية بطل استعمالها :

بحث أعده وألقاه الدكتور أحمد السعيد سليمان عضو المجمع من (مصر) .

بدأ الباحث حديثه بقوله : «هذه مفردات حضارية من أصول أعجمية ، دخلت في اللغة العربية في العصور الوسطى الاسلامية ، وجرت على ألسنة الناس ، واستعملها الشعراء وأصحاب النثر الفني» .

وبعد أن ذكر الباحث شيئاً عن تعريب بعض الكلمات ، التي لم تدرج في المعجمات ، أسرع الى القول : «إنني لا أريد بدراسة هذا الكلام الممات ، أن أبعثه ليستعمل ، فنحن في هذا الزمان بحاجة الى تعريب آخر ننتقل به من حال الى حال ، ولكني أرجو أن أعين القارىء العربي على استيعاب تراثنا من كتب العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث ، فإن فيها من هذا المعرب الدارس ما لا يحصى ، وإن مستدركات التاج ومعجم دوزي ومستدرك فانيان لا تسعف في كل المواقف» .

ثم أخذ الباحث يعدد الكلمات التي التقطها ، مبيناً جذرها الأعجمي ومعناه ، والمعنى الاصطلاحي الذي استعمل فيه ، ويذكر النصوص العربية التي استعمل فيها ، وكان في جملتها كلمات : التخت والرنك والدست والطربوش والكزلك والوجاق . . .

واسترعت انتباه المؤتمرين كلمة (رئيسي) وهي لقب من الألقاب ، ألحقت بها ياء النسب للمبالغة مثل كلمات : (العالميّ والناسكيّ والكبيريّ والسفيريّ . .) .

قال الباحث : «وكلمة الرئيسيّ التي نستعملها الآن ، بقية باقية من العصر المملوكي ، يقول القلقشندي بعد حديثه عن الرئيس بالهمز والرّيِّس على فَيِّم : (والرئيسيّ نسبة اليه للمبالغة وغالب ما يستعمله

الكتاب كذلك) ثم قال : «وما زال بعض علماء العربية ينكرون الرئيسيّ بالياء ويستعملون في مكانه (الرئيس)[٥] ولكن كلمة الرئيسيّ قديمة عاشت من أوائل العصر المملوكي الى الآن وقد اصطلحنا جميعاً على أنها الترجمة العربية المثلى لكلمة Principal ، فلعل (الرئيسيّ) بنسب المبالغة تصحح ويستعملها المعرضون عنها ، فهي بمعنى الرئيس ، بل هي رئيس وزيادة[٦]» .

---

(٥) يقول كثير من الكتاب اليوم ، كما يقرأ كثير من مذيعي الإعلام هكذا : التوتر سبب رئيس لضغط الدم ، أو الدبابات سلاح رئيس في الحرب الخ . .

(٦) في هذا الكلام إشارة واضحة الى القرار الذي اتخذه مؤتمر المجمع في الجلسة العاشرة للدورة الثامنة والثلاثين (١٩٦٩) التالي نصه : (يستعمل بعض الكتاب : العضو الرئيسي ، أو الشخصيات الرئيسيّة ، وينكر ذلك كثيرون . وترى اللجنة تسويغ هذا الاستعمال بشرط أن يكون المنسوب اليه أمراً من شأنه أن يندرج تحته أفراد متعددة) .

وكانت لجنة الأصول في المجمع درست مذكرة الزميل محمد شوقي أمين في تصحيح استعمال كلمة (رئيسيّ) تؤيده في رأيه مذكرة الزميل الراحل محمد خلف الله أحمد ، وقد عارضتهما في الرأي مذكرة الزميل الراحل عباس حسن ، الذي يرى أن زيادة الياء المشددة على كلمة رئيس في غير النسب خطأ لا تجيزه الضوابط القاعديّة ولا تدع - في غير المسموع - لتصويبه منفذاً .

وبعد مناقشة الرأيين أخذت لجنة الأصول برأي الزميل عباس حسن ، واعتمد مجلس المجمع رأيها ، وأقرّ المؤتمر رأيه بالنص المذكور آنفاً في الدورة التي سبق تحديدها .

على أن في مذكرة الزميل محمد شوقي أمين ، ما يثبت أن إضافة الياء المشددة الى بعض الأسماء عرفت في العربية قبل العصر المملوكي ، لا بل من أقدم العصور ، مثل كلمة : أجنبيّ ، والمعيّ ، وأريحيّ ، ونواسيّ ، ومتخييّ (امرؤ القيس) ، وقالوا فيها أقوالاً كثيرة منها : انها للمبالغة أو للتوكيد أو انها من باب إضافة الشيء الى نفسه ، أو انها زائدة ، فلا اعتبار لها . وقد أشارت أمهات المعجمات الى هذه التخريجات . (انظر قرار المؤتمر ونص المذكرات التي عرضت على لجنة الأصول ، كتاب الألفاظ والأساليب ١٦ مطبوعات المجمع ١٩٧٧) .

٩ ـ المستشرقون الفرنسيون وتعليم اللغة العربية للاوروبيين في الجزائر ١٨٣٠ ـ ١٩١٤ :

بحث أعده وألقاه الدكتور أبو القاسم سعد الله عضو المجمع المراسل من (الجزائر) .

بدأ الباحث حديثه بقوله : «اسمحوا لي أن أعلن أمامكم بأن الجزائر تستعد الآن لاستقبال أول دفعة من خريجي الثانوية المعربة ، كما تستعد لتعريب تعليم الطبّ في السنة الجامعية ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠ بعد أن قامت بتعريب تعليم العلوم الاجتماعية في السنوات الماضية ، لذلك فإن الجزائريين يتطلعون باهتمام كبير ، الى ما يقرّه المؤتمر الموقر ، من مصطلحات علمية وألفاظ حضارية لتكون لهم عوناً في مسيرة التعريب المنشود» .

ثم أخذ الباحث يشرح سبب اختياره ظاهرة من العلاقات الحضارية واللغوية بين الفرنسيين والجزائريين ، وهي ظاهرة تعليم العربية للاوروبيين على يد المستشرقين خلال سنوات ١٨٣٠ ـ ١٩١٤ .

ويمكن تلخيص النقاط الهامة التي وردت في البحث بما يلي :

أولاً : إن عزم الفرنسيين على استيطان الجزائر ، بحسبانها فرنسية ، اقتضاهم الاهتمام بلغة سكانها فحاولوا تعلمها ليسهل عليهم التعامل معهم ، فأنشأوا مدارس يتعلم موظفوها فيها اللغة العامية ، كما أنشأوا مناصب للمعلمين عهدوا بها الى المستشرقين منهم على حدّ تعبيرهم ، وأخذوا يتوسعون في دراسة اللهجات القبلية ، بهدف توسيع الشقة بينها وبين الفصحى .

ثانياً : أصبحت الجزائر منطلقاً للنشاط الاستشراقي ومركزاً لنشاطاتهم في كل من تونس والمغرب والسنغال وتمبكتو وغدامس ، وكلها تعمل لإضعاف الفصحى .

ثالثاً : استولى الفرنسيون على مؤسسات التعليم العربي وصادروا جميع أوقافها ، وما استطاعت الوصول اليه من كتب ومخطوطات زيادة في العمل على إضعاف العربية .

رابعاً : استخدم الفرنسيون سلطاتهم السياسية لخدمة الأغراض التبشيرية ، وتشجيع الإرساليات المختلفة ، مما كان مردوده سلبياً على اللغة العربية .

خامساً : صنف الفرنسيون العربية في ثلاثة أصناف هي :

١ - العربية الدارجة التي أخذوا يدرسونها ويشجعونها ، كما كانوا يعلمونها بالفرنسية ، وكانت كتبهم فيها تبدأ من اليسار الى اليمين .

٢ - العربية الفصحى ، ويطلقون عليها (الكلاسيكية) وتشمل لغة القرآن الكريم وكتب الحديث والأدب القديم ، وكانوا يعتبرونها لغة ميتة كاللاتينية والاغريقية .

٣ - العربية العصرية ، وتشمل لغة الجرائد والكتب الحديثة وكانوا يعتبرونها أجنبية تخضع لأنظمة رقابة المطبوعات .

سادساً : أثمرت جهود المستشرقين بنشوء طبقة من تلاميذهم الجزائريين همها تشجيع ما يسمى باللغة الجزائرية التي اعتبرها شيخ المستشرقين ماسنيون ، في تصريح له عن اللغة العربية بأنها : «ليست غريبة عنا ، بل هي جزء من تراثنا القومي» . وعدد الباحث كبار المستشرقين الفرنسيين والأوائل من تلاميذهم الجزائريين .

وشكر الأستاذ الرئيس للمتحدث جهوده في بحثه القيم وكما شكره عدد من الزملاء منهم الدكتور أحمد السعيد سليمان وأضاف ان مما يؤسف له حقاً ان الفرنسيين على طول إقامتهم في الجزائر ظلوا محتفظين بحقدهم على العرب وعلى

الاسلام ! بينما أضاف الدكتور مهدي علام بأنه شديد الاعتزاز والسعادة بمن عرفهم من الجزائريين من أساتذته وطلابه .

١٠ - شرح تشريح القانون لابن سينا :

بحث أعده وألقاه الدكتور حسن علي ابراهيم عضو المجمع من (مصر) .

ترجم الباحث بإيجاز للطبيب العربي الفذّ ابن النفيس المولود بدمشق حوالي سنة (٦٠٧هـ - ١٢١٠م) والمتوفى بمصر سنة (٦٨٧هـ - ١٢٨٨م) ثم أشار الى ما له من مؤلفات وخصّ أشهرها «شرح تشريح القانون لابن سينا» بالحديث .

ويؤكد جلّة من العلماء المحققين ، أن في كتاب شرح القانون الملمح إليه آنفاً ، ما يثبت أن ابن النفيس كان أول من كشف سرّ الدورة الدموية الرئوية .(٧)

وأخذ الباحث يتلو ما جاء في شرح ابن النفيس عن حركة الدم في الجسم نحو القلب ثم خروجه منه ، وهو يشرح للمؤتمرين مدلول

(٧) يهتم علماء تاريخ الطب بالعظماء من روّاد الطب الذين بفضلهم بلغ مكانته المعاصرة ، وما زال التاريخ مفتوحاً يسجل كل شاردة وواردة في تقدم الطب ورقيّه ، له معاهده وله الأساتذة المتفرغون لتدوين مستجداته خدمة للحقيقة وإنصافاً لأصحاب الفضل فيه .
وكان لكشف سرّ الدورة الدموية الرئوية قصة تنازع فيها الانكليز والاسبان في قرون ماضية ، فلما حلّ القرن العشرون دخل العرب حلبة النزاع ، وتم الحكم لهم قبل انتهاء الربع الأول من القرن بفضل طبيب مصري مغمور يدعى محي الدين التطاوي ، وهو من مواليد منوف سنة ١٨٩٦ ، ونال درجة الدكتوراه من جامعة غرايبورج بالمانيا برسالة موضوعها (الدورة الدموية تبعاً للقرشي) ولما عاد الى مصر عمل بوزارة الصحة وتوفي سنة ١٩٤٥ ، على ما ذكره الدكتور بول غليونجي في كتابه (ابن النفيس) الصادر في القاهرة في السبعينات عن الدار المصرية للتأليف والترجمة في سلسلة (أعلام العرب رقم٥٧) .
وقد استوفى في كتابه هذا قصة كشف الطبيب العربي ابن النفيس للدورة الدموية الرئوية استيفاء كاملاً .

الكلمات التي ذكرها ابن النفيس وما فيها من (تخبط) يدل على عدم فهم واضح لمسار الدم ، لهذا فإن القول عنه أنه مكتشف الدورة الدموية الرئوية ، قول غير صحيح ، والأمانة العلمية تقتضي بأن نقول إن المكتشف الحقيقي لهذه الدورة هو الطبيب الانكليزي وليم هارفي كما يقرّ العالم له بذلك .[^٨]

---

(٨) هذه المقولة سليمة لو قيلت في أوائل هذا القرن ، ولكن أن يجري بها سنة ١٩٨٩ لسان أحد كبار أساتذة الطب المصريين فأمر مستغرب ، وأكثر الموسوعات العلمية والطبية والتاريخية جاءت بما يناقضها ، فهذا مثلاً موجز (Rulliére) أستاذ تاريخ الطب في جامعة باريس (٦) يذكر عن ابن النفيس ما نصه بالحرف الواحد :

«Ibn An Nafis dans Son «Commentaire anatomique Sur Le Canon dAvicenne« décrit La petite circulation. Cet ´écrit ne Sera retrouvé qú au XX[e] Siécle .»

(عن ص ٨٠ من طبعة Masson الدولية ١٩٨١)

وهذا ANDRÉ HAHN وزميله في كتابهما المعنن HISTOTRE DE LA MÈDECINE ET DU LIVRE MÉDICAL يقولان في الصفحة ١٩٩ ما نصه بالحرف الواحد :

A Vrai dire la petite circulation ou circulation pulmonaire avait déjà e´té décrite prés de guatre cents ans avant harvey par Ibn-An-Nafis, traduit en latin par Andrea Alpago; et on ne saura sans doute jamais si ses travaux furent connus ou non du malheureux Michel Servet, ainsi que de Colombo, de Xésalpin, de Fabrice d'Acquapendente qui incontestablement en ont aussi parlé; mais il revenaite á William Harvey La gloire de démontrer, en 1613, Lacirculation du sang, et, quinze ans aprés, d'en livrer á La presse Le Secret dans un des plus émouvants Livres de médecine qui aient jamais paru.

عن طبعة Olivier Perrin Éditeur باريس) .

يضاف الى هذا ما جاء في الموسوعة العربية الميسرة الصادرة في القاهرة سنة ١٩٦٥ عن مؤسسة فرانكلن بإشراف محمد شفيق غربال وبقلم كوكبة من كبار أطباء مصر برئاسة علي توفيق شوشة ، ونصه : «. . ولكتابه شرح تشريح القانون ، أهمية قصوى لأنه في وصفه للرئة سبق غيره الى اكتشاف الدورة الدموية الرئوية ، ووصفها وصفاً علمياً صحيحاً ، فسبق بذلك مايكل سرفنس الذي يعزو الاوروبيون اليه هذا الاكتشاف ، ولا ريب ان هذا أعظم اكتشاف في التشريح قام به العرب» .

كما أن (الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) الذي طبعته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم باشراف محمد كامل حسين ، وكان قد اشترك في تاليفه مع ثلة من =

لقد ذهل أكثر المؤتمرين لدى سماعهم هذا الرأي من زميل له مكانته الفائقة لديهم ، وهو الذي كان يتحفهم في سنوات مضت بأحاديث رائعة عن كبار أطباء العرب والمسلمين ، وأسفوا لعدم توزيع نسخ من الحديث عليهم .(٩)

ولما انقضى من الوقت المخصص للبحث معظمه ، تطلعت الى وجوه المؤتمرين فألفيت أكثرها مكفهراً وقسماتها لا تنم عن ارتياح كعادتهم عند سماع ما يلقى عليهم ، وتلفت نحو الزميل أبي شادي الروبي ، فرأيته سادراً ، فظننته يهيىء رداً مناسباً على الباحث ، لأني كنت لا أزال تحت تأثير ما قرأته في كتاب له أهدانيه ،(١٠) كما أهدى كثيراً من الزملاء نسخاً منه ، قبل يوم واحد فقط ، وقد جاء فيه وهو يسجل لابن النفيس كشفين تشريحيين هامين ، ما يلي :

١ ـ الدورة الدموية الصغرى (الرئوية) : فقد فطن ابن النفيس الى أن اتجاه الدم ثابت ، وأن حركته ليست حركة مدّ وجزر كما كان يظن سابقاً ، وقال بأن الدم يمرّ من التجويف الأيمن للقلب الى الرئة حيث يخالط الهواء ، ثم يعود من الرئة عن طريق الوريد الرئوي الى التجويف

= كبار الأطباء وأحدهم أبو شادي الروبي ، قد أورد ما نصه : «إن أهم ما يذكره تاريخ الطب العربي لابن النفيس بالفخر والاعجاب هو كشفه للدورة الدموية الصغرى (الرئوية) فقد فطن ابن النفيس الى أن اتجاه الدم ثابت وأن حركته ليست حركة مد وجزر ، كما كان يظن سابقاً ، وقال بأن الدم يمر في تجويف القلب الأيمن الى الرئة حيث يخالط الهواء ثم يعود من الرئة عن طريق الوريد الرئوي الى التجويف الأيسر للقلب» .

(٩) يكون حكم القارىء على ما يقرأ أكثر دقة وإنصافاً من حكم السامع على ما يسمع ، لأن السامع لا يتبين مصادر المتحدث ولا يعرف المرجع الذي عوّل عليه في الحديث ، إن كان مطبوعاً أو مخطوطاً . عربياً أو أجنبياً ، أصلياً أو منقولاً الى لغة ثانية .

(١٠) محاضرات في تاريخ الطب العربي أصدرتها دار المريخ للنشر بالرياض سنة ١٩٨٨ .

الأيسر للقلب ، وكان ابن النفيس بذلك أسبق من سرفنس ومن وليم هارفي .

٢ ـ الشرايين التاجية (الإكليلية) للقلب : كان ابن النفيس أول من فطن الى وجود أوعية داخل عضلة القلب تغذيهما ، فهو يقول معارضاً ابن سينا. . . »[١١] .

ولم يلبث أن أنهى حديثه حتى لفّ قاعة المؤتمر تصفيق تنقصه حرارة الاستمتاع ، فأسرع الدكتور يوسف عز الدين (العراق) وكان يدير الجلسة الى جانب رئيس المؤتمر ، الى شكر الباحث على ما بذل من جهد وأضاف ملاحظاً أنه متتبع للموضوع ويعتقد بأن ابن النفيس أشار الى الدورة الدموية الصغرى ، وان اكتشافه لها ، كان موضوع رسالة للدكتوراه ، وقد أجيزت من قبل أطباء اوروبيين ، بعد اطلاعهم على مخطوطة كتاب ابن النفيس المحفوظة بالقاهرة ، وقد صدر فيها كتاب عن ابن النفيس للتطاوي ،[١٢] ثم أشار الى أن له كتاباً صدر حديثاً عنوانه «تراثنا والمعاصرة»[١٣] وفيه إشارة الى الموضوع نفسه .[١٤]

وقام الدكتور محمد يوسف حسن (مصر) يدافع عن الأطباء إذا ما وقعوا يوماً في خطأ ، وتساءل عن تقدم الطب هل تأتى إلا من تجارب

---

(١١) انظر ص١٠ من الكتاب السابق ذكره .

(١٢) رسالة الدكتوراه وضعها الطبيب محي الدين التطاوي ، أما كتاب ابن النفيس فمن تأليف بول غليونجي ، كما سبقت الإشارة الى ذلك .

(١٣) صدر عن دار الابداع الحديث للنشر على مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٧ .

(١٤) ورد في الكتاب ما نصه : «وحديث الدورة الدموية التي باهى الغرب بأن مكتشفها وليم هارفي تغير ، فقد اعترف أبناء الغرب أنفسهم ، ومنهم الكاتبة الفاضلة هونكه أن أول من نفذ بصره الى أخطاء جالينوس ونقدها وجاء بنظرية الدورة الدموية لم يكن سارفينوس الاسباني ولا هارفي الانلكيزي ، بل كان رجلاً عربياً أصيلاً من القرن الثالث عشر الميلادي ، وهو ابن النفيس ـ اكتشفها قبل هارفي بأربعة قرون ص٦٠» .

الأطباء وأخطائهم ، ثم أكّد على فضل ابن النفيس العميم الذي لا ينكر ، وإن وجدت في كتبه بعض الأخطاء على ما يدّعي الزميل المتحدث .

وقال الدكتور حسين علي محفوظ (العراق) ان ابن النفيس شارح القانون ، كان لغوياً بليغاً ، فقد وصف الأدوية وصفاً لم يتأت لأحد من قبله ، أما بحثه في الدورة الدموية إن جانبته الدقة ، فهو مسبوق اليها كما ثبت ذلك لدى متتبعي التراث الاسلامي القديم .

أما الدكتور مهدي محقق (ايران) فقد شكر للمتحدث ما يفيد بحثه ، وأعلن أن نسخة مخطوطة جميلة من شرح قانون ابن سينا محفوظة في مشهر الرضا بايران .

وانفرد الدكتور عبد الهادي التازي (المغرب) بتهانيه الحارة للباحث مصرحاً بأننا في أشد الحاجة الى أمثال هذا البحث فهي تكشف عن هويتنا . . وان قابلها بعضنا بالجفاء والتحجر . . وأردف يشكر الباحث على فروسيته في قول الحقيقة ، ونحن مرجوون بالعمل على إشاعة مثل الأفكار حرصاً على الأمانة العلمية وحتى لا نضلل أبناءنا وأحفادنا بادعاءات غير صحيحة .

وانبرى الدكتور عبد الكريم خليفة (الأردن) يسائل الباحث عما إذا كان قد اطلع على كل ما كتب في موضوع سبق ابن النفيس الى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى (الرئوية) قبل إعداد بحثه ؟[١٥]

---

(١٥) إن الكتب والأبحاث والمقالات التي نشرت ـ حتى اليوم ـ تترجم للطبيب العربي الدمشقي المصري ابن النفيس أو تتحدث عن سبقه الى اكتشاف الدورة الدموية الرئوية ، غدت أكثر من أن تحصى ، وتكفينا الإشارة الى أهمها وفي كل منها مصادره ، مثل الأعلام للزركلي وموسوعة الشطي عن تاريخ الطب ، واطروحة الدكتوراه التي قدمها عبد الكريم شحادة وأجيزت من فرنسا ، ودائرة المعارف الاسلامية ، ومقدمة تاريخ العلم لجورج سارتون ، وأعلام العرب والمسلمين في الطب لعلي عبد الله الدباغ . .

واسترسل الدكتور خليفة في بيان معلوماته عن كشف ابن النفيس للدورة الدموية الرئوية ، الى أن ذكر بأن ندوة علمية دولية عقدت في العام الماضي في جامعة عمان ، وقد انتهت البحوث الهامة التي ألقيت فيها الى إثبات ان الطبيب العربي ابن النفيس كان فعلاً هو المكتشف الأول للدورة الدموية الصغرى .

ثم وقف الدكتور محود حافظ ابراهيم (مصر) يقول معاتباً : عزّ عليّ كثيراً ، إن لم أقل آلمني جداً ، أن أسمع الزميل المحترم يقول عن ابن النفيس أنه كان (يتخبط) في شرحه مسار الدم ، لأن مثل هذه الكلمة لا تقال عن طبيب فذّ كابن النفيس حتى ولو كان مخطئاً ، وأنا أرجو إقرار حذفها من محضر الجلسة .

وعلّق الأستاذ عبد الرزاق البصير (الكويت) بأن كتاباً طبع حديثاً في الكويت ضمن مجموعة من كتب التراث من تأليف المرحوم الجندي ، وفيه ان ابن النفيس هو بالفعل المكتشف الأول للدورة الدموية الرئوية .

ولم يعط الإذن بالكلام لطالبيه ، وهم كثر ، بسبب انتهاء الوقت المخصص للحديث والتعليق عليه ، إنما أُذن للمتحدث بدقائق يرد فيها على من سبق له التعليق على الحديث .

أعلن الباحث جزيل الشكر لمن أثنى عليه أو انتقده على السواء . وأكد للمؤتمرين ان حديثه كان بدافع الأمانة العلمية والواقع التاريخي ، واصفاً ابن النفيس بأنه كان عالماً كبيراً ، وأنه كان فيزيقياً عظيماً ولم ينل شهرته البالغة في الغرب إلا بهذه الصفة ومن خلال رأيه السليم عن الخطار (البندول) .

وأعلن الرئيس ختام الجلسة .

١١ - الألفاظ العربية في اللغة البربرية :

بحث أعده الأستاذ محمد الفاسي عضو المجمع من (المغرب) وألقاه نيابة عنه الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع المراسل من (المغرب) .

ذكّر الباحث المؤتمرين بأنه ألقى في مؤتمر دورة سابقة بحثاً عنوانه «البربرية شقيقة العربية» ويريد اليوم التحدث عن المفردات العربية التي اقتبسها البرابرة بعد ان أسلموا واختلطوا بالعرب ، وردد أنه معني بأثر العربية في لغات الأمم الأعجمية التي اعتنقت الاسلام وحافظ على لغاتها القومية في التحدث ونظم الشعر ، إنما كانت تستعمل العربية في التأليف بالعلوم العقلية والنقلية ، وضرب مثلاً بعمر الخيام الذي ألّف بالعربية كتبه الرياضية ، ونظم رباعياته بالفارسية ، فنال بها شهرته العالمية ، واستدرك الباحث ، مع ذكر الرباعيات ، مؤكداً أن الخمريات فيها لا تمت الى المسكرات بصلة ، وإنما هي إشارات صوفية على غرار إشارات ابن الفارض ، ومن إساءة الفهم إطلاق الناس اسم عمر الخيام على بعض الملاهي والحانات .

ثم ذكر الباحث بأن علماء البرابرة صنعوا كما صنع عمر الخيام فقد صنفوا الكتب بالعربية كما انهم نظموا بها شعراً الى جانب نظمهم بالبربرية أشعارهم الشعبية ، وقد تسنى للباحث أن يجمع كثيراً من الشعر المنظوم بالبربرية ، فإذا به يحتوي على أكثر من خمسين بالمئة من الألفاظ ذات الجذر العربي ، وكانوا يأخذون الألفاظ العربية ، ثم (يبربرونها) بأساليب شتى ، عددها الباحث ثم شرحها واحدة واحدة .

وانتقد الأستاذ منير البعلبكي (لبنان) استعمال الباحث لفظ (برابرة) بدل (بربر) لأنها تدل في اللغات الأجنبية على القبائل الهمجية .

ورد عليه الدكتور أحمد السعيد سليمان (مصر) بأن كلمة (برابرة) تعادل في اليونانية لفظ (أعاجم) بالعربية .

وعلق الدكتور حسين علي محفوظ (العراق) على البحث ، بأن لفظ بعض الحروف في اللهجة العراقية ، المماثلة للبربرية ، مؤصلة عند اللغويين وقد دونها السيوطي في المزهر .

كما علق على الحديث الدكتور علي محمود مكي (مصر) بأن بعض الملاحظات التي وردت في البحث موجودة في اللهجة الاسبانية في الأصقاع الأندلسية .

وعلق الدكتور أبو القاسم سعدالله (الجزائر) مستفهماً عن الأبجدية التي يستخدمها الباحث في المعجم الذي تحدث عنه ، هل هي أبجدية عربية ، أم أنها أبجدية الأكاديمية البربرية في فرانسا اللاتينية ؟

وردّ الباحث شاكراً المؤتمرين والمعلقين ، مستغرباً استعمال لفظة (بربري) بمعنى همجي ، مؤكداً بأن حروف (التفيناغ) البربرية إنما تكتب بحروف عربية كما كانت التركية القديمة تكتب .

١٢ ـ معلومات عن علم الجراحة في الاسلام :

بحث أعدّه وألقاه الدكتور مهدي محقق عضو المجمع المراسل من (ايران) .

كان مطلع الحديث قول الباحث : «لما كان العمل الجراحي يجري على أيدي الأطباء المهرة المدرّبين ، والآلات والأدوات الحديدية المناسبة ، فقد افترقت التعبيرات عن العمل الجراحى في الطب الاسلامي باليد والحديد ، فتشاهد في كتب الطب نظير «علاج الحديد» الأعمال بالحديد ، «عمل اليد» وصناعة اليد ونحو ذلك . وهذه التعبيرات هي ما يطلق عليها اليوم اسم الجراحة المترجمة في الكتب الافرنجية الى

Operative Treatment Surgery ويطلق في الكتب الاسلامية على الطبيب الماهر علماً وعملاً في هذا الفن اسم «جراح» أو «جرائحي» أو «دستكار» وهي كلمة وردت من الفارسية الى العربية» .

وتكلم الباحث بعدئذ عن المصطلحات الطبية في كتب التراث الاسلامي ، ثم عن مصادر علم الجراحة عند المسلمين ، فعن المصادر اليونانية في علم الجراحة . ثم عن جراحي العالم الاسلامي وعن آلات الجراحة وأدواتها المختلفة ، ثم عرض لما كان يتم من امتحان لمعرفة درجة علم الجرائحيين ، وختم حديثه بالكلام عن أشباه الأطباء وأشباه الجراحين وما دونه العلماء عنهم .

وبعد شكر الباحث على حديثه ، علق الدكتور حسين علي محفوظ (العراق) متمنياً على الباحث إغناء بحثه بالأحكام التي ذكرها الفقهاء عن الجروح وبخاصة عن جراحة التجميل .

وعلق الدكتور أحمد السعيد سليمان (مصر) بقوله ان المنشار من أدوات الجراحة التي فات الباحث الحديث عنها ، وقد أفدنا بذكر «دست المباضع» بأن كلمة دست تعني الحقيبة .

١٣ ـ حول الأصوات المتوسطة في اللغة العربية :

بحث أعد خلاصته وشرحه الدكتور كمال محمد بشر عضو المجمع من (مصر) .

بدأ الباحث شرحه بذكر تقسيم سيبويه لأصوات الحروف العربية ، الى حروف شديدة وحروف رخوة وحروف وصفها بأن اللسان ينحرف فيها مع الصوت (الهواء) دون اعتراضه كما يعترض الحروف الشديدة، كما أنها ليست كالرخوة ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يخرج الصوت ، والأصوات المتوسطة في العربية خمسة يجمعها قولك «لن عمر» .

وأخذ الباحث يشرح كل هذا شرحاً مستفيضاً واضحاً مستهدفاً من بحثه الأمور التالية :

١ ـ تصحيح مفهوم حديث لمصطلح قديم (الشديد ـ الشدة) .

٢ ـ تصحيح مفهوم قديم لمصطلح قديم (المتوسط ـ المتوسطة) .

٣ ـ الكشف عن عبقرية النحاة العرب وبخاصة سيبويه ، وامتياز منهجهم في دراسة الأصوات وتحليلها .

وتلقى الباحث الشكر على شرحه القيم الواضح من كل من الزملاء : الأستاذ محمد الفاسي (المغرب) والدكتور حسين علي محفوظ (العراق) والدكتور حسن الفاتح قريب الله (السواند) والشيخ محمد نائل أحمد (مصر) الذي تساءل عن موقع علم التجويد بين العلوم الحديثة ، والدكتور شوقي ضيف (مصر) الذي يرى وجوب إضافة شيء من علم التجويد أو علم الأصوات الى تعليم النحو ، والدكتور عبد الهادي التازي (المغرب) الذي تمنى على الباحث تسجيل شرحه على شريط حتى يسمع وتزداد الإفادة منه .

١٤ ـ ليس في اللغة (واو) للاستئناف :

بحث أعده وألقاه الدكتور الشيخ محمد نايل أحمد عضو المجمع من (مصر) .

بدأ الشيخ حديثه قائلاً : «ذكر بعض النحاة المتأخرين ، وفي مقدمتهم ابن هشام ، أن الواو تأتي للاستئناف ، وذكروا بعض الشواهد من القرآن الكريم ومن الشعر. . » .

وأكد الباحث ان مراجعة كتب النحاة المتقدمين لسيبويه وابن جني وابن يعيش تثبت عدم وجود شيء اسمه (واو الاستئناف) ، ثم بدأ يناقش الأمثلة التي أوردها ابن هشام للتدليل على رأيه واحداً واحداً لينقضها ، وقال : «قال ابن هشام في (مغنيه) : ومن أقسام الواو واوان يرتفع

ما بعدهما إحداهما واو الاستئناف نحو قوله تعالى ﴿. . . لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ونُقِرُّ في الأَرْحَامِ ما نَشاءُ[16]﴾ إذ لو كانت الواو واو عطف لانتصب (نقرُّ) . .

قال الشيخ : «هنالك قراءتان في (نقرّ) الرفع والنصب ، فالرفع هو ما اعتمد عليه ابن هشام في رأيه ، والنصب عطفاً على (لنبينَ) ، وفي نفسي شيء من قراءة النصب ، لأن التعليل الواضح في (لنبين) لا يتضح في (نقرّ) بينما قراءة الرفع هي التي يساندها السياق .

والمتأمل في الآية يجدها استعملت حرف (ثم) في العطف سواء في الأطوار التي سبقت (نقرّ) والتي جاءت بعدها ، فلم تلجأ الى الواو إلا عند (نقرّ) وحدها . أليس في هذا التغيير إ شارة الى سرّ قصد إليه النظم ؟ أوليست الواو هنا مع ما بعدها (مما أقرّ في الأرحام) ما يشير الى حديث مطوي عن شيء لم يستقرّ في الأرحام ؟ وما أروع القرآن حين يوجز فيشير ، ويكتفي بالإشارة عن العبارة . إن ههنا حذفاً في الآية دلت عليه الواو والفعل المرفوع بعدها . يتبين ذلك حين نصوغ الآية بلغتنا نحن هكذا : يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانظروا كيف خلقتم . . إنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة ، وجعلنا الأرحام تلفظ ما نشاء مما لم نكتب له الحياة ، ونقرّ ما نشاء مما أردنا له الحياة ثم نخرجكم طفلاً . . فالواو عطفت (نقرّ) على (تلفظ) .

وانتهى الشيخ الى القول : «. . إن اللغة لا تقبل بحال وضع جملة بجوار اخرى ، إلا وبين الجملتين نسب وصلة . . وحديث النحاة عن واو الاستئناف قد يوهم جواز الانقطاع بين الجمل» الى أن قال : «إني لا أجد حرجاً في تعقب بعض الآراء التي تثقل هذا العلم ولا تفيده ، والتي يمكن

(١٦) سورة الحجّ : ٢٢ ـ ٥ .

ردّها بيسر الى القواعد والأصول المتسقة مع أساليبها الجميلة التي فطن اليها الفحول القدماء من النحاة وأرباب الفروق» .

ورفعت الجلسة بعد أن تلقى الباحث من زملائه جزيل الشكر على بحثه القيم .

١٥ ـ آدم وحواء وإبليس في القرآن الكريم :

بحث أعده وارتجله مستعيناً بجذاذته الدكتور حسين مؤنس عضو المجمع من (مصر) .

تكلم الباحث عن كثرة الدراسات القرآنية وتنوعها ، وعن العناية الفائقة التي كانت تبذل في تحفيظ القرآن وتدريسه ، ثم عن ضعف تلك العناية فتخلفها الى أن افتقدت ، مما أورث ضعفاً عاماً في إتقان العربية والالتزام بضوابطها ، وعزوفاً عند الشباب عن قراءة القرآن .

ورأى الباحث أن حالنا الراهن يقتضي المبادرة الى حُسن عرض ما في القرآن من بلاغة وحكمة وصور ، وضرب مثلاً في عرض قصة آدم وحواء وإبليس عرضاً باسلوب حديث يُقَرّبُ القرآن الى نفوس الشباب .

ثم اعتذر الباحث من زملائه عن عدم كتابة بحثه وتوزيع نسخ منه عليهم ، لأنه يريد رأيهم في فكرته قبل تدوينها ، وأخذ يوضح رأيه في ترتيب قصة خلق آدم وحواء وإبليس ترتيباً جديداً مبيناً ما قد يوجه اليه من نقد راغباً سماع رأي الزملاء في أقربها اليهم ليأخذ بها .

وحدثت محاورات ومناقشات حول بعض آراء الباحث الى ان انتهى الوقت فرفعت الجلسة .

١٦ ـ ألفاظ الحضارة في الوثائق العربية ذات الطابع الدولي :

بحث أعده وألقاه الدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع المراسل من (المغرب) .

بدأ الباحث الحديث قائلاً : «إذا كان العتاب قد وجّه من قديم لنا ـ نحن العرب ـ بسبب إهمالنا لتاريخنا الإقليمي ، فإن الشعور بالعتاب يزداد حدّة عندما يتعلق الأمر بحديثنا عن تاريخ علاقاتنا مع الأمم الاخرى» .

ثم أشاد الباحث بما دونه المؤرخون القدامى محمِّلاً أكثرهم تبعة عدم إعطائهم الوثائق العربية ذات الطابع الدولي ما نستحقه من عناية وتسجيل ، ثم يقدم الأمثلة على الذين وقع فيه أكثر اولئك المؤرخين .

وأخذ الباحث يقدم بعض الصور من تاريخ المغرب الدبلوماسي الذي عكف على تدوينه في مجلدات عديدة ضخمة الحجم ، أمر عاهل المغرب بطبعها تقديراً للجهود التي بذلت في جمعها . ثم اختار مئة وخمسة عشر لفظاً حضارياً أمكنه تقصيها من المجموعة المتعلقة بسفارة واحدة وردت من المغرب الى المشرق ، رتبها على حروف الهجاء ، أمثال : أمير المؤمنين وبرنس وحامي القبلتين والخُلعة وساعي البريد وقهرمان والفانوس واللحاف والناموسية والوصيف .

وأنهى الباحث حديثه بقوله : « . . إني على مثل اليقين من أن تتبع مثل هذه الوثائق الدبلوماسية من شأنه أن يعرفنا على المزيد من الكلمات التي ابتكرتها عبقرية أسلافنا والتي لم تقتصر فائدتها على المعجم العربي فحسب ، ولكنها تعدت ذلك الى إثراء المعاجم الاوروبية بطائفة من المفردات التي تستعمل الى اليوم على الصعيد السياسي وفي المجال العلمي كذلك» .

شكر الرئيس للباحث جهوده لإحياء التراث الفكري القديم ، كما شكر له هذه الجهود عديد من الزملاء معلقين على بعض الكلمات المختارة وعلى مدلولاتها القديمة والحديثة كان منهم كل من الدكتور سليمان حزين (مصر) والدكتور يوسف عز الدين (العراق) والدكتور محمود مكي (مصر) والدكتور حسين مؤنس (مصر) .

١٧ ـ مدخل الى الألفاظ الاسبانية المأخوذة من العربية :

بحث أعده وألقاه الدكتور محمود علي مكي عضو المجمع من (مصر) .

بدأ الباحث حديثه بذكر الشعوب التي هاجرت في العصور القديمة الى شبه جزيرة ايبريا (اسبانيا والبرتغال) وتحدث عما تركته تلك الشعوب من أثر ، الى ان دخل العرب البلاد رافعين فيها راية الاسلام ، الى قرون عديدة ، مما جعل تأثير لغتهم في لغة البلاد قوياً ، الى أن قال : « . . ويختلف العلماء الذين بحثوا هذا الموضوع في نسبة الكلمات العربية الى مجموع مداخل المعجم الاسباني ، فمنهم المقلل ومنهم المكثر» ثم بيَّن أسباب هذا الاختلاف ، على أن المتفق عليه هو أن اللغة العربية تلي اللغة اللاتينية في إمداد الاسبانية بثروتها من الألفاظ .

ثم أخذ الباحث في عرض تاريخي للدراسات التي تناولت التأثير العربي في الاسبانية بدءاً من القرن العاشر الميلادي حتى العصر الحديث . ثم أبدى ملاحظاته حول الألفاظ الاسبانية ذات الأصول العربية في المجالات الدلالية ، وفي مجال الفلاحة والزراعة ، ثم في مجال العمل والصناعة والتجارة ، وفي مجال صك النقود والأوزان والمكاييل والمقاييس ، وفي مجال النظم والوظائف والحرف ، وفي العمارة والبناء وفي الأثاث والأدوات وفي الطعام والشراب ، وفي الموسيقى والغناء ، وفي الألوان والملابس والعطور والأفاويه ، وفي الطيور والحيوانات والحشرات ، وفي ألعاب التسلية والصيد .

ثم عرض الباحث ملاحظات قيمة حول الأثر المعنوي للألفاظ الاسبانية ذات الأصل العربي ، والتغييرات الدلالية التي أحدثتها في نطق الحروف الاسبانية ، وجاء بأمثلة عن التأثيرات الظاهرية والخفية التي تبدو واضحة في مجال الترجمة والتعبير والنحو ، وكيف صارت الاسبانية معبراً لتأثير العربية في لغات اوروبية ولغات امريكا اللاتينية .

وشكر الرئيس للباحث حديثه المفيد كما شكره الزميلان الأستاذ محمد الفاسي (المغرب) والدكتور أحمد السعيد سليمان (مصر) مع تعليقات هامشية .

١٨ - إيحاءات بديع الزمان لابن شهيد في التوابع والزوابع :

بحث أعده وألقاه الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع (مصر) .

بدأ الباحث حديثه بالتعريف بابن شهيد[١٧] ، أحد كبار الأندلسيين أدباً وعلماً ، وبرسالته (التوابع والزوابع[١٨]) تخيل فيها أنه التقى بالجن وبالشياطين الذين كانوا يحركون الشعر في النفوس ، على ما كانت العرب تزعم بأن لكل شاعر شيطاناً .

وذكر الباحث كيف عرّض ابن شهيد في رسالته بكبار شعراء العرب ، متفاخراً بما له من شعر ، وكيف اختلف النقاد في تاريخ وضع تلك الرسالة ، مع عرض مختلف الآراء وتفنيدها واحداً إثر واحد . كما فنّد أقوالهم في تأثر ابن شهيد برسالة الغفران لأبي العلاء المعري على قول ، أو بتأثر هذا برسالة ابن شهيد على قول آخر ، الى ان قال : « . . ليس في رسالة ابن شهيد أي ذكر أو إشارة الى الجنة فضلاً عن أن تكون رحلة اليها ، إنما هي رحلة الى عالم الجن والشياطين ، فلا علاقة لها أيّ علاقة بعالم الغفران . . » .

ثم أبان الباحث عن رأيه الخاص قائلاً : « . . وفي رأينا أنه ليست فكرة شياطين الشعراء ، وما حدّث به الجاهليّون من أخبارهم هي التي

---

(١٧) هو أحمد بن عبد الملك من بني الوضاح الأشجعي من قيس عيلان ولد ثم توفي بقرطبة سنة (٤٢٦هـ - ١٠٣٥م) انظر أعلام الزركلي ج١ ص١٦٣ .

(١٨) التابع لغة : الخادم ، وعند الناس : الجني إذا تبع أحدهم ، فكان قرينه . والزوبعة لغة : الإعصار وعند الشعراء : الشيطان الذي يحرك الشعر في نفوسهم .

أوحت الى ابن شهيد رسالته ، إنما أوحى اليه بها بديع الزمان في مقامة من مقاماته تسمى «المقامة الإبليسية» .

وأخذ الباحث يدلّل على الصلة القوية بين (التوابع والزوابع) والمقامة الإبليسية لبديع الزمان ، خاتماً حديثه بقوله : «ولعل في كل ما قدمت ما يدلّ بوضوح على تعدد ايحاءات بديع الزمان لابن شهيد في رسالته» .

وتلقى الباحث أحر الشكر من زملائه على بحثه اللطيف الممتع .

رابعاً : بحوث ودراسات وزعت صور عنها ولكنها لم تقرأ

وزعت على المؤتمرين نسخ من عدة بحوث ودراسات ، غير أنها لم تقرأ في جلسات المؤتمر ، بعضها لغياب صاحبه ، وجلّها لضيق الوقت المخصص لها ، فاكتفي بنشرها في «كتاب المؤتمر» وهي :

١ ـ عرب وأعراب : بحث أعده الدكتور اسحق موسى الحسيني (فلسطين) .

٢ ـ جبال الجزيرة : دراسة أعدها الاستاذ عبد الله بن خميس (السعودية) .

٣ ـ التواصل الأدبي بين المشرق والمغرب قديماً وحديثاً : بحث أعده الأستاذ أبو القاسم محمد كرو (تونس) .

٤ ـ هل أثّر الأدب العربي في تطور الأدب الانكليزي ؟ دراسة أعدها الدكتور يوسف عزّ الدين (العراق) .

٥ ـ حول نشاط بعض المستشرقين : بحث أعده الأستاذ عبد الرزاق البصير (الكويت) .

خامساً : في الشعر

لم يأت أحد من شعراء المؤتمرين في هذه الدورة ، بشعر ما خلا الزميل الأستاذ حسن عبد الله القرشي (السعودية) فقد أسعدهم بالقاء رائعته التالية :

بَشَائِرُ ... في أفق العُروبة

حُلُمٌ غابَ في سَماءٍ بَعيدة
ثم آبتْ أطْيافُهُ المحْمودَة
ومَرَاءٍ ضاعَت وَراءَ عِجافٍ
مِن سِنينٍ ذِئابُها مرصودَة
ثُمَّ عادَتْ تَرِفُّ مِثْلَ رَفيفِ الْـ
ـفَجْرِ ، تُحيي أوطارَنا الموعودة
وَحَّدَ (المغرِبُ الكبيرُ) سُراهُ
وَبِهِ جدَّدَ الإخاءُ خُلودَه
قَبْلَ أحْيا (الخليجُ) وَحْدةَ شَعْبٍ
ثُمَّ أدْنى مَسارَها وحُدودَه
وبَدَتْ (مِصْرُ) في شَمائِلِها الغُرِّ
بِجَمْعِ القُلوبِ جِدُّ سَعيدَة
هِيَ بيتُ القَصيدِ في أُمَّةِ الْعُرْ
بِ ومِنْها الزَّمانُ أهْدَى نَشيدَه
حَمَلَتْ رايَةَ الكِفاحِ ومَازا
لَتْ ، تُباري أيّامَهُ المَشْهودَة
فاحْمد الصَّبْرَ كَمْ أنارَ سَبيلاً
كَمْ بِهِ حَقَّقَ الزَّمانُ وُعودَه

لا أرى الأُفْقَ غائِماً مِثْلَما كا
نَ، ولَكِنْ أُحِسُّ رَغْماً رُعودَه
فائْتِلافُ النُّفوسِ يَرجو مَزيداً
مِنْ صَفاءِ العُروبَةِ الممدودَة
ورِفاقُ الكِفاحِ ما زالَ فيهِمْ
عَاتِبٌ، غَاضِبٌ، ورُؤيا عَنيدَة!
لا تَسلْني عَنْ أَرْزِ (لُبنانَ) غابَ (ا
لأَرْزُ) واستهدفَ الجوَى غِرِّيدَه
وَيْح (لُبنانُ) قَدْ عَراهُ ذُبُولٌ
وأسَىً أرَّثَ الصِّراعُ وَقُودَه
غَالَه آلُهُ، ورُبَّ سلامٍ
ضَاعَ في مِحْنَةِ الأماني البَليدَة
نحنُ في مَوسِمِ الرَّبيعِ، فَلِمْ لا
نَتَفيَّا ظِلالَهُ المنْشودَة؟
كُلَّما شاقَني عَبيرُ رَوابِيـ
ـهِ تَحامَلْتُ، مُرْسِلاً تَنْهيدَة
إنْ أكُنْ قد عَشِقْتُ منه قَديماً
إنَّني رافِضٌ بِحَقٍّ جَديدَه
أَيَظَلُّ الإنسانُ فيه مُضاعاً
وتَظَلُّ المذابِحُ العِرْبيدَة؟
شَهِر الغَدْرُ فيهِ أمْضى سِلاحٍ
واسْتَجَدَّ العدوُّ فيهِ المَكيدَة
فغَدَا صَرْحُهُ حمىً مُسْتَباحاً
أَتُرى يكسِرُ الإخاءُ قُيودَه
لَهْف نفسي لِجَنَّةٍ قَد تَهاوَتْ
ولِحُرِّيَّةٍ غَدَتْ مفقودة

نَكَسَ الدهرُ ثَمَّ أعلامَه جَوْ
راً ، فهلْ يَستعيدُ خُضْراً بُنودَه ؟

* * *

في (فلسطينَ) عاصِفٌ هالَ (صهيو
نَ) فآضتْ آمالهم مَصْفودَة
نَفَضَ الثائرونَ أكْفانَ ذُلٍّ
وارْتَدوا حُلَّةَ النِّضالِ العَتيدَة
مِنْ صِغارٍ عادوا كِباراً بعزم
راعَ زَحْفَ العدوِّ ، فَلَّ حديدَه
تَركوه في ذَهْلةِ الذُّعْر يَهذي
لم يُبالوا تهديدَه ووَعيدَه
مَضَغوا الجمرَ ، فاستحالوا شَراراً
حَفَزَتْهم الى الجِهادِ العَقيدَة
صَعَقوه حِجارةً بارَكَ اللـ
ـهُ ليَصْلي نيرانَها المَوْقودَة
أرْخَصوا مِنْ عِنادِهِ مُسْتَبِدّاً
نَشوةُ الثَّأرِ تَستَفِزُّ شَهيدَه
ودِيارُ الأحْرارِ مهما اسْتُضيمَتْ
فهي تُخْزي الباغي ، وتَعْجِمُ عودَه
صَمَدَ الناشِؤونَ في خَيْمَةِ القَهْـ
ـرِ فأضْحَوا على الزَّمانِ شُهودَه
أذْكَرونا أمجادَ ماضٍ عَريق
في زَمانِ المَطامِحِ المحدودة
أرجَعوا دَولةً بِرغْم المآسي
واسْتَعادوا كيانَهم ، ووُجودَه

مصرعُ البغْيِ حَانَ فالبَغيِ مَخْذو
لٌ ، واحْلامُهُ غَدَتْ موؤودة !

* * *

أَمةَ العربِ غُرْبَةُ الرُّوحِ طالتْ
ولَوى الدهرُ عَنْ أمانِيكِ جِيدَه
قد تَداعَى عليكِ في غَفْلَةِ النصـ
ـرِ ، خَبيثٌ ضارٍ يَحثُّ جُنودَه
فاستعزّي بِوحْدةٍ تَرْفَعُ الظُلْـ
ـمَ ، وتُعلي راياتِنا ، المَعْقودَة
مُنْذُ حينٍ ونحنُ نَرْقُبُ صُبحاً
قَدْ أدامَ ازْوِرارَه ، وشُرودَه
أَتُراهُ يَجيىءُ بَعْدَ تناءٍ
فَنناجي بِفَرْحَةِ القَلْبِ عِيدَه ؟!

سادساً : محاضرات عامة

لبى المؤتمرون وجمهرة غفيرة من أهل الفضل والعلم والأدب ، الدعوة العامة التي وجهت اليهم لسماع المحاضرتين اللتين ألقياهما ، في قاعة الاحتفالات بمبنى المجمع ، الزميلان :

المحاضرة الأولى : ألقاها الدكتور كامل محمد بشر عضو المجمع (مصر) وكان عنوانها : «**تيسير التقعيد لا القواعد**» منهج في درس اللغة العربية .

عرض فيها المحاضر لواقع تعليم اللغة العربية ، والاتجاه العريض نحو تيسير قواعد اللغة على المتعلمين تسهيلاً عليهم لإتقانها ، فبيّن أن المنهج الصحيح لخدمة الفصحى يكمن في تيسير تقعيدها لا في تيسير

قواعدها وهي محكمة . ولاقت المحاضرة اهتماماً كبيراً من جمهور المستمعين أعقب مناقشات حارة اشترك فيها كل من الدكتور سليمان حزين والدكتور شوقي ضيف وبعض أساتذة العربية في الجامعات .

المحاضرة الثانية : ألقاها الدكتور شوقي ضيف الأمين العام للمجمع وكان عنوانها : «**استكمال عبد الرحمن الأوسط لمقومات الحضارة الأندلسية**» عرض فيها المحاضر لشيء من تاريخ الأندلس منذ تأسيس الدولة الأموية فيها ، الى أن تولى الامارة فيها عبد الرحمن الأوسط فعمل على أخذ ما انتهت اليه الحضارة في المشرق بجميع مقوماتها من رفع مستوى المرأة الى رعاية العلماء والشعراء والمغنين وتنظيم الدواوين حتى غدت قرطبة تحاكي بغداد في الرقي والحضارة .

ولقي المحاضر أحر تقدير على محاضرته الممتعة الشيقة .

سابعاً : المعجم الكبير

عرضت على المؤتمرين المواد التي أقرها مجلس المجمع ، مما أنهت لجنة المعجم الكبير تصنيفه ، وهي المواد المبتدئة من أول مادة (ح ذ و ـ ي) الى نهاية مادة (ح ر ك ل) .

واستمع المؤتمرون الى تقرير وشرح الدكتور مهدي علام مقرر لجنة المعجم عن إنجازات اللجنة وأسماء من اشترك فيها ومن عمل معهم من الإداريين والموظفين الذين يستحقون خالص الشكر وجزيل التقدير .

وأقرّ المؤتمرون توجيه الشكر للجنة ومن عمل معها ، والمواد المعروضة عليهم ، على أن تنظر اللجنة في الملاحظات التي سيبعث بها الأعضاء خلال الأشهر القادمة .

ثامناً : أعمال لجنة الأصول

عُرضت على المؤتمرين أعمال لجنة الأصول التي أقرّ مجلس المجمع عرضها عليه ، وهي المسائل الأربع التالية :

١ ـ جمع الجمع :

«درست اللجنة موضوع (جمع الجمع) ورجعت فيه الى قرار قديم للمجمع ، منذ خمسة وأربعين عاماً ، نصّ على أن جمع الجمع مقيس عند الحاجة[١٩] ، ورأت اللجنة ، بعد دراسة الموضوع ، ان هذا القرار مجمل ، فاقترحت تعديله على الوجه الآتي :

ينقاس ، عند الحاجة ، جمع الجمع المكسّر ، جمع تكسير ثانياً ، أو جمع مؤنث سالماً[٢٠]» .

---

(١٩) قرار المؤتمر الملمح اليه ، اتخذ في الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة العاشرة سنة ١٩٤٤ وقد احتج له محمد الخضر حسين ـ المجلة ٦ ص٧٥ . (انظر مجموعة القرارات العلمية ج٣ مطبوعات المجمع ١٩٦٣) .

(٢٠) بمقتضى التعديل الجديد فإن جمع التكسير قد يجمع ثانية جمع تكسير ، أو جمع مؤنث سالماً ، كما في المجموعتين التاليتين :

١ ـ عَبد ـ أعْبد ـ أعابد
إناء ـ آنية ـ أوان
عرب ـ أعراب ـ أعاريب
أصيل ـ أُصُل ـ أصائل
عُقاب ـ عِقبان ـ عقابين

٢ ـ عطاء ـ أعطية ـ أعطيات
غرفة ـ غُرف ـ غُرفات
طريق ـ طرق ـ طرقات
بيت ـ بيوت ـ بيوتات
جمل ـ جمال ـ جمالات

(انظر مذكرة مقرر الجنة شوقي ضيف)

وبعد شرح مقرر اللجنة مآل الاقتراح أقرّه المؤتمرون بالاجماع .

٢ - الصدارة لأدوات الاستفهام والشرط :

«درست اللجنة بعض أساليب الاستفهام والشرط التي تجري على ألسنة الكتّاب ، مثل : الامتحان متى ؟ . . تحديد النسل مشكلة اقتصادية ؟

ورجعت الى ما سبق للمجمع أن قرره في هذا الموضوع ، وأخذت بما قرره النحاة من أن أدوات الاستفهام لها الصدارة دائماً في جملتها ولا يعمل فيها ما قبلها .

وانتهت اللجنة الى القاعدة التالية :

«تتصدر أدوات الاستفهام جملتها ولا يعمل فيها عامل قبلها ، من فعل وغير فعل ، وكذلك أدوات الشرط تتصدر جملتها ولا يعمل فيها قبلها عامل» .

فقال الدكتور حسين علي محفوظ (العراق) إن تأخير أداة الاستفهام ، في استعمال (كيف) لا يخرجها عن الصدارة ، ومن الأفضل أن يؤول هذا التأخير بنية كمال انقطاع كما يقول البلاغيون .

فأجابه الدكتور شوقي ضيف (مقرر اللجنة) : هذا تأكيد لما ذهبت اليه اللجنة في قرارها .

وعرض قرار اللجنة على التصويت فأقرّه المؤتمرون بالاجماع .

٣ - إخراج غير وسوى من باب الاستثناء :

«استعرضت اللجنة المواضع التي تجيء فيها (غير) موضع (إلا) في القرآن الكريم والحديث الشريف ولغة العرب ، كما استعرضت قرارات المجمع السابقة حول استخدام (غير) في باب الاستثناء ، ودرست تلك المواضع ، وانتهت الى القرار التالي :

(غير) اسم يتأثر بالعوامل النحوية المختلفة ، شأنه في ذلك شأن بقية الأسماء . وترى اللجنة **إخراجه من باب الاستثناء وإعرابه في المواضع التي يمكن توجيهه فيها على أنه منصوب حالاً منصوبة** ، أخذاً برأي أبي علي الفارسي . ومثل (غير) في ذلك (سوى)» .

قال الدكتور حسين علي محفوظ (العراق) : إن (غير) و(سوى) من الكلمات التي لها معنى الاستفهام وتؤدي أداءه ، فأرجو أن تفصل اللجنة بينهما وتقصر الكلام على (غير) لأنها وحدها التي تظهر عليها علامات الإعراب .

فأجابه الدكتور شوقي ضيف (مقرر اللجنة) إن وضع (سوى) مع (غير) هو ما فعله النحاة ، وحكم (سوى) يأتي دائماً مطابقاً لحكم (غير) .

وعرض قرار اللجنة على التصويت فأقرّه المؤتمرون بالاجماع .

٤ ـ بعض مسائل النسب :

«درست اللجنة بعض مسائل النسب ، ورجعت الى ما قرره علماء النحو القدامى ، كما رجعت الى قرارات المجمع السابقة ، وانتهى رأي اللجنة في هذه المسائل الى ما يلي :

القرار الأول : كل ثلاثي حذفت فاؤه أو لامه ، سواء عوض عنها بحرف كالتاء (مثل : عدة ـ سنة) أو ألف الوصل (مثل : ابن) ، أم لم يعوض (مثل : أب) يرد المحذوف واو قبل ياء النسب ، وتستثنى كلمة (اسم) فينسب اليها من غير ردّ ، فيقال (اسمي) .

القرار الثاني : يجوز في النسب حذف الياء والواو من فُعيل (بفتح الفاء وضمها) مذكرة ومؤنثة ، ومن فَعولة (بفتح الفاء) كما يجوز بقاؤهما ،

ما لم تكن العين فيها مضعفة أو معتلة ، فلا حذف ، وما لم يؤد الحذف أو الإبقاء الى لبس ، فإنه يلتزم ما لا لبس معه حذفاً أو إبقاءً .(٢١)

القرار الثالث : يُنسب الى جمع المذكر السالم ، إذا سُمي به ، على صورته التي جاء بها من غير حذف .(٢٢)

تاسعاً : أعمال لجنة الألفاظ والأساليب :

عُرضت على المؤتمرين الأعمال التي أنجزتها لجنة الألفاظ والأساليب ، وأجازها مجلس المجمع ، وفيما يلي قصة ما تم فيها :

الألفاظ التي أجيزت (مَعْجَمَتُها) :

«تدارست اللجنة في أثناء اجتماعاتها عدداً كبيراً من الألفاظ والأساليب المعاصرة ، التي تدور على الألسنة في الحياة الجارية والتي يشيع توظيفها في أعمال بعض المثقفين . ولكن فيها ـ في الوقت نفسه ـ مظنة الخروج عن أصول العربية مبنىً أو معنى ، ويلفّها الشكّ حول

---

(٢١) هذا القرار مستنبط من سنن العرب في النسب ، فقد قالوا في قُريش : قُرشي وقُريشي ، وفي شنوءة : شنئي وشنوئي ، ولم يقولوا في تميم سوى تميمي لأنه مضعف العين فاستثقلوا النسب مع الحذف ، كما يقولوا في جليل : جللي للبس مع النسب الى جلل ، ومنعوا الحذف في معتل العين فقالوا في طويل : طولي ، وفي النسب الى أبي حنيفة : حنفي لمنع اللبس مع النسب الى حنيف ، ولم يقولوا في نمير سوى نميريّ بدون حذف ، ولم يقولوا : في البادية سوى بدويّ ملاءمة مع حضريّ .

(٢٢) النسبة الى جمع المذكر السالم ، إذا أصبح علماً ، مختلف عليها بين النحاة ، فبعضهم يرى النسبة الى مفرده ، ويرى آخرون أن تكون النسبة الى صورته التي هو عليها . وأخذت اللجنة بالرأي الأخير ، مستأنسة بما جاء في كتاب سيبويه في باب ما لا ينصرف (إذا سميت ببنت أو أخت تحصنت التاء وصارت جزءاً من الاسم) وعلى هذا فلو سميت رجلاً (سالمون) أو (عالمين) وأردت النسبة تقول : سالمونيّ وعالمينيّ (انظر مذكرة محمد نايل) .

فصاحتها أو عاميّتها من أحد هذين الجانبين أو كليهما ، أو حول أهليّتها للانضمام الى الفصيح الصحيح من الكلام أو طرحها وعدم الأخذ بها في الاستعمال المقبول من حيث قواعد العربية في التوظيف اللغوي .

تناولت اللجنة هذه الألفاظ والأساليب أُحاد أُحاد ونظرت فيها نظرات متأنية ، قصداً الى إجازتها أو عدم إجازتها ، آخذين في الحسبان أمرين مهمين :

أولهما : ألّا تصطدم الإجازة بمعايير الصياغة اللفظية في العربية ومعايير تغيير المعنى فيها بالتوسيع أو التضييق أو التعميم أو التخصيص في الدلالة أو نقلها للملابسة .

ثانيهما : روح العربية وخواصّها الأصيلة التي تتمثل في قابليتها للتجديد والتنبيه لتقابل حاجة الناس من وسائل التعبير ، وفي قدرتها على استيعاب الجديد وهضمه وتمثيله حتى ليصبح جزءاً لا يتجزأ من نظامها أو ثروتها اللفظية .

وقد أدّى الأخذ بهذين المبدأين الى طرح عدد كبير من الألفاظ والأساليب التي تناولتها اللجنة بالدرس وعدم إجازتها ، في حين استقر رأيها على إجازة عدد آخر معروض اليوم لإبداء وجهات النظر فيه ، حتى يحظى كلّه أو بعضه بالقبول ، ومنحه الشرعية اللغوية في الاستعمال العام والخاص جميعاً .

والمادة المعروضة اليوم جاءت كلّها أو جلّها ألفاظاً مفردة ، وقد رأت اللجنة عرضها الآن نظراً لكثرة شيوعها وتداولها بين الناس ، وأملاً في بيان وجه الحقّ فيها ، لتنضمّ بوضوح الى أحد الجانبين : الصواب والخطأ . وهذه الألفاظ التي أقرّتها اللجنة :

بطحه - باخ - باش - (جخّ - جخّاخ) - اجربّ (اللون) - احتاس - خناقة - دلدول - الدوشة - زاغ (زوّغ) - سبسب - فضفض - قفش - لخم .

وأخذ مقرر لجنة الألفاظ والأساليب الدكتور شوقي ضيف بعرض هذه الكلمات على المؤتمرين واحدة واحدة بالترتيب التالي :

بطحه : ألقاه على وجهه فانبطح ، ومن شأن من يلقى على وجهه أن يصاب بجرح ، ويستعمل هذا الفعل بمصر بمعنى جرحه ، حتى أصبح حقيقة عرفية .

وقد احتج لادخال الفعل في المعجم العربي الدكتور الشيخ محمد نايل بمذكرة قدمها الى اللجنة فأقرّت الاقتراح .

وعند عرض الاقتراح على المناقشة ، وقف في وجه إقراره كل من : الدكتور عبد الكريم خليفة (الاردن) الدكتور حسين علي محفوظ (العراق) الأستاذ محمد الفاسي (المغرب) الدكتور أبو القاسم سعد الله (الجزائر) الدكتور يوسف عز الدين (العراق) الدكتور عبد الهادي التازي (المغرب) ، فحاول أعضاء اللجنة الدفاع عن اقتراحهم ، فكانت حججهم داحضة ، تجاه مخاطر قبوله ، مما اضطر معه الرئيس ابراهيم مدكور الى اقتراح ردّ مجموعة الكلمات الى اللجنة لمزيد من الدراسة .

فوافق الدكتور شوقي ضيف مقرر الجنة باسمها على سحب اقتراحاتها فتقرر بالأكثرية إعادة الألفاظ الى اللجنة لمزيد من الدراسة .

عاشراً : توصيات المؤتمر واختتامه

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية في صباح الخامس من شعبان سنة ١٤٠٩هـ الموافق ١٣ من آذار (مارس) سنة ١٩٨٩م ، واستمعوا الى تقرير

الأمين العام الدكتور شوقي ضيف ، وقد عرض عليهم موجزاً لما تمّ في الدورة الخامسة والخمسين هذه ، كما قرأ عليهم مختلف الاقتراحات وطلب التوصيات التي وردت عليه من المؤتمرين .

وبعد تداول الرأي ومناقشة جميع الاقتراحات ، أقرّ المؤتمرون التوصيات التالية :

التوصيات

١ ـ يوصي المؤتمر أن يعنى في مرحلة التعليم الأساسي بتعلُّم قدر كافٍ من القرآن الكريم حفظاً وتلاوة وفهماً وتفسيراً وبياناً لبلاغته حتى تستقيم الملكة اللغوية عند الناشئة ويتمثلوا قيمه الجمالية .

٢ ـ يدعو المؤتمر الدول العربية والاسلامية الى التمسك بكتابة لغتها بالأبجدية العربية ، ويخص بالدعوة الصومال حكومة وشعباً للعودة سريعاً الى الأبجدية العربية ، ويهيب بالدول والحكومات العربية أن تتخذ شتى الوسائل لهذه العودة المنشودة .

٣ ـ يؤكد المؤتمر توصياته السابقة بتعريب التعليم الجامعي والعالي في الوطن العربي وأن يقوم الأساتذة الجامعيون بتأليف كتب علمية وافية في مواد تخصصهم مع تمكين طلابهم من العربية وإحدى اللغات الأجنبية ، حتى يواكبوا تقدم العلوم في الغرب مواكبة قويمة .

٤ ـ يوصي المؤتمر بتوحيد المصطلحات العلمية في جميع البلدان العربية حتى تزول البلبلة الناشئة فيها بسبب ما تصنعه بعض الهيئات ـ ويصنعه بعض الأفراد ـ من إصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، وينبغي ان يعهد بهذا التوحيد الى هيئة أو مركز في إطار اتحاد المجامع اللغوية .

٥ ـ يوصي المؤتمر مجامع اللغة العربية والمؤسسات العلمية أن تعمل على إصدار معاجم حضارية تفي بألفاظ الحضارة المادية المستعملة في الأقطار العربية إعداداً لإصدار معجم حضاري موحد للوطن العربي .

٦ - يوصي المؤتمر بالعمل الدائب على إحياء كنوز تراثنا العربي الروحي والعلمي والأدبي والفكري لما لذلك من أثر عظيم في تبين هويتنا وشخصيتنا وإزاحة النقاب عن ماضي أمتنا ومثلها العليا في التربية والأخلاق .

٧ - يوصي المؤتمر بزيادة عدد الساعات في تدريس قواعد العربية بمراحل التعليم الأساسي والعام مع العناية بتيسيرها على الناشئة والاستضاءة في ذلك بما قرره مؤتمر الدورة المجمعية الخامسة والأربعين من تبسيط لتلك القواعد . وسيعنى المجمع بطبع ما ارتآه من هذا التبسيط في كراسة ونشرها على نطاق واسع .

٨ - يوصي المؤتمر بأن يعنى في التدريس للناشئة ، وفي جميع وسائل الاعلام وفي المسارح - وخاصة مسارح الدولة - وفي الاذاعتين المسموعة والمرئية باستخدام اللغة الفصيحة السليمة ومراعاة صياغاتها مراعاة دقيقة .

٩ - يؤكد المؤتمر بتوصياته السابقة بأن تعنى وزارات الاعلام وهيئات الاذاعتين المسموعة والمرئية بإعداد العاملين في الإذاعة ووسائل الاعلام إعداداً لغوياً دقيقاً وأن تُعدّ لهم دائماً دورات لتدريبهم على الضبط الإعرابي والنطق السديد وبيان ما يجري على ألسنتهم من أخطاء لغوية .

١٠ - يؤكد المؤتمر - حفاظاً على الهوية العربية - ما أوصى به في دورتيه السابقتين من مقاومة كتابة اللافتات على المحال التجارية وغيرها بأي لغة غيرالعربية ، كما يوصي بمقاومة كتابة الأسماء الأجنبية بحروف عربية ، ويدعو كل حكومة عربية الى إصدار تشريع يحظر استخدام هذا الاسلوب ويُجرّم من يستخدمه .

١١ ـ يؤكد المؤتمر دعوة جميع القادة والمسؤولين في الوطن العربي أن تكون خطبهم وبياناتهم الموجهة الى الجماهير باللغة الفصيحة لما لذلك من أثر بعيد في انتشارها والشغف ببيانها السليم .

١٢ ـ تُبلَّغ توصيات المؤتمر وقراراته الى المجامع اللغوية والعلمية واتحاد المجامع والجامعات ووزارات التعليم والثقافة والاعلام في الوطن العربي .

★ ★

وأخيراً أعلن الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المؤتمر ختام الدورة الخامسة والخمسين ، شاكراً للمؤتمرين جهودهم الفائقة ، متمنياً اللقاء بهم الدورة القادمة إن شاء الله والجميع بأتمّ الصحة والنشاط .

دمشق في ١٩٨٩/٥/٢٨ عدنان الخطيب

إِذا
بين الظرفية والشرطية
محاولة لقراءة جديدة

للدكتور فيصل ابراهيم صفا
جامعة اليرموك

تقديم :

يثير القول بظرفية (إذا)* وشرطيتها حيرة في تعيين المراد منها إنْ في التركيبات التي تتصدر فيها هذه الأداء ، أو في التركيبات التي تبرز فيها متوسطة . ومع ذلك فان النحاة لا يرون ضيرا في تضمن (إذا) هذه للمعنيين (أي : الظرفية والشرطية) في وقت واحد .

لقد درج النحاة على النظر في (إذا) من حيث هي ظرف يتضمن معنى الشرط ، حتى في التركيبات التي تتصدر (إذا) فيها . وهذا يعني أصالة الظرفية فيها عندهم . ولقد دأبوا على ذكر (إذْ) ، ظرفاً لما مضى ، وذكر (إذا) ظرفاً لما استقبل . ويبدو أن ما حمل النحاة ، على هذه المقابلة

---

* يشير مالك يوسف المطلبي في كتابه : السياب ونازك والبياتي - دراسة لغوية ، ص٨٧ - ٩٢، إلى اضطراب النحاة في تعيين الزمن وإلصاقه بـ (إذا) ، ويخلص إلى أن (إذا) غير ذات دلالة على الزمن .

بين (إذا) و (إذْ) ، أن (إذا) تجعل ما كان في حيّزها مستقبلاً . فإذا كانت (إذْ) لما مضى ، فـ (إذا) لما استقبل . وعليه ، فإن هذا البحث يقدم محاولة لقراءة جديدة في ظرفية (إذا) وشرطيتها ، ويُزجي بين يدي القول بشرطيتها فقط تحليلات تؤيد ذلك ، وعلى الأخصّ في التركيبات التي تتضمن ما يصلح أن يكون شرطاً متلوّا بجواب ، أو جوابا متلوّا بشرط . هذه التحليلات تناقش كذلك مدى صحة عدّ (إذا) ظرفاً فقط ، أو ظرفاً وشرطاً في السياق الواحد . ويخلص هذا البحث إلى أن (إذا) ليست ظرفاً ملازماً للإضافة ، ولكنها أداة للشرط ، وأنها باعتبارها أداة شرط فانه يجوز لجوابها أن يتقدم عليها وعلى شرطها . هذه النتيجة الأخيرة تصدق بالطبع على سائر أدوات الشرط .

بين (إذا) و (حين)

ربما تكون مقابلة (إذا) ، التي قيل انها ظرف للزمان ، بـ (حين) ، عندما تكون كل منهما مضافة ، معينةً في تقرير ظرفية (إذا) ، أو عدم صلاحيتها لذلك .

ان استخدام (حين) ظرف زمان مضافاً لا يضيره أن يكون تالياً لما هو ظرف له أو سابقاً عليه . فللظرف في العربية نصيب كبير من حرية الحركة في التركيب ، فهو في تأخره ظرف لما قبله ، وهو في تقدمه ظرف كذلك لما هو متقدم عليه . ولو رحنا نتأمل الآيات التالية :

(١) أ ـ «وإنْ تسألوا عنها حينَ يُنَزّل القرآن تُبْدَ لكم عفا الله عنها»[١] .

أي : في زمان الوحي ، وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه[٢] .

---

(١) المائدة ٥/١٠١

(٢) الزمخشري ، الكشاف ١/٦٨٤

ب ـ «شهادةُ بينِكِمْ إذا حضر أحدَكم الموتُ حين الوصية اثنان. .»[٣] .
جـ ـ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلا. .»[٤] .

لوجدنا أنّ ما قبل (حين) وما بعدها يتفق وقوع أحدهما مع الآخر في الزمان سواء أكان الحدثان متماثلين أم مختلفين ، فالسؤال في (١/أ) موافق في زمان وقوعه لتنزيل القرآن ، وحضورُ الموت أحدَهم متفق الزمن مع وقوع الوصية من المحضور في (١/ب) ، والعلم المستقبل مواقع لرؤية العذاب في (١/جـ) .

ان تقديم (حين) ظرفاً مضافاً ، لا يعني على الاطلاق إخلالاً بضرورة اتفاق زمان حدوث ما أضيفت إليه ، من جهة ، وزمان الحدث في الجملة الأصلية ، من جهة أخرى ، كما يتضح فيما يلي :

(٢) «ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون»[٥].

فزمان وقوع استغشاء الثياب مطابق (من حيث واقع التركيب) لزمان العلم بالسر والعلن ، على الرغم من أن العقيدة تقول بقيام العلم منذ الأزل .

وحين يقال إن (إذا) ظرف للزمان ملازم للاضافة ، فإنه يتبادر إلى الأذهان على الفور أن (إذا) هذه بمنزلة (حين) التي تستخدم مضافة ، لكن لا على اللزوم . ذلك ان (إذا) قد يكون التركيب مبدوءاً بها ، كما قد تكون مضمنة فيه تماما كما تستخدم (حين) ، من الناحية الشكلية على الأقلّ ، هكذا :

(٣) آتيك إذا احمرّ البسر[٦] .

---

(٣) المادة ٥/١٠٦
(٤) الفرقان ٢٥/٤٢
(٥) هود ١١/٥٥
(٦) سيبويه ، الكتاب ٣/٦٠

(٤) «إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجّدا وبكيّا»[٧] .

فإذا كنا نقول بوقوعها ظرفية فيما سبق ، فانه لا بدّ أن يكون زمان وقوع الحدثين ، قبلها وبعدها ، واحداً ، أي أن الاتيان يوافق الاحمرار في زمن الوقوع ، وان تلاوة الآيات توافق الخرور في زمان الوقوع كذلك . وعليه يكون تركيب (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن) ظرفاً مقدماً لتركيب (خروا سجدا وبكيا) ، من حيث كان موقع الظرف في العادة تالياً للمظروف ، ولجواز تقدم الظروف على ما يظرف فيها . فإذا كنا ، إضافة إلى ما سبق ، نقول بأن (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان ، فإن وقوعها ظرفاً يعني أن اتفاق الحدثين في زمان الوقوع يجب أن يكون في جزء من أجزاء المستقبل .

هكذا ، إذاً ، يكون النظر إلى (إذا) في افادتها الظرفية الزمانية ، حَسْبُ ، كـ (حين) . أمّا أنّ (إذا) تستخدم للاشتراط ، فهذا قد يعني اختلافاً ، من جهة من الجهات ، بينها وبين (حين) . ولتبيّن ذلك يحسن تأمّل ما يلي :

(٥) أ - «إذا جاءك المؤمنات يبعايعنك . . فبايعهن»[٨] .

ب - «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا . . »[٩] .

لا بدّ أنه يلاحظ هنا أنه على الرغم من أن ما بعد (إذا) محصور في المستقبل ، بعيدا كان أم قريبا ، فإن زمان مجيء المؤمنات للبيعة في (٥/أ) لا بدّ أن يكون سابقا على زمان وقوع بيعة النبي لهن . ومثل هذا يقال في (٥/ب) ، أي أن زمان وقوع القول من الكافرين مختلف عن زمان وقوع التلاوة . وبعبارة أخرى ، فان وقوع الشرط سابق زمانيا على

(٧) مريم ١٩/٥٨

(٨) الممتحنة ٦٠/١٢

(٩) مريم ١٩/٧٣

وقوع الجواب . والنتيجة هي أن (إذا) ، فيما سبق ، تربط بين أمرين على سبيل ترتيب أحدهما على الآخر ، الأمر الذي يعني جزأين مختلفين من أجزاء المستقبل ، وهذا بحدّ ذاته مخالف للكيفية التي تستخدم بها (حين) الظرفية و(إذا) الظرفية كذلك ، إذا افترضنا معنى الظرفية في (إذا) هذه .

زعم تمحّض (إذا) للظرفية :

لكن هل تمحضت (إذا) حقا للظرفية في الشواهد القرآنية التي وقعت فيها (إذا) بعد (كيف) ، كما يرى الاستاذ عضيمة[١٠] في مثل :

(٦) «فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه»[١١]؟

فـ (كيف) أثر لجملة قيل ان (إذا) وما أضيفت إليه ظرف لها ، وان (إذا) فيها خِلْو من معنى الاشتراط .

وهل تمحضت (إذا) كذلك للظرفية فيما يلي من شواهد[١٢] :

(٧) أ ـ «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم»[١٣]

على أن (إذا) ظرف لـ (صيام) .

ب ـ «فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف»[١٤]

على أن (إذا) ظرف لـ (ينكحن) .

جـ ـ «شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان»[١٥]

على أن (إذا) ظرف لـ (شهادة) .

---

(١٠) دراسات ، قسم١ ج ٨٩/١

(١١) آل عمران ٢٥/٣

(١٢) هي ممثلة لعدد غير قليل من الآيات على النسق نفسه .
ينظر : عضيمة ، دراسات قسم ج٨٩/١ ـ ٩١

(١٣) البقرة ١٩٦/٢ (١٤) البقرة ٢٣٢/٢ (١٥) المائدة ١٠٦/٥

د ـ «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي **ظالمة**»[16]

على أن (إذا) ظرف لـ(أخذ ربك) .

هـ ـ «اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم»[17]

على أن (إذا) ظرف لـ(يعرفونها) ؟

على أنه قد يخفف من حدة الاندفاع إلى القول بوقوع (إذا) ظرفاً لما قبلها ، فيما سبق وفي غيره مما شاكل ، أن يلفت الانتباه إلى أن النحاة[18] قد تحدثوا عن وقوع الاشتراط بـ(إنْ) مع حذف جوابها المدلول عليه . ولذلك فقد قال بعض النحاة المفسّرين[19] بأن جواب (إنْ) محذوف لأنه مدلول عليه بما سُبِق به الشرط ، كما في الآيات التالية :

(٨) أ ـ «ولا يحلّ لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن **إنْ كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر**»[20] .

ب ـ «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون **إنْ كنتم مؤمنين**»[21] .

جـ ـ «فذكّر **إنْ نفعت الذكرى**»[22] .

لو قابلنا بين الشواهد في (٨) ، وما شاكلها ، والشواهد في(٧) ، وما شاكلها أيضاً ، لكان حكمنا بتطابق السُّنَن في هذه التركيبات . فلم الاصرار ، اذاً ، على القول بظرفية (إذا) فيها ؟ أذلك لأن (إذا) تصلح لأن تقع ظرفاً أصلاً ؟ إذا كانت الإجابة على هذا السؤال بالإيجاب ، فإن هذا

---

(١٦) هود ١٠٢/١١

(١٧) يوسف ٦٢/١٢

(١٨) ينظر مثلا : ابن عقيل ، شرحه ٣٧٩/٢ ـ ٣٨٠

(١٩) ينظر : عضيمة ، دراسات قسم١ج ٥٥٧/١

(٢٠) البقرة ٢٢٨/٢ ، وينظر أبو حيان ، البحر ١٨٧/٢

(٢١) آل عمران ١٣٩/٣ ، وينظر . أبو حيان ، البحر ٦٢/٣

(٢٢) الأعلى ٩/٨٧ ، وينظر : أبو حيان ، البحر ٤٥٩/٨

يقتضي أن يكون زمان وقوع ما يقال ان (إذا) أضيفت إليه متفقا مع زمان وقوع الحدث المظروف ، والأمر يكون على العكس تماما عند ارادة التعليق الشرطي . فاذا ما عددنا (إذا) ظرفا في (٨/ب) ، على سبيل المثال ، يكون المعنى أن (العضل) منهي عنه ساعة وقوع التراضي ، وهذا يفهم جواز (العضل) في غير ساعة وقوعه ولو استمرّ التراضي بحدّ ذاته ؟ ذلك أن النهي مقيد بوقت الوقوع لا بقيام التراضي من حيث هو . وعند إرادة التعليق الشرطي بـ (إذا) يكون النهي عن (العضل) معلقا على قيام التراضي لا على ساعة قيامه .

على أن هذا التحليل لا يعني حقا ضرورة القطع بأن (إذا) في شواهد (٧) ليست للظرفية . غير أن قيام التطابق بين شواهد (٨) ، التي قيل فيها بحذف الجواب ، وشواهد (٧) التي قيل فيها بوقوع (إذا) ظرفاً ، يُضعف افتراض الظرفية فيها ويقوّى كونها للاشتراط . بل قد يدعو هذا التطابقُ أحدَنا إلى التساؤل كالآتي : لم لا نعدّ (إنْ) في شواهد (٨) ظرفا لما قبلها ، كما فُعِل بـ (إذا) ؟ وان مما يضعف كذلك افتراض الظرفية في (إذا) ان النحاة اختلفوا[٢٣] في العامل فيها حين تقع شرطاً وقد سبقت جملتا الشرط والجواب بها ، كما في مثل :

(٩) «إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم . . .»[٢٤].

فمنهم من قال ان العامل هو الشرط ، ومنهم من عدّه الجواب . هذا الاختلاف انما يعني اختلافاً في تعيين الكلام الذي وقعت (إذا) ظرفاً له . هذا الاختلاف بحدّ ذاته يعني أن عدّ (إذا) ظرفا ليس أمرا مسلما من حيث ان المجال ما زال يسمح برأي آخر كالقول ، مثلا ، بعدم تضمن (إذا) أصلاً لمعنى الظرفية عند إرادة الاشتراط بها ، على الأقلّ .

---

(٢٣) ينظر مثلا : ابن هشام ، المغني ص١٣٠ ـ ١٣٣

(٢٤) المائدة ٥/٦

هذا ، ولمّا كان النحاة يقولون بأن (إذا) هذه ظرف لما يستقبل ، كان بالإمكان إحلال (حين) محلّ (إذا) مع تغيير صيغة الفعل التالي (قمتم) في (٩) إلى (تقومون) لافادة الاستقبال . وهذا يعني قطعاً (وإذا ما صرفنا النظر عن مسألة إضافة (حين) إلى ما بعدها) أن (حين) ليست ظرفاً للقيام . وعليه ، لا تكون (إذا) ظرفاً للقيام أيضاً . أما أنها ظرف للجواب ، فأمر وارد من حيث كان الظرف كثير التقدم على مظروفه . لكن يدفع كون (إذا) الشرطية ظرفاً محتملاً للجواب ، على سبيل التقدم ، أن هذا يعني افتراض موقع أصلي ، للشرط وأداته ، تالٍ للجواب ، وهذا يخالف تماماً ما اتفق جمهور النحاة عليه ، وهو أن الجواب لا يسبق الشرط ، فيسمح للشرط بعد ذلك بالتقدم على الجواب لما في (إذا) الشرطية من معنى الظرفية .

إن قولهم بظرفية (إذا) وشرطيتها في السياق الواحد ، وخاصة حين تتصدر (إذا) هذه الشرطَ والجوابَ ، متناف ، من حيث إن الظرفية فيها وفي مثلها تقتضي ، كما سبقت الاشارة ، التطابقَ في زمان الحدث بعدها وزمان الحدث المظروف فيها* ، في حين تقتضي الشرطية اختلاف زماني الشرط والجواب في أجزاء المستقبل . وبناء على هذا ، فإما أن تكون (إذا) ظرفاً فقط للغسل في(٩) ، وإمّا أن تعدّ شرطية فقط يعلّق الغسل بها على القيام . أمّا قيام الظرفية والشرطية فيها معاً في السياق الواحد فأمر غير مقبول لما سبق من بيان .

---

* لا بد من لفت الانتباه هنا إلى أن أسماء الشرط الدالة على الزمان ، تختلف عن (إذا) المعدودة ظرفاً ملازماً للاضافة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان أسماء الشرط تلك ظروف لجملة فعل الشرط ، ثم قدمت لغرض التعليق الشرطي ، وليست ظروفاً للجواب .

فضل بيان في توكيد عدم ظرفية (إذا) :

على الرغم مما مضى من مناقشة وبيان ، تبقى احتمالات كون (إذا) للاشتراط فقط ، أو للظرفية حَسْبُ قائمة . ومع أن التحليلات السابقة نقضت امكان مجيء (إذا) للأمرين (أي : الظرفية والشرطية) في سياق واحد ، لما في ذلك من تناف ، فإنّ هذا لا يضع نهاية للقضية ، وهذا يعني أننا ما زلنا في حاجة إلى فضل بيان يؤكد عدم جواز استخدام (إذا) ظرفاً .

قد يكون التوجه للنظر في بعض الشواهد ، التي قال بعض النحاة ان (إذا) فيها خرجت عن الشرطية ، مفيداً في جعل مثل هذا التوجيه ممكناً . فلقد رأى ابن هشام[٢٥] أن (إذا) فيما يلي (وبالطبع فيما شاكل من شواهد تضمنت طرفين يصلح أن يقال إنهما طرفاً الأسلوب الشرطي) :

(١٠) أ - «وإذا ماغضبوا هم يغفرون»[٢٦]

ب - «والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون»[٢٧]

خارجة عن الشرطية من حيث كان التركيب ، المتوقعُ أن يكون جوابا (وهو هنا : (هم يغفرون) و(هم ينتصرون) ، على التوالي) جملةً اسميةً غيرَ مقترنة بـ(الفاء) . فعدم وجود (الفاء) سلب عن (إذا) معنى الاشتراط ، وعليه فقد عدّت (إذا) في الآيتين ، عند ابن هشام ، ظرفاً لخبر المبتدأ (هم) في كلٍّ ، أي ظرفاً لـ(يغفرون) و(ينتصرون) . ومع أن بعض الشواهد قد خلت من (الفاء) متصلة بجواب إحدى أخوات (إن) الشرطية ، فإن النحاة لم ينفوا قيام الاشتراط بها ، وكل ما فعلوه أنهم قالوا

---

(٢٥) المغني ص١٣ - ١٣٦

(٢٦) الشورى ٣٧/٤٢

(٢٧) الشورى ٣٩/٤٢

بحذف (الفاء) للضرورة من الجواب[28] . بل ان بعض النحاة مضي يؤوّل سبب عدم وجود (الفاء) ، في جواب (إنْ) ، على أساس أن ما يبدو جوابا للشرط ليس الاّ جوابا لقسم محذوف[29] في الآية :

(11) «وإنْ أطعتموهم انكم لمشركون»[30]

ليس يقصد بالاشارة إلى هذا ، إلى الاعتراض على قانون وجوب اتصال (الفاء) بالجواب الذي يكون جملة اسمية ، مثلا ، ولكن إلى أن يلفت النظر إلى أن عدم (الفاء) لا يعني تجرد (إنْ) أو غيرِها من معنى التعليق الشرطي . ان تجرد التركيب ، الذي يصلح لأن يكون جوابا للشرط . من (الفاء) لم يمنع الزمخشري[31] ، مثلاً ، من عدّه (أي : التركيب) جواب الشرط في الآية :

(12) «قل أرأيتكم إنْ أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغيَر الله تدعون؟»[32] .

وحتى لو قلنا بما قال به أبو حيان[33] في الآية السابقة ، وما شاكلها ، من تنازعٍ بين (أرأيت) وفعل الشرط (أتاكم) في (عذاب الله) في(12) ، واعمالٍ لفعل الشرط في (العذاب) ، فان هذا لا يسوّغ القول بأنّ تركيب (أغير الله تدعون) هو المفعول الثاني لـ (أرأيت) ، وأنّ جواب الشرط محذوف . ان مفعول (أرأيت) يمكن تصوّره بيسر إذا أدركنا انّ الاستخبار بـ (أرأيت) هذه منصبّ على أسلوب الشرط بأكمله . وبهذا نجد أن خلوّ ما يصلح جوابا للشرط من (الفاء) ، كما في هذه الآية وفي ما شاكلها (وهو

---

(28) ينظر مثلاً : الاشموني ، شرحه ٤/٢٠ ـ ٢١
(29) ينظر : الصبان ، حاشيته ٤/٢٠
(30) الانعام ٦/١٢١
(31) الكشاف ٢/٢٢
(32) الانعام ٦/٤٠
(33) البحر ٤/١٢٥ ـ ١٢٨

كثير[٣٤] ، لم يعن عندهم تجريد (إنْ) من شرطيتها ، فلا يسوغ بالتالي القول بحذف جوابها . ولمّا لم يحكموا بتجرد (ان) ، أو غيرها من أخواتها ، من معنى التعليق ، لعدم اتصال (الفاء) بجوابها ، فَلِمَ يُحكم على (إذا) بالتجرد من هذا المعنى للسبب نفسه ؟ الحق أنه ليس فيَ ظني لذلك من مسوّغ ، وعليه يبقى لـ (إذا) معنى الشرطية ولو خلا جوابها من (الفاء) . وبهذا يقوى القول باستخدام (إذا) ، في هذا النوع من التركيبات ، للاشتراط ، حَسْبُ . وليس يخفى أن قوة القول بظرفية (إذا) وشرطيتها في السياق الواحد كان أثرا لمداومة النحاة ، على مرّ العصور ، على ترديد ذلك والحكم به .

وإذا كان لنا أن نختم مسألة اتصال أو عدم اتصال جواب (إذا) بـ (الفاء) ، فبما أشار إليه الأستاذ عضيمة[٣٥] من أن بعض النحاة اغتفروا مع (إذا) خاصةً عدمَ اقتران جوابها بـ (الفاء) ، وكذلك نختم بما زاده هو (أي : عضيمة) على هذا من اغتفار عدم اتصال (الفاء) بها في كل المواضع استنادا إلى المسموع ، والى أن لأدوات الشرط غير الجازمة شأنا يخالف الأدوات الجازمة .

معنى الاستقبال في (إذا) :

إذا كنّا نأخذ بمقولة أنّ (إذا) ظرفٌ لما يستقبل متضمنٌ معنى الشرطية[٣٦] ، فهذا يُلزمنا بالنظر إلى موقعية الظرف من حيث هو قيد فضلة في الجملة . الظرف ، كما هو معلوم ، يتخذ موقعه بعد الفعل ، أو شبيهه ، وفاعلِه ، على الأقلّ . فاذا كان ثمة من يقول بأنّ (إذا) ظرف غير

(٣٤) ينظر : عضيمة ، درسات قسم١ ج١/٥٤٩ ـ ٥٥٠

(٣٥) السابق نفسه ص٧١

(٣٦) ينظر مثلاً : ابن هشام ، المغني ص١٢٧

ملازم للاضافة ، كما أسند ذلك ابن هشام[٣٧] إلى بعضهم عند الحديث عن العامل في (إذا) ، فكيف يكون بالتالي تصوّرنا لـ (إذا) ضمن التركيب الشرطي الذي تقع فيه عادة ؟ فإذا ماتأمّلنا الآية التالية :

(١٣) «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله . .»[٣٨] ، فسوف يكون تصوّرنا لها ، ضمن التركيب وحسب المعهود من موقعها ، كالتالي :

(١٤)* جاءك المنافقون إذا ، قالوا . . .

لأنّ الذين يقولون بعدم ملازمتها للاضافة يرون أن العامل فيها (أو على نحو أدقّ : ما جاءت لظرفه وقيده) هو (جاء)[٣٩] في هذه الآية . وهذا يعني أنّ التركيب في (١٤) تركيب أصولي ، وليس الأمر كذلك بدليل أن (إذا) ، غيَر منونة ، ملزمة بالتحرك دائما مع ما بعدها (المسمى أحيانا بالشرط) . وتبعا لهذا لا تكون (إذا) ظرفاً لما بعدها المسمى شرطا أحيانا .

قد يقال ان (إذا) ظرف لما يسمى أحيانا بالجواب ، أي قد يقال ، حسب تعبير النحاة ، بأن العامل فيها هو الجواب[٤٠] ، فاذا ما قدّرت (إذا) غير ملازمة للاضافة ، كان تصوّر التركيب الأصلي الذي هي فيه كالتالي :

(١٥) جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله إذا ، وحكم بأصوليته ، وليس كذلك . أمّا إذا قدّرنا (إذا) ملازمة للاضافة وأنها ظرف لذلك المسمى جوابا أحيانا ، كان تصوّر أصل التركيب في (١٣) على النحو التالي :

---

(٣٧) السابق نفسه ص ١٣٠ - ١٣١

(٣٨) المنافقون ١/٦٣

(٣٩) ابن هشام ، المغني ص١٣٠ - ١٣١

(٤٠) السابق نفسه ص١٣١

(١٦) قال المنافقون نشهد انك لرسول الله إذا جاءوك أصولياً .

لكن ، على الرغم من أن التركيب في (١٦) يبدو أصوليا، إلاّ أنه في الحقيقة ما زال يفتقر إلى بعض تعديل حتى تكتمل أصوليته . هذا التعديل مستلزَم على النحو التالي :

(١٧) **يقول** المنافقون . . إذا **جاءوك** .

هذا التصوّر للتركيب يناقض ، في نظر هذه الدراسة ، كون (إذا) ظرفاً . قد يقال ان هذا التعديل اقتضاه أن (إذا) ظرف لما يستقبل ، غير أن هذا ، فيما يُرى ، غيرُ دقيق ، ذلك أن الاستقبال المفهوم في (إذا) إنّما هو من كونها محمَّلةً كليّاً بمعنى التعليق الشرطي ، بدليل كثرة تلوّ صيغة الماضي لها . مع ذلك يبقى الاستقبال زمناً نحوياً وثيقاً فيها وفيما وقع في حيّزها . وعليه فإنّه حين خرج الفعل (قال) من هذا الحيّز ، الذي يجعل الأفعال التي تقع ضمنه تفيد الاستقبال ، كان لا بدّ من اتخاذ إجراء يمكّن الفعل من أداء معنى الاستقبال ، فكانت الصيغة الصرفية (يفعل) مُعِينةً ، وكان أن استُخدمت هذه الصيغة ، كما هو واضح في (١٧) . هذا بالإضافة إلى تعديلات أخرى قد يتّم اجراؤها ، كنقل الاسماء الظاهرة إلى الجواب المقدّم ، والاضمار لهذه الأسماء من جديد في الشرط ، أي فعلِ عكسِ ما كان عليه التركيب الشرطي في الأصل .

ولتأييد ما نزعمه ، من تعديل في الجواب المقدّم ليفيد الاستقبال ، يحسن تأمّل الشواهد التالية[41] :

(١٨) «فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد»[42]

إذا يقدّرون (كيف) اختصار لجملة استخبارية ، هكذا : (كيف

(٤١) ينظر ، لمزيد من الشواهد : عضيمة ، دراسات قسم١ ج١/٨٩ ـ ٩٤ ، حيث يذكر أن (إذا) فيها متمحضة للظرفية أو محتملة للشرطية الظرفية ، أو للظرفية فقط ، ويخص بالذكر تلك الشواهد التي بدئت بما يمكن عده جوابا للشرط مقدما .

(٤٢) النساء ٤/٤١

يصنعون) . و (يصنعون) بصيغة المضارع التي تفيد الحال والاستقبال ، كما يقولون

(١٩) «لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم»[٤٣]

بالمضارع المنفي بـ (لا)،

(٢٠) «انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه»[٤٤] .

أمّا إذا كانت الجمل المتقدّمة على (إذا) جملاً اسمية (كما يسميها النحاة) ، فهي صالحة للجواب حين تكون تالية لـ (إذا) ، وقد كثر اقتران (الفاء) بمثل هذه الجمل متأخرة . فإذا ما ظهر أن الجواب (الجملة الاسمية) متقدّم ، سقطت (الفاء) وجوبا وكأنّ البدء بالجواب ثمّ إيلاءَهُ الشرطَ وسيلةٌ أقوى من (الفاء) ، أو بديلةٌ عنها ، لربط الجواب (الجملة الاسمية) بشرطه ، كما يلي :

(٢١) «وكذلك أَخْذُ ربك إذا أَخَذ القرى وهي ظالمة»[٤٥]

فالتقدير ، حسب التركيب المتصوّر أصلاً واستناداً إلى أن موقع الشرط في مقدمة التركيب الشرطي ، كالتالي :

(٢٢) وإذا أَخَذ ربك القرى وهي ظالمة ، فكذلك أَخْذه .

حتى الشواهد القرآنية ، التي يرى الاستاذ عضيمة نفسه[٤٦] أنها متمحضة للظرفية ، يصدق فيها ما سبق ذكره من فهم . فمما ذكره على أنه متمحض للظرفية ، ويبدو مشكلاً لهذه الدراسة ، ما يلي :

(٢٣) «قل أعوذ برب الفلق . . ومن شرّ غاسق إذا وقب»[٤٧]،

على أساس أن الجار والمجرور (من شر غاسق) متعلقان بـ (أعوذ)

---

(٤٣) المائدة ١٠٥/٥

(٤٤) الانعام ٩٩/٦

(٤٥) المائدة ١٠٦/٥

(٤٦) دراسات ، قسم١ ج١/٩١ ـ ٩٣

(٤٧) الفلق ١١٣ /١ ـ٣

المذكورة أو بـ (أعوذ) المقدرة بعد حرف العطف (الواو) . وعليه لا تكون (إذا وقب) الاّ بمعنى (حين يقب) ، وبذلك يكون (إذا وقب) نعتا لـ (غاسق) . لكن يبدو لي أن كل ما في الأمر أن هٰذا الشاهد يمثّل نمطا معقّدا من التركيب الشرطي : أُخِّر فيه الشرط ، الذي أُضْمِر فيه للاسم الظاهر في الجواب المقدّم ، لأجل أن يكون بالامكان حذف (قل أعوذ برب الفلق) قبل قوله (من شر غاسق) ، اذ العادة أن يحذف من المعطوف العناصرُ المطابقة لما هو موجود في المعطوف عليه ، بشرط التطابق في ترتيب المكّونات في كلٍّ من المعطوف والمعطوف عليه . فلو أن التركيب جاء على ما هو الأصل في التركيب الشرطي (ألا وهو البدء بالشرط) لكان تصّور هذا التركيب كما يلي :

(٢٤) . . . وإذا وقب غاسق فقل أعوذ برب الفلق من شره.

وهذا يعني اختلافاً في ترتيب مكونات تركيب المعطوف ، إذا ما قوبل بالمعطوف عليه الذي ترتيبُ مكوناته كالتالي :

(٢٥) قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق . . .

فيمتنع بالتالي حذف (قل أعوذ برب الفلق) من المعطوف المتضمن لـ (إذا) . ولو افترضنا حذفا مع هذا الاختلاف ، لانخرم النسق (وهو أن يحذف من المعطوف ما تطابق مع شيء في المعطوف عليه) . لنتأمّل في (٢٦) و(٢٧) :

(٢٦) قل أعوذ برب الفلق من شرّ ما خلق ، وإذا وقب غاسق فقل أعوذ برب الفلق من شرّه ، ومن شرّ النفاثات في العقد . .

وعند الحذف المفروض جدلا مع اختلاف ترتيب مكونات المعطوف عليه في (٢٦) ، يكون التركيب الناتج كالتالي :

(٢٧) قل أعوذ برب الفلق من شرّ ما خلق ، وإذا وقب غاسق فـ (. . . .) من شره ، ومن شّرّ النفاثات في العقد . .

إذاً ، لابّد من تقديم الجواب مضمّنا الأسماء الظاهرة التي كان يُفترض تضمن الشرط لها ، والاضمار لها من ثَمَّ في الجواب ، كما ورد في الآية في (٢٣).

ومما ذكره الاستاذ عضيمة ، وقد يبدو مشكلا كذلك ، الآية التالية :

(٢٨) «وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى * من نطفة إذا تمنى»[٤٨] .

والحق أنه يقال في هذه الآية ما قيل في سابقتها في(٢٣)

وحتى يتمّ اضعاف آخر حجة للقول بامكان ايقاع (إذا) ظرفاً ، نعرض لمسألة وقوعها بعد القسم ، فقد رأى بعض النحاة[٤٩] أنها لا تكون في مثل هذا السياق الآّ ظرفاً ، وأنها خارجة عن الاستقبال ، كما في الآية :

(٢٩) «والليل إذا يغشى . . . ان سعيكم لشتّى»[٥٠]

وفيما شاكلها . وقد كانت حجة النحاة على عدم شرطيتها أن ما بعدها ، في مثل هذه الآية ، لا يصلح للجواب ، لأنه لا يصلح تعليقه على (إذا) ، فمعنى الكلام ليس متوقفاً على الشرط بعد (إذا) . هذا ، وقد أفرد الأستاذ عضيمة[٥١] حديثاً خاصاً عرض فيه لأراء النحاة وللأيات التي فيها أقسام متلوّة بـ (إذا) . وعلى الرغم من أن النحاة عللوا لخلوّ (إذا) من الشرطية بعد القسم بالقول بأن القسم انشاء ايقاعي من حيث أنه يقع بمجرد نطقه ، فلا يصلح بالتالي لأن يعلق على الشرط بعده ، على الرغم من ذلك ، فإنهم وقعوا في أشكال البحث عن عامل في (إذا) من حيث هي ظرف عندهم . ويرى الأستاذ عضيمة[٥٢] أن الرضى الاسترا باذى قد

(٤٨) النجم ٤٦/٥٣

(٤٩) ينظر مثلا : ابن هشام ، المغني ص١٣٠

(٥٠) الليل ١/٩٢

(٥١) دراسات ، قسم١ ج١/ ٩٤ ـ ٩٧

(٥٢) السابق نفسه ص٩٥

حسم خلاف النحاة في هذا الأمر بالقول بأن (إذا) ظرف لما دلّ عليه القسم من معنى العظمة والجلال . على أن الحجة التي دفعوا بها كون (إذا) شرطاً (وهي : كون القسم انشاء ايقاعيا) تصدق على القول بايقاع (إذا) ظرفا ، إذ كيف يعلق القسم ، وهو إنشاء ايقاعي ـ كما يقولون ، على ظرف مستقبل ، كما يعدّونه . ان القسم (باستخدام (الواو) متلوة بالمقسم به) اختزال ، كما هو معلوم ، لجملة أريد بها تعظيم مَنْ أو ما أُقسم به . ولعلّ هذا هو تفسير ما أشار إليه الرضي[٥٣] ، وهو نفسه يصلح للقول بشرطية (إذا) ، فلا تعود هذه الآية في(٢٩) ، وغيرها كثير ، دليلا نصيا على انعدام الشرطية في (إذا) بعد القسم .

ان ما مضى من تحليل ومناقشة يقود في الحقيقة إلى النتيجتين التاليتين :

١ ـ (إذا) هذه ليست ظرفاً لا في التركيب(١٧) ولا في ما يشبهه ، ولا في التركيب(١٣) ولا في ما ماثله ، من باب أولى .

٢ ـ جواب الشرط في مثل(١٧) ـ إذا عددناه مفيداً للاشتراط ـ ليس محذوفاً ، كما قال النحاة[٥٤] في جواب (ان) الشرطية ، ولكنه مقدّم .

أمّا النتيجة الأولى ، فان ما سبق من تحليل ومناقشة كاف لتقريرها ، وأما الثانية ، فإنها الأخرى نتيجة تحليلية تؤيدها كل الشواهد التي يقول النحاة ان الجواب فيها حُذِف مدلولا عليه بما قبل الشرط من الكلام . والحق أنه ليس لدى النحاة من دليل على ما يقولون به من عدم جواز تقدم الجزاء على الأداة التي هو في حيّزها[٥٥] ، فحجتهم ، التي يوردونها عند الحديث عن أدوات الشرط الجازمة ، هي أن الجزاء بعد هذه الأدوات

---

(٥٣) شرح الكافية ١٠٥/٢

(٥٤) ابن عقيل ، شرحه ٣٧٩/٢ ـ ٣٨١

(٥٥) ينظر مثلا : ابن يعيش ، شرح المفصل ٧/٩.

يكون مجزوماً إذا كان فعلا مضارعاً ، وأنه تتصل به (الفاء) إذا كان جملة اسمية ، مثلاً . ولمّا كان ما يظّن أنه جزاءُ مقدّمٌ غيَر مجزوم ، إذا كان مضارعاً ، وغيَر متصل بـ (الفاء) ، إذا كان جملة اسمية ، دلّ ذلك عندهم على أن هذا المظنون جزاءً ، ليس كذلك ، ودلّ على أنه كلام مستلّ . والحق أن تقدم الجواب هو الذي يغني عن الجزم ، مثلاً ، من حيث هو علامة على الارتباط بالشرط ، أو عن (الفاء) كعلامة أخرى . فهذا التقدّم يجعل الجواب معلقاً بالشرط كما يتعلق الكلام بالظرف التالي . فالجواب (متلوّا بالشرط) هو وسيلة الربط التي تضاف إلى وسيلتي الجزم وتطابق الصيغ في الأفعال أحياناً ، وتضاف كذلك إلى وسيلة استخدام (الفاء) ، ذلك أنه لا محيص ، بالتقدم ، من ربط ما يراه النحاة دالاً على الجواب بالشرط التالي . وهذا بحدّ ذاته أقوى وسائل الربط بين الجواب وشرطه ، وعليه لم تكن بنا حاجة إلى استخدام وسائل أخرى ، للربط ، غير التقديم . ومن هنا لم يقع الجزم في المضارع المقدّم جوابا ، وسقطت (الفاء) رابطاً . هذا علاوة على أنه يفترض بالفعل ، إذا كان جوابا للشرط (أو دالاً ـ كما يرى النحاة ، على الجواب) ، أن يُصاغ على نحو يهيئه للدلالة على الاستقبال ما دام قبل الشرط . وما يسميه النحاة دالاً على جواب الشرط ليس في حقيقته إلاّ الجواب نفسه .

هذه النتيجة ، استناداً إلى هذا التحليل ، تسلمنا إلى نتيجة أخرى ، تؤكد النتيجة الأولى ، مفادها أن (إذا) ، إذا ما تأخرت عما يمكن عدّه جوابا ، لا تكون ظرفاً لما وقع مقدّما عليها ، ولكنها تبقى مفيدة للاشتراط ، وما قبلها ، إنْ كان يصلح أن يعلّق عليها وعلى ما بعدها ، جواب لها .

خاتمة :

كل ما مضى يقضي بأن (إذا) أداة شرط ، وأن افادتها الاستقبال ليس من أنها ظرف له ، ولكن من كونها للاشتراط ، (إذا) هذه ليست ، كما قرر النحاة ، ظرفاً للمستقبل تضمن معنى الشرط ، ولكنها أداة للشرط لا تتضمن معنى الظرفية كـ (إنْ) .

مصادر ومراجع

- ابن الحاجب ، جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر : كتاب الكافية في النحو (جزآن) ، بشرح رضي الدين الاستراباذي ، ط٣ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٢ .
- ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله : شرح ابن عقيل (جزآن) ، (بتحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد) الجزء الثاني .
- ابن هشام ، جمال الدين : مغني اللبيب عن كتب الاعاريب (بتحقيق : مازن المبارك وزميله) ، ط٥ دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩ .
- ابن يعيش ، موفق الدين : شرح المفصل (عشرة أجزاء) ، الجزء السابع : نسخة مصورة عن طبعة محمد منير ، مصر ١٩٢٨ ، عالم الكتب ، بيروت (غير مؤرخ) .
- أبو حيان الاندلسي ، محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٣ .
- الأشموني ، علي بن محمد : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (مجلدان) : ضمن حاشية الصبان ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة (غير مؤرخ) .
- الجرجاني ، عبد القاهر : كتاب المقتصد في شرح الايضاح (مجلدان) (بتحقيق : كاظم بحر المرجان) ، المجلد الثاني ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٢ .
- حسن ، عباس : النحو الوافي (أربعة أجزاء) ، الجزآن الثاني والرابع : دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ .
- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (بعناية : مصطفى حسين أحمد) ، (أربعة أجزاء) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٦ .

- سيبويه ، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب كتاب سيبويه (خمسة أجزاء) : (بتحقيق : عبد السلام محمد هارون) ، الجزء الثالث : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض (غير مؤرخ) .
- السيوطي ، جلال الدين : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (سبعة أجزاء) ، الجزء الثالث : دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٧٧ .
- الصبان ، محمد بن علي : حاشية الصبان على شرح الأشموني (مجلدان) دار احياء الكتب العربية ، القاهرة (غير مؤرخ).
- عضيمة ، محمد عبد الخالق : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، الجزء الأول من القسم الأول (الحروف والادوات) ، ط١ مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- المخزومي مهدي : في النحو العربي (قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) ، ط٣ ١٩٨٥ .
- المطلبي ، مالك يوسف : السياب ونازك والبياتي ـ دراسة لغوية ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ط٢ ١٩٨٦.

مناهج المصطلح الكيميائي العربي ومقاييسه

للدكتور مجيد محمد علي القيسي

قبل بضع سنوات ، وفي احدى ندوات التعريب ، التقيت نخبة من الكيميائيين العرب الذين كانوا يناقشون إشكالية التعريب في ميادين العلوم الطبيعية ، مؤكدين المصطلح الكيميائي الذي استعصى المحاولات جميعها على نقله إلى اللغة العربية .

وكم كانت دهشتنا عظيمة حينما رسم بعضهم علامة الشك حول مقدرة العربية على التعامل وذلك المصطلح ، وبخاصة تسمية المركبات الكيميائية المعقدة . وغلب الحماس أحد الحاضرين فأكد عجز اللغة العربية عن النهوض بتلك المهمة الشاقة مهما بذلت من جهود ! ، زاعماً أن السبب يكمن في طبيعتها وفي قواعدها التي لم تألف التعبير الدقيق والسليم عن ذلك المصطلح ، سواء أكان بسيطاً أم كان معقداً ، كما ألفته اللغات الاوروبية قديمها وحديثها . وقدم هو ومناصروه من الحجج التي تؤكد عجز اللغة العربية في هذا المضمار ما يحمل أمهر القضاة وأكثرهم عدلاً على الحكم لصالح إدعاءاتهم ، أو هكذا خُيِّل اليهم !

---

* عميد كلية العلوم ـ جامعة بغداد ـ سابقاً .

وفي اليوم الثاني للندوة جاءني ذلك الزميل الكيميائي المتوثب بورقة كتب فيها عدداً من المصطلحات والتسميات الكيميائية وطلب إليّ ، بنبرة تزخر بمشاعر التحدي ، أن أدله على المعجمات والقواميس والمراجع اللغوية والمؤسسات العلمية والأفراد ومجامع اللغة التي ترشده إلى ترجمة تلك الأسماء الأجنبية إلى لغة عربية سليمة .

ولعلم القارىء الكيميائي الكريم ، قرأت في الورقة :

(1) Dichloro (2- N , N-dimethylaminoethyl 2- amino- ethyl sulphide - N̈, S) platinum (II) .

(2) 5- (3-pentenyl)- 3,6,8-decatrien -1- ynyl .

(3) - diylidene.

(4) Quark, synchrocyclotron, muon, plasma.

. . . ثم أضاف شفاهاً عشرات المصطلحات المماثلة لما في تلك الوريقة الامتحانية !

ولقد شعرت بالهوان ، لا بسبب عجز اللغة العربية عن منازلة تلك الألفاظ والتسميات الكيميائية ، وإنما للحال التي آلت اليها لغة فذة ؛ كانت وما تزال تزخر بالحيوية والعافية ، وهي تُدفع قسراً نحو محنة الاختبار المفتعل .

وسرح بي الخيال حينذاك في أطراف الدنيا لأشاهد لغات شرقية ، ما زالت تكتب برموز وعلامات تجاوزت عشرات الألوف ، وهي أقرب ما تكون إلى الصور المسمارية ، وقد استطاعت أن تقف نداً للانكليزية والفرنسية والألمانية في التعامل والمصطلح العلمي واللفظ الحضاري ، أمثال اللغات اليابانية والصينية والكورية .

ولا أدري لماذا نذهب بعيداً نحو الشرق أو الغرب للاستشهاد وطلب المثال ، وهذه اللغة العبرية الميتة التي لم تكن قبل نصف قرن أكثر من

لغة أدعية وتمائم ، فصارت لغة العلوم الطبيعية والهندسة والتَقنيات ، فضلاً عن العلوم الانسانية والأدب . فأخذت تدرَّس بها المعارف المختلفة في جميع مراحل التعليم ، وأُلفت منها الأسفار والمراجع والمعجمات العلمية والموسوعات وغيرها . ومما لا جدال فيه ان مسؤولية تردي المصطلح العلمي تقع على عاتق القوامين على شؤون التعريب في الأقطار العربية من علماء ومفكرين ولغويين ، وفي مقدمتهم أرباب القرار السياسي . فالمشكلة إذن ليست في بؤس العربية كما يزعم البعض ممن يجهل مبادئها الأولية وقدراتها الذاتية على العطاء . فاللغة ، أياً كانت ، لا تأتي من عدم ، فهي من أسمى نتاجات العقل البشري المبدع ، والمعيار الذي تقاس به عظمة الأمم ، فالإنسان إذن هو خالق لغته وهو وحده القادر على أن يجعل منها سلاحاً للتعبير عما يحيط به من أسرار الحياة ، وليس العكس ، كما يزعم ذلك الزميل المحتج على عجز العربية .

ويؤكد علماء اللغة في الدول المتقدمة أن اللغات جميعها ، وبلا استثناء ، بمقدورها الاستجابة للتعبير عن أكثر الظواهر الطبيعية تعقيداً وعمقاً ، إذا ما تناول تلك المهمة أناس يدركون كنه تلك الظواهر ويفقهون قوانينها وآلياتها وحساباتها الشائكة . وتستوي في ذلك اللغات الأبجدية ، وفي طليعتها العربية ، واللغات الرمزية كاليابانية والصينية والكورية .

فتخلف اللغة إذن لا ينفصل عن تخلف الناطقين بها في مجالات الحياة المختلفة . ونحن لا نشك لحظة واحدة في أن براعة اللغة الألمانية مثلاً في تناول المصطلح العلمي جزء لا يتجزأ من براعة العالم الالماني في علمه وفي قدرته على فهم مدلولات ذلك المصطلح . وهذا القول يسري أيضاً على الفرنسية والانكليزية واليابانية والروسية وغيرها من لغات الشعوب المتقدمة .

ومع إيماننا بصدق ذلك القول وبداهته كانت اللغة العربية قد تجاوزته بأشواط ، بما تميزت به من قدرات تعبيرية مرموقة سواء أكان ذلك في فقهها أم في قواعدها أم في تراكيبها أم في أبنيتها أم في سعة مفرداتها ورصيدها من الكلم .

وبمقدورنا الجزم أن اللغة العربية تكاد تكون الوحيدة من بين لغات العالم التي تخطت قدراتها الذاتية في التعبير قدرات أوليائها أو الناطقين بها من علماء ودارسي هذا الزمان . فقد اجتازت المحن والاختبارات كافة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً .

فهذا كتاب الله العزيز صور لنا خلق الانسان ببضع عبارات وبأسلوب غاية في الإعجاز والإيجاز اللغوي . فقد قال سبحانه وتعالى في سورة «المؤمنون» الآيات ١٢ ـ ١٤ (ولَقَد خلقنا الانسان من سُلالة من طين * ثم جَعَلْناه نُطْفَةً في قرار مَّكِينٍ * ثم خلقنا النُطفَة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَة فَخَلَقْنَا المُضغَةَ عِظاماً فكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أنْشأناه خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارِكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ) صدق الله العظيم .

فأية لغة من لغات البشر بمقدورها ان تصف لنا بهذا الايجاز الثّر مراحل تكوين الجنين أفضل مما رسمته تلك الآيات البينات ببضعة مصطلحات بسيطة هي النطفة والعلقة والمضغة والخلق الآخر ؟

وهل تعجز لغة كتلك اللغة عن وصف تفاعل كيميائي ، أو حركة ذرة أو انتقال طاقة أو تسمية مركب ؟!

والواقع أن بعضاً مما ذكره أولئك المحتجون يحمل بين ثناياه جانباً مهماً من الحقيقة المرة التي تتمثل في هزال المصطلح الكيميائي العربي ، لأنه لم يسبق أن دُرِس في ضوء المناهج العلمية والمبادىء القياسية ، بل ترك شأنه للارتجال وللبناء العشوائي المتعجل .

ولو وضعنا جميع المصطلحات الكيميائية المتداولة بين الكيميائيين العرب ، وهي لا تزيد على بضعة آلاف مصطلح ، معظمها ألفاظ بسيطة ومكررة ، في مواجهة الملايين من الأسماء الكيميائية المركبة التي يصل بعض تراكيبها أحياناً إلى أكثر من عشرين مقطعاً متصلاً ، لأدركنا عمق الجرح الذي يقض مضاجع الكيميائيين العرب . ولعل ما قاله الزميل الذي أشرنا إليه وما ذكره في وريقة الاختبار أبسط مثال على غربة الكيمياء العربية ، وعلى عجز علماء اللغة العرب وعلماء الكيمياء معاً في تناول شؤون المصطلح الكيميائي والتسميات الكيميائية .

والمصطلح الكيميائي الحديث لم يعد لفظاً يرتجل هنا وهناك على غير هدى ، بل أصبح جزءاً من منظومة اصطلاحية محكمة البناء ودقيقة المعاني حيث أمست تخضع إلى المئات بل الألوف من القواعد والمبادىء العلمية الدُّوَلية .

وكلما أجال الكيميائي العربي النظر في مصطلحاته تلك وفي الملايين من المصطلحات المتقنة التي أقرها الاتحاد الدولي (الايوياك) ، إنتابه اليأس والقنوط ، فتوجه باللوم إلى اللغة العربية ، فهرب منها إلى اللغة الانكليزية أو الفرنسية للتعبير عن تلك المصطلحات .

ولقد كنا نكرر دوماً ، على سبيل المزاح ، ان الكيميائي العربي يكاد يكون العالِم الوحيد بين أقرانه من الأطباء والمهندسين والتقنيين ، الذي ابتلى بنوع من انفصام الشخصية ! فهو يفكر عربياً حينما يعيش حياته الطبيعية اليومية ، بينما يفكر أوربياً عندما يتعامل ولغة الكيمياء والمصطلح الكيميائي !

ولقد حاولنا في مطلع الستينات دراسة المصطلح الكيميائي العربي دراسة منهجية في إطار القواعد الدُّوَلية . وكان هدفنا يومذاك ينحصر في

نقل التسميات الكيميائية بقواعدها وأنظمتها إلى اللغة العربية بحيث يصبح لدينا بعد حين نظام عربي أصيل يسير على طريق مواز للنظام الدولي ويتصل به في أكثر من محطة علمية .

ولم تكن تلك التجربة ، على أهميتها وضرورتها ، سهلة . فقد وضعت في سبيلها العراقيل والحواجز المصطنعة . فقد كانت لغة التعليم آنذاك هي اللغة الانكليزية في معظم أقسام الكيمياء عندنا . فوقف كثير من علماء الكيمياء موقف اللا مبالاة لأسباب مختلفة لم نكن نجهلها ، وظهرت أمامنا صعوبات حادة تتعلق أصلاً بالقيود التي وضعها عدد من علماء اللغة العربية من حيث التشدد بعدم التوسع في الاشتقاق والمجاز والقياس والاطراد ، أو التصرف المحدود والواعي ببعض الأبنية الصرفية أو إدخال اللغة الرمزية على التسميات الكيميائية مما نعتبره جوهر محاولاتنا ومنهاجنا الجديد .

ولكل تلك الاسباب أصبح المشروع المذكور بين فكي كماشة ، فك يرى أن لا بديل عن المصطلح الأوروبي برسمه ونطقه ومعناه ، وفك آخر ما زال يرفض الاستجابة لحاجات العصر اللغوية . فهو يزعم أن اللغة العربية قد اكتملت وختم عليها بالشمع قبيل عصر التدوين . فلا يصح ، إذن ، أن تلوث باشتقاق لغوي مبتكر ، لم تألفه العرب قبل ذلك العصر . أو أن تبعث الحياة في ألفاظ مهجورة أو ميتة استخدمت على سبيل المجاز الواسع . أما ارتجال المصطلحات الجديدة التي لم تذكرها معجمات السلف ، أو اعتماد الرموز والإشارات بدل العبارة العربية التامة ، فهي من المحرمات !

وفي خضم القيود اللغوية القاسية ، وفي غمرة المشاعر المناهضة لتعريب المصطلح الكيميائي شق المشروع المقترح طريقه بصعوبة ،

فتبنته لجنة الكيمياء في المجمع العلمي العراقي في أوائل الثمانينات بعدما قدمناه سلسلة متتابعة من أوراق العمل .

وكان سر قوة المشروع أنه استمد من الحرف العربي ، ومن قواعد العربية مادته وأدواته في صياغة المصطلح الكيميائي مهما بلغ تعقيده وتراكبه . فهو يكاد يخلو من المُعَرَّبات أو الدخيل باستثناء الرموز الدولية التي ليست لها معان لغوية دارجة قبل ذلك الاستعمال ، كما تجنب المشروع النحت من الأسماء أو الأفعال الدخيلة مثل الكَلْوَرَة (chlorination) والألكلة (alkylation) وغير ذلك .

والجدير بالتنويه ان النحوت من الجامد الأعجمي محدودة وعقيمة ، فضلاً عن خطورتها على مستقبل العربية . والمشروع المقترح لا يرفض التعامل وأسماء الأعيان الأعجمية طالما بقيت خارج تصاريف العربية وأبنيتها وقواعدها .

ولما كان معظم أسماء العناصر الكيميائية أعجمي المنشأ وهي تزيد على المئة عنصر ، لم يكن مستغرباً أن تكون الألوف من التسميات الكيميائية ـ العربية أعجمية الأصول غريبة اللفظ والجرس .

وليس بمستحيل على العربية أن تضع لكل عنصر من تلك العناصر اسماً عربياً اعتماداً على صفة أو خليقة ظاهرة فيه . فقد سبق لها أن فعلت ذلك بكل اقتدار . غير أن رفض الكيميائيين لها أمر مؤكد في ظروف المصطلح الراهنة . وليست التجربة الفريدة الفذة التي أقامها منذ عشرات السنين المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري ببعيدة عن أذهاننا . فقد اقترح أسماء عربية خالصة لمعظم العناصر الكيميائية ومركباتها تقريباً ، حيث قام بترجمة أسمائها ترجمة دقيقة إلى اللغة العربية . ومن تلك الأسماء : (المصدِّي) للأكسجين و (المُميه) للهدروجين و (المُخَصِّب) للنتروجين

و (المُحَوِّر) للكلور و (المُلْصِفُ) للفلور و (المُوْمِض) للفسفور و (المُفَحِّم) للكربون و (والقلاء) للبوتاسيوم و (الشَّذام) للصوديوم . . . إلخ . واشتق من أسماء العناصر أسماء المركبات فقال : (محوري القلاء) في مقابل (كلوريد البوتاسيوم) و (مُلْصفي الشذام) في مقابل (فلوريد الصوديوم) . وعندما قرأ تلك التسميات زملاؤنا الكيميائيون استقبلوها بالغمز واللمز فصارت من نوادرهم !

من ذلك يتأكد لنا يوماً بعد يوم ، أن مشكلة المصطلح الكيميائي العربي ، باعتباره اللبنة الأولى في هيكل عملية التعريب ، لا بد أن ينظر إليها كأمراض أو متلازمات (syndromes) فكرية ونفسانية وسياسية ، لا كمشكلة لغوية وحسب . ولقد سبق للعالم الجليل ابن خلدون أن شخص ملامح تلك الأمراض الاجتماعية في مقدمته المعروفة . لذلك ينبغي أن تناقش مسائل المصطلح العربي ومشكلات التعريب بعيداً عن مؤثرات تلك الأمراض وبمعزل عن نفوذ ومداخلات الذين أصيبوا بها .

مراحل تطور المصطلح الكيميائي

يصعب التكهن بالبدايات الأولى لنشوء المصطلح العلمي في التاريخ ، لأن التمييز بين ما ندعوه اليوم مصطلحاً علمياً وبين الألفاظ العادية التي يستعملها الانسان في حياته اليومية ليس بالأمر اليسير بسبب تداخل النوعين في حياة الانسان .

ولكن المتعارف عليه بين مؤرخي العلوم ، ان المصطلح العلمي بدأ مع بداية نشوء الحضارة اليونانية . فقد نقل الاوربيون والعرب وغيرهم كثيراً من مصطلحات العلوم والفلسفة والمنطق إلى لغاتهم . وما يزال تأثيرها ماثلاً للعيان حتى يومنا هذا . والغريب ان مؤرخي العلوم ، لأسباب

مجهولة ، تجاهلوا الاشارة إلى مصطلحات وتراكيب رمزية قدمتها لنا حضارات اخرى كحضارة وادي الرافدين ووادي النيل .

فلقد أمد السومريون ، ومن بعدهم البابليون والآشوريون ، سكان العالم آنذاك وفي مقدمتهم اليونانيون بكثير من المنجزات الحضارية في الرياضيات والفلك والري ، والطب والتشريع . ويقال إن كثيراً من علمائهم زاروا العاصمة بابل ومنهم فيثاغوراس العالم المعروف بنظريته التي ربما كان قد اقتبسها من علماء بابل .

وما يهمنا في هذا الصدد ، هو تطور الحضارة السومرية والبابلية بعدها في مجال المصطلح العلمي . والمدهش حقاً ان السومريين ، قبل اكثر من خمسة آلاف سنة ، كانوا أول من أبدع النظام المنهجي القياسي في بناء الالفاظ والمصطلحات والجمل . وهو النظام الذي نراه الآن يحكم المصطلح العلمي الأوربي الحديث!

فكلمة (زعفران) مثلاً ، وهو النبات العشبي المعروف ، وصلت إلينا من اللغات العراقية القديمة . فهي تكتب بالعلامات المسمارية (U- Khar- Sag- Sar) ومعناها الحرفي (عشب الجبل البستاني) . وتشير العلامة القياسية (-U) إلى مصطلح (العشب) . ويسمي العراقيون القدماء (شهر آب) (itu-IZi) ومعناها (شهر النار). وتمثل العلامة (itu) رمزاً (للشهر) . فحيثما وجدنا هذا الرمز كان هناك مصطلح يتعلق بأحد أشهر السنة . وهنالك الألوف من أمثال تلك المصطلحات المنهجية الدقيقة المحكمة . وتتميز التسميات السومرية أيضاً بالعبارات الوصفية الجميلة التي يتصدرها الرمز الذي يشير إلى صنفها وعائديتها . فالسومري يذكر العبارة (Nu-Mu-Su) ويريد بها (الأرملة) ومعناها الحرفي (المرأة التي لا زوج لها!)[1] .

والظاهر ان في مقدور الانسان العراقي القديم التمييز بين المصطلحات المختلفة وتشخيص الأصناف والأبواب التي تنتمي إليها من النظرة الأولى وبدلالة الرمز الذي يتصدر المصطلح . وهذا النظام الاصطلاحي المثالي ما زال يحكم المصطلحات الطبية والكيميائية الحديثة .

ومما يؤسف له ان هذا المنهج القياسي البارع ، على بدائيته ، لم يؤثر في مناهج ونظريات المصطلح العلمي العربي لا في السابق ولا في الوقت الحاضر .

وكانت النهضة العلمية العربية الاسلامية قد ركزت جل اهتمامها في بداية الأمر على التعرف على علوم اليونان وفلسفتها ، ثم نقل ما يتفق مع قيمها الحضارية الجديدة وتقاليدها الموروثة . ثم كانت قد اتجهت نحو الحضارات الشرقية للغرض ذاته .

وبرزت أهمية المصطلح العلمي في أثناء قيام المترجمين بنقل أمهات الكتب إلى العربية . وكان هم العلماء العرب الأول هو الحصول على أكبر قدر ممكن من العلوم والمعارف . فجاءت تراجمهم الأولية غنية في مضامينها ركيكة في لغتها ومصطلحاتها . فلم يبذلوا الجهود المطلوبة لترجمة المصطلحات إلى لغة عربية سليمة ، وإنما اكتفوا بنقلها كما هي . فقالوا : ايساغوجي وقاطيغورياس وباري ارميناس وانولوطيقا وافودقطيقي وسوفسطيقي وريطوريقي إلى غير ذلك من المصطلحات اليونانية ، ثم التفتوا صوب الشرق فنقلوا الخارصين والنوشادر والتيزاب والبورق والتنكار والزنجار والقلندون والمرقشيتا والفيروزج والجمشت وغيرها .

ومن يدقق في تلك المصطلحات يجدها رموزاً واصطلاحات فلسفية أو منطقية أو أسماء لعناصر أو خامات كيميائية لم يضع لها العرب أسماء عربية خاصة بها .

أما التدابير والأفعال والاجراءات الكيميائية وما يتصل بها من صفات فقد عبروا عنها بلغة عربية سليمة مثل التصعيد والتقطير والترجيم والتشميع والتعقيد والتشوية . . . الخ[٢] .

والغريب ان معظم تلك المصطلحات الأعجمية بقيت على حالها زمناً طويلاً بغير ترجمة .

ولا نريد ان نشتبك مع تلك الظاهرة الشاذة لمعرفة جميع ملابساتها ، لكي لا نبتعد عن جوهر الموضوع الذي نحن بصدد دراسته ؛ غير أن أحد الأسباب الرئيسة المرجحة هو نظرة المجتمع العربي الاسلامي المتحفظة نحو كل من الفلسفة اليونانية وعلم الصنعة ؛ ونعني به الكيمياء (أو السيمياء) وما يتعلق به من خفايا وأسرار .

والكيمياء ، على وجه الخصوص ، لم تكن علماً شعبياً يلبي حاجات الناس بشكل مباشر ؛ لذلك بقيت فنونها وطقوسها حكراً على فئة قليلة جداً من العلماء . ولم يخل المجتمع الكيميائي آنذاك من بعض الدجالين الذين مازجوا ما بين التدابير الكيميائية والسحر والشعبذة والطلاسم . فكانت النتيجة المنتظرة من كل ذلك ان بقي المصطلح الكيميائي على عجمته وغموضه ورمزيته . فلم يحاول حتى فقهاء اللغة المشتغلون بالكيمياء في تلك الأيام التصدي لنقل الألوف من تلك المصطلحات إلى العربية . بل لمسنا عكس ذلك تماماً ؛ إذ شُدد النكير على الدخيل من المصطلحات العلمية ، فأُبعدت عن أمهات المعجمات العربية باستثناء القليل والمتأخر منها .

وفي مقابل تلك الصورة القاتمة ، برز الطب والفنون المتصلة به علماً عربياً اسلامياً شريفاً ، وذلك لصلته الانسانية المباشرة بالناس ، فاحترموا رجاله من الأطباء والصيادلة والممرضين ، وأنسوا إلى نظرياته وتدابيره وتجاربه المنفتحة على المجتمع بعكس ما وجدناه في الكيمياء .

فلم تكن فيه أسرار إلا ما كان يتعلق بشرف المهنة أو يمس حياة المواطنين الخاصة بأمراضهم ، والظروف النفسية المتصلة بأحوال علاجهم . فليس غريباً أن نجد ذلك الاهتمام الجاد المخلص بالمصطلح الطبي العربي وبوسائل بنائه وترجمته ونشره على نطاق واسع في الأمصار الاسلامية الواسعة .

والواقع ان اهتمام العرب لم يقتصر على المصطلح الطبي وحده ، بل شمل مصطلحات الفلك والزراعة وعلم الحيوان والحساب والجبر وشؤون الري وغيرها .

ولقد برع العرب في هذه العلوم والفنون أيما براعة ، فكتبوا فيها الرسائل العلمية والأسفار ، وصنفوا المعجمات المتخصصة التي ما زالت نبراساً يضيء دروب العلماء العرب حتى أيامنا هذه .

وبحلول عصر الثورة الصناعية في أوروبا قبل ما يزيد على القرنين ، دخل المصطلح العلمي والمصطلح الكيميائي على وجه الخصوص ، عهداً جديداً لازدهار العلوم والفنون والصناعات ، فانتعشت حركة التأليف والنشر العلمي ، ووضعت الألوف من المصطلحات الكيميائية بأصولها اللغوية اليونانية واللاتينية والمحلية .

ولقد تمت صياغة المصطلح الكيميائي في تلك الفترة على أسس من أوصاف المواد الكيميائية أو خصائصها الفيزيائية والكيميائية أو فوائدها أو مواقع وجودها أو أسماء مكتشفيها كما يبدو ذلك بجلاء من الجدول التالي . أمّا التسميات التركيبية والبنائية الدقيقة بوحداتها الالكترونية أو الذرية أو الجزئية ، فلم تكن معروفة في ذلك الحين كما يعرفها علماء هذه الأيام .

جدول يوضح أسماء عدد من العناصر وأسباب التسميات

اسم العنصر بالعربية	اسم العنصر باللغة الأجنبية	معنى الاســـم
زئبق	Hydragyrum	الفضة السائلة
فضة	Argantum	الفلز اللاصق
نحاس	Aes Cyprum	الفلز القبرصي
باريوم	Barium (Barus)	الفلز الثقيل
فسفور	Phos Pherus	حامل الضوء
زرنيخ	Arsenikon	العنصر الفعال

ويعتمد بناء المصطلح الكيميائي الأوربي ، ومنذ نشأته ، على مصدرين : هما اللغة المحلية واللغتان اليونانية واللاتينية اللتان ما زالتا ترفدانه بالتصديرات واللواحق والجذور وحروف الوصل وأدوات النسبة والرموز والاشارات الدولية .

وفي غياب الأساليب المنهجية والقياسية ، تكدست مئات الألوف من المصطلحات الكيميائية الأوربيّة في معاهد العلم والشركات الصناعية . وتعددت مترادفات المصطلح الواحد حتى في البلد الواحد . فشق على المعنيين بها ملاحقتها واستيعابها . ومن يطلع على محاضر ومقررات (الاتحاد الدولي IUPAC) يلمس بنفسه مدى المصاعب التي واجهته وما تزال تواجهه ، في إبدال العدد الكبير من المصطلحات الكيميائية الدارجة (Trivial) والراسخة في ثنايا الفكر الكيميائي الأوربي ، بمصطلحات منهجية (Systematic) . لذلك أجاز الاتحاد المذكور

الاستمرار باستعمال الدارج منها في الحياة اليومية ريثما يتم تقنين مصطلحات الكيمياء كافة في المستقبل . ولكي نقدم للقارىء الكريم صورة جلية عن فوضى المصطلح الأوربي قبيل تطبيق القواعد الدولية المنوه بها ، نقول : ان الكيميائي الألماني عانى من تلك الفوضى أكثر من غيره ، لِما عرف عن الكيمياء الألمانية من ازدهار وتقدم في ذلك الحين .

فكان ، على سبيل المثال ، يشير إلى (التكافؤ الأدنى Low Valence) باللاحقة (-ur) تارة ، وباللاحقة (-ul) تارة أخرى ، نحو (Eisenoxyd*ul*) و (Kupferchlor*ur*) ، بينما يسميها الكيميائي الانكليزي (-ous) حيث يقول في المركب الأخير (Cupr*ous*) . ثم جاء الكيميائي العراقي أو المصري ليقول (نحاســوز) في حين قال الكيميائي السوري (نحاســور) نقلاً عن الفرنسية .

أمّا الحامِض (H_2SO_4) فيسميه الألماني (Schwefel Säure) أي حامضُ الكبريتِ ، بصيغة الإضافة . ونقلها عنه العالم السوري بالصيغة ذاتها . بينما يسميه الانكليزي (Sulphur*ic* Acid) بمعنى (الحامض الكبريتي ذي التكافؤ الأعلى) وبدلالة اللاحقة النسبية (-ic) التي نقلها كل من الكيميائي العراقي والكيميائي المصري نقلاً حرفياً ، فقالا (حامض الكبريتيك) . وشمل الخلاف نفسه تسمية الحامض (H_2SO_3) وغيره من التسميات المماثلة .

والمؤسف ، ان قيام الكيميائيين العرب بتقليد أساليب المصطلحات الكيميائية الانكليزية أو الفرنسية وأبنيتها العشوائية ، وقبل ادخال المناهج العلمية في تسميتها ، يعدّ أحد عوامل التخلف والوهن في الفكر الكيميائي العربي الذي ما فتىء ينحت في الصخر في سبيل تعريب أصوله وتقنين مصطلحاته دون جدوى ، في الوقت الذي سعى (الاتحاد الدُّوَلي) فيه إلى توحيد أصول المصطلحات والتسميات الكيميائية الأوربيّة ووضع المئات

من القواعد لهذا الغرض ونشرها على اوسع نطاق منذ ما يزيد على النصف قرن .

واللافت للنظر أن الكيميائيين العرب كانوا ولا يزالون يأخذون مصطلحاتهم من المراجع الكيميائية التي لم تلتزم بالنظام الدولي في التسميات !

وفي الوقت الذي كنا نسمع أو نقرأ فيه قصص التناحر والجدل بين أنصار المصطلح الانكليزي وأنصار المصطلح الفرنسي في أثناء انعقاد ندوات التعريب أو في لجان تأليف المعجمات قام عدد ضئيل من مدرسي الكيمياء في بعض كليات العراق بتجربة نظام التسميات العربي الدُّوَلي المقترح كما أشرنا إليه سابقاً ، فاستخدموا نظام (ستوك) على نطاق ضيّق للتعبير عن سُلَّم التكافؤ الكيميائي للعناصر الذي يلغي إشكالية استعمال (ous و ic و ur و ul) وغيرها من لواحق وما تجره من خلافات بين الكيميائيين العرب[٣، ٤] .

نقد المصطلح الكيميائي العربي

من خلال دراسة الأسس التي أقيمت عليها آلية اختيار المصطلح العلمي العربي وبخاصة المصطلح الكيميائي ونقدها وتقويمها لاحظنا أن من أهم أسباب ضعف تلك المصطلحات :

(١) خلوها من المنهج العلمي الواضح وافتقارها إلى التنظيم والتقييس .

(٢) ضعف الروابط بين المصطلح العربي ـ مترجماً كان أم معرباً ـ وبين المصطلح الدولي المقابل له من حيث البناء اللفظي ودقة المعنى ومرونة الاشتقاق والتركيب والتواصل . فمن المتعذر غالباً على الكيميائي العربي أن يرد المصطلح العربي المترجم إلى منابعه اللغوية الأوربيّة التي نقل عنها .

(٣) ضعف البناء اللغوي للمصطلحات العربية المركبة والمعقدة ـ على قلّتها ـ بحيث صار من العسير على الكيميائي العربي إعراب ألفاظها وعباراتها ، وهو شرط لا غنى عنه لفهم المعنى العلمي لأي مصطلح .

(٤) تكريس القدرات اللغوية والعلمية في المؤسسات العربية لتعريب وترجمة الألفاظ والمصلحات الكيميائية البسيطة التي لا يتطلب نقلها جهداً كبيراً ، في حين أُهملت المصطلحات والتسميات المعقدة للمركبات غير العضوية والعضوية والكيميائية الحيوية والكيميائية الصيدلانية وما يماثلها سواء أكان لحاجة الدراسة الأولية أم الدراسات العليا .

(٥) افتقار المصطلح العربي إلى وحدة اللفظ والمعنى سواء أكان ذلك على مستوى الأقطار العربية أم كان بين أعضاء القسم الكيميائي الواحد . بل ولاحظنا أن الكيميائي نفسه يرسمه على أوجه مختلفة !!

تلك هي بعض ملامح الضعف والخلل في بناء المصطلح الكيميائي العربي . وقبل أن نقدم الأفكار العامة للمشروع المقترح الخاصة بتقنين وتقييس ذلك المصطلح ، نرى ضرورة عرض بعض الأمثلة الشائعة في الأوساط الكيميائية والسعي لتقويمها وفق المنهاج المقترح .

العينة الأولى

منذ مدة طويلة اقترح مجمع القاهرة العتيد عدداً من الألفاظ المتعلقة بالأطياف (spectra) ، فقال : (مِطْياف) في مقابل (spectr-o-scope) و(مِطْيَفَة) في مقابل (spectr-o-graph) و(مِطْيَف) في مقابل (spectr-o-meter) . وقال بعضهم في أسباب قبولها (ان كلاً منها صيغت من لفظة عربية واحدة مع ما في ذلك من يسر وإيجاز)[٥] .

والواقع ، إننا اخترنا الأمثلة الثلاثة المذكورة لكونها تمثل صورة واضحة للارتجال العشوائي الذي أصبح السمة التي يحملها المصطلح الكيميائي العربي .

فالمصطلحات الثلاثة لا تربطها وشيجة اصطلاحية دلالية بما يقابلها من المصطلحات الأجنبية . فضلاً عن أن إيجاز المصطلح العربي بلفظة واحدة في مقابل لفظتين في المصطلح الانكليزي جاء بعكس النتيجة المطلوبة ، حيث فقد صفته الاستدلالية التي نراها في المصطلح الانكليزي ، فضلاً عن الخلل البنائي في اشتقاقه أصلاً .

وكل مصطلح من تلك المصطلحات الانكليزية الثلاثة مكون من مقطعين ، الأول منهما مشترك بين الثلاثة هو (-spectr) الموصول بالمقطع الثاني بالحرف (-o-) في مقام الوصف له . ويمكن أن نعبر عن أي منها إما بإضافة الأول إلى الثاني أو بإضافة ياء النسبة إليه لنقول (ـ طَيفي) . أما المقاطع الثلاثة الأخرى فهي (scope -) و (graph -) و (meter -) ومعانيها العربية على نسقها : (مِنظار أو ناظور) و (راسِمَة أو مِرْسَمة) و (مِقْيَاس) . فيكون الاسم التام عندئذ (مِنظارُ الطيفِ أو المِنظارُ الطيفي) و (راسِمَةُ الطيفِ أو الراسِمةُ الطيفية) و (مِقْياس الطيف أو المقياسُ الطيفي) .

وعند تدقيق النظر في المثالين من المصطلحات ، يتضح أن مصطلحات المجمع لا تفي بالمعنى لأن اشتقاقها قد حصل من لفظة (طيف) لا من الألفاظ المتصلة بالأفعال (نظر ورسم وقاس) . وعلى هذا النسق قيل أيضاً : (مصغار micrometer) و (مِسْطاح planimeter)[١١] .

ومن المعروف علمياً أن الأجهزة الثلاثة المذكورة لا (تصنع الطيف) كما جاء في تسميات مجمع القاهرة ، وإنما (ترسمه وتقيسه وتُريه) فحسب .

أما ما يدعيه أنصار تلك التسميات من ان الترجمة قد تمت لفظاً بلفظ ، ويريدون بذلك أن المصطلح الانكليزي مؤلف من لفظة واحدة ، فذلك مخالف للواقع كما ظهر لنا من التحليل البنائي للمصطلحات الثلاثة .

ونود أن نضيف إلى ما تقدم نقطة جوهرية هي أن لكل مقطع من مقاطع المصطلح الانكليزي معنى وظيفياً واستدلالياً مستقلاً خلافاً لمصطلحات المجمع التي جاءت خالية من أية دلالة اصطلاحية تشير إلى طبيعة وظيفتها المتخصصة .

العينة الثانية

في عام ١٩٧٨ أصدر المجمع العلمي العراقي الموقر مجموعة من المصطلحات الكيميائية[1] . وعلى الرغم من الجهود القيمة التي بذلت في سبيل اعدادها وإخراجها كان الارتجال العشوائي قد طبع كثيراً منها . فهي تكاد تخلو من أية قاعدة قياسية يمكن أن يعول عليها في بناء الكثير من المصلحات الكيميائية المماثلة . ومن أمثلة ذلك نذكر :

(أ) جاء في المجموعة (كَيْثَر الأسِتلين) في مقابل (acetylene polymer) ، حيث نابت لفظة (كَيْثَر) مناب لفظتين هما (poly+mer) ومعناهما (متعدد + الجزيئات) .

والمعروف ، أن لفظة (كَيْثَر) تعني (الكَثير) ، فهي لذلك تقترب في المعنى من (polymer) . غير أن هذا النوع من الارتجال محدود الفائدة وعقيم : لأن الاشتقاق من اللفظ المذكور مقيد بمعناه الضيق كما سنرى .

ومما يعرفه الكيميائيون ، أن اصطلاح (polymer) يطلق على مجموعة كبيرة من المركبات الكيميائية المؤلفة من جزيئتين فأكثر . ونعني هنا بالجزيئات ، الذرات والشوارد والمجموعات . . . الخ . من هنا تأتي

استحالة اشتقاق العشرات بل المئات من المصطلحات (الأُسَرية) من لفظة (كَيْثر) ، فضلاً عن الأفعال والمصادر وأسماء المفعولين والفاعلين التابعة لها .

من ذلك المنطلق تأتي أهمية المنهج القياسي الاطرادي الذي يمكن تطبيقه على ما يشتق من (الكيثر) فنقول :

أُحاديُّ الجُزَيء	Mono- mer
ثنائيُّ الجزيئاتِ	Di- mer
عُشاريُّ الجزيئاتِ	Deca- mer
مُتَعَدِّدُ الجزيئاتِ	Poly- mer
يُعَدِّدُ الجزيئاتِ	To poly- mer-ize
تَعَدُّدُ (أو تعديد) الجزيئاتِ	Poly - mer- ization
يُثني الجزيئاتِ	To di- mer- ize
تَثْنِيَةُ الجزيئاتِ	Di- mer- ization
مُرَبَّعُ الجزيئاتِ	Tetra- mer- ized
قابِلُ تخميسِ الجزيئاتِ	Penta- mer- izable

(ب) في الصفحة (٢٢٩) من المرجع السابق قيل حامض (أسيتـو أستـيك) في مقابل (acet- o- acet- ic) . فقد نقل المصطلح المذكور إلى العربية بجذوره ولواحقه وحرف وصله وأبنيته اللغوية الأجنبية . وعلى الرغم من كون الجذور الرئيسة في المصطلح المذكور دولية التسمية ، غير أن ذلك لا يبرر نقل المصطلح برمته وبعجمته الى العربية ، لمخالفته مقررات مجامع اللغة العربية كافة في نقل الألفاظ والمصطلحات الأجنبية وفق قواعد العربية وأبنيتها !

ولقد أصبح هذا الاسلوب الغريب هو السائد في المصطلح العلمي العربي مع الأسف الشديد .

ونحن لو تفحصنا المصطلح قيد البحث لوجدناه مؤلفاً من جذر (acet-) المكرر ؛ إذ يصف أحدهما الآخر بواسطة (-o-) . كما يصف الاثنان الحامض . فتكون الصيغة العربية المقبولة (حامِضُ الخلِ الخَلِّيُّ) أو (الحامِضُ الخلِّيُّ الخَلِّيُّ) . أما الصيغة القياسية العربية والدُّوَلية فهي (حامضُ الأسيتِ الأسيتيُّ) أو (الحامضُ الأسيتيُّ الأسيتيُّ) ، قياساً على عبارة (قائِدُ العَرَب العربيُّ) أو (القائدُ العربيُّ العربيُّ) . وسوف نلاحظ أن هذا التشبيه البسيط سيساعدنا على صياغة المصطلح الكيميائي العربي في المستقبل .

وبمقارنة المصطلحين العربي والأجنبي يتضح لنا أن لكل منهما ثلاثة مقاطع متناظرة وبتسلسل واحد ، فضلاً عن دقة المصطلح العربي ومتانة بنيته ووضوح معناه على الرغم من عجمة جذوره الدُّوَلية . فهو ، بالتأكيد ، أقرب إلى وجدان الدارس العربي من الصورة الأجنبية .

ومن فوائد المنهج القياسي المقترح ، أنه يستجيب إلى محاولات الاشتقاق والتواصل والاطراد والإعراب وبالتالي مطاوعته لتقنيات الحاسوب (أو الحاسب الآلي) .

ومن مشتقات الحامض قيد البحث ملحه المعروف (sodium acet-o-acet- ate) وما يقابله ترجمة (خَلِّيُّ خلات الصوديوم) أو تعريباً (أسيتيُّ أستات الصوديوم) .

ولقد أبقينا على اللاحقة (ate -) بلفظها الأجنبي لأنها تمثل أحد الرموز الدُّوَلية المتفق عليها .

ولتلك اللاحقة معان كثيرة ومتنوعة جديرة بالتنويه بها . ففي المثالين : (condens-ate) و (Hydr-o-lys-ate) نجدها تشير إلى ما ينتج عن الفعل الذي يسبقها وهو (condense) بمعنى (يكثف) و (Hydr-o-lyse)

بمعنى (يَحِلُّ بالماءِ) . فيكون ، عندئذ ، معنى المصطلحين المذكورين على صيغة (فُعَالة) فنقول (كُثَافة) و (حُلاَلة مائية) .

ويمكن أيضاً أن تكون (ate -) لاحقة (فعلية) المعنى فتحول الجذر الذي يسبقها إلى صيغة الفعل نحو : (chlorin- ate) و (alkyl-ate) ؛ فيصبح المقابل العربي لهما (يُفاعِلُ بالكلورِ) و (يضيفُ الالكيلَ) . وعلى وفق هذا الاسلوب المنهجي القياسي يمكننا أن نذكر الأمثلة الآتية :

مُرَكَّبٌ مُفَاعَلٌ بالكلور	Chlorin- ated compound
خُطوة المُفَاعَلة بالكلور	Chlorin- ation step
جزيئة مضاف إليها الالكيل	Alkyl- ated molecule
عمليةُ إضافة الالكيل	Alkyl- ation process
عملية نزع الالكيل	De- alkyl- ation process

ولقد تخبطت المراجع الكيميائية في التعبير عن تلك المصطلحات حيث قالت فيها : (مركبٌ مُكَلَّورٌ) و (خطوة الكَلْوَرة) و (جزيئة مُؤلكلة) . . . إلخ ، تقليداً لبعض العبارات الثقيلة المعربة مثل (فَرْنَسَة وأنكْلَزَة وأَلْمَنَ وأسْبَن) .

(جـ) ورد في الصفحة (٢٤٢) من المصدر السابق اصطلاح (لِحَام الهدروجين الذري) في مقابل (atomic hydrogen welding) . ثم تكرر في معجم مصطلحات الهندسة المدنية في الصفحة (٢٢٧) من المصدر نفسه ، وبصيغة أكثر غموضاً وطرافة ، حيث قيل فيه : (لِحَامُ ذراتِ الهدروجين) . وقد يفهم الكيميائي أو الفيزيائي العادي من كلمة (لِحَام) (شعلة اللحم) أو (فلز اللحم) مما قد يسبب الخلط والالتباس ، هذا فضلاً عن غموض العبارة برمتها من حيث الصياغة .

ومن المعروف أن إضافة (ذرات الهدروجين) أو (الهدروجين الذري) إلى الاسم وهو (لحَام) أو (لَحْم) كما يتصوره البعض إضافة معنوية مخصصة تحتمل في دلالتها معنيين مختلفين كما نفهمها نحن الكيميائيين . إذ يفيد المعنى الأول القيام بعملية (لحَام أو لحم) ، أي دمج الهدروجين الذري ، كما يحصل في حقل الفيزياء النووية ذات الطاقة العالية . وهذا المعنى بعيد عن المقصود بالتأكيد . بينما يفيد المعنى الثاني إجراء (لحم) المعادن أو الفلزات بشعلة الهدروجين الذري وهو المقصود من العبارة المذكورة . ولنتساءل الآن : كيف يفهم القارىء المعاني المقصودة من مصطلحات شبيهة بذلك المصطلح ومقيسة عليه مثل (لحام أو لحم حديد الصب) و (لحم أو لحام النحاس الأصفر) . . . الخ ؟ فعلى من يقع اللحم أو اللحام ، وبأي معدن يتم ؟

ومن المفارقات التي تذكرنا بها تلك الأمثلة ، جملة عريقة كنا ونحن طلاب صغار نحار في معناها هي (جاء ضارِبُ القاضي) . فلم نكن ندري أكان المقصود بها (الذي ضَربَ القاضي) أم (الذي يضَرْبُ من أجلِ القاضي) ؟! وهو المعنى المراد من تلك الاضافة اللامية . وكنا وقتئذ أكثر ميلاً نحو هذا المعنى نظراً لفداحة ضرب رجل في مقام القاضي ! هذا ما قاله لنا المعلم آنذاك . ولكن الحال يختلف في الأمثلة العلمية السابقة ، لأن (اللحم) قد يقع على حديد الصب أو أن يتم بواسطته !

ونحن الكيميائيين ، لا نجرؤ على هز أسس اللغة العربية أو المساس ببلاغتها أو جمال عباراتها ، كعبارة (ضارِبُ القاضي) البليغة . ولكن ، ألا يحسن بنا أن نختار بين ما يكتب للأدب بفنون البيان والبديع ، وهو المطلب الأول ، وبين ما يكتب للعلوم المضبوطة ، حيث تحتل دقة المعنى المقام الأول ؟

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن المصطلح الانكليزي نفسه يعاني من فوضى اصطلاحية مماثلة . غير أن الكيميائي الانكليزي بمقدوره التمييز بين الصيغ المبهمة من موقعها في المقالة أو من نوع الاختصاص الذي يقرأ فيه تلك المصطلحات . فهو إذن يفهم المعنى فهماً آلياً واصطلاحياً ، لا فهماً لغوياً كما نفعل نحن المبتدئين في مجالات البحث العلمي وما يفرزه لنا من ألوف وملايين المصطلحات العلمية .

وما تقدم ، يتضح لنا أن استعمال صيغ قياسية ثابتة وواضحة هو دائماً في مصلحة المصطلح الكيميائي العربي . لذلك نؤكد ضرورة استبدال تلك الصيغ المبهمة الخافية كصيغة (لحام ذرات الهدروجين) وما شاكلها ، بعبارات دقيقة وحاسمة لا تقبل تأويلاً . ومن بين الوسائل المطروحة اختيار صيغة الجار والمجرور ، وذلك بإدخال (باء) الاستعانة ، حيث نقول في الأمثلة السابقة (لحم بالهدروجين الذري) و (لحم بحديد الصب) . أما إذا وقع اللحم على (حديد الصب) نفسه ، عندها نقول : (لحم حديد الصب) . وهنا يشترط أن تبقى تلك العبارات صيغاً قياسية وثابتة .

وكثيراً ما يقع الكيميائي العربي في ملابسات اصطلاحية ناجمة عن الخلط بين صيغتي الاضافة والنسبة . فبعض الكيميائيين مثلاً لا يفرق بين عبارتي (تَفَاعُل قاعدي) و (تفاعلُ القاعدةِ) أو بين (قياسٌ إشعاعي) و (قياسُ الأشعةِ) أو بين (سبيكة نحاسية) و (سبيكة النحاس) ، لأنهم لا يفرقون بين عبارتي (شاعِرٌ عربيٌّ) و (شاعِرُ العرب) !

ونود أن نؤكد ثانية ان هذا النوع من الاضافة المعنوية يفيد في تأكيد الاختصاص . فعندما نقول (تفاعلُ القاعدةِ) ، نفهم من ذلك أن التفاعل اختص بالقاعدة دون سواها . أمّا صيغ النسبة فهي تفيد الوصف العام . فسبيكة النحاس معظمها من فلز النحاس إن لم يكن كلها ، بينما تقل نسبة النحاس عن ذلك كثيراً في السبيكة النحاسية لوجود فلزات أخرى معه .

هذا ما تواضع عليه الكيميائيون اصطلاحاً ، وينبغي الالتزام به اتقاء اللبس .

ويميز الكيميائي الانكليزي بين مختلف صيغ النسبة في لغته وهي كثيرة جداً ، منها ما يلحقها من حروف مثل (O و I) أو لواحق مثل (ic- و ieal-) وغيرها . فحين يقول (Therm-o-grav-i-metr-ic Balance) يقصد به (ميزانُ قياسٍ يتصف بكونه (وزنياً) أولاً و (حرارياً) ثانياً . لأن الجهاز المذكور هو في الأصل (grav-i-metr-ic Balance) ثم أضيفت إليه صفة أو وظيفة علمية وفنية ثانية هي قياس الوزن في درجات الحرارة المتباينة ؛ لذلك وصف بـ (-Therm-o) . فمثل تلك الصيغ إذن أصبحت هي الخيار القياسي الثابت في استمرارية المصطلح الكيميائي الأوربي واحترام الكيميائيين له . فلا يجوز العبث بتركيبه كتقديم (-gravi) على (-Thermo) أو استبدال (-ic) بـ (-ical) ، أو إحلال (-o-) محل (-i-) . فلو حصل ذلك قصداً أو سهواً ، لتبدلت مواصفات الجهاز العلمية أو الفنية أو حتى التجارية . . . ولرفضه أو تجاهله الحاسب الآلي للشركة الصانعة إذا ما سُئل عنه تحت أسمائه البديلة!

لذلك كله ينظر الكيميائي الاوربي إلى (الاسم العلمي) نظرته إلى (بصمات الأصابع) التي تحمل هوية صاحبها ما دام على قيد الحياة .

وعلى منوال تلك التسمية القياسية الأجنبية يحق لنا ترجمتها إلى العربية بالتسميات الآتية :

(١) ميزانُ قياسِ الوزنِ والحرارةِ ؛ (٢) ميزانُ قياسِ الوزنِ الحراري ؛ (٣) ميزانُ القياسِ الوزني الحراري ؛ (٤) الميزانُ القياسيُّ الوزنيُّ الحراريُّ .

وبالتأكيد فإن الصيغة الأولى أكثر تخصيصاً ودقة ، وتليها الثانية ؛ في حين تتسم الأخيرة بشمولية المعنى ، كما سنرى في تسمية المركبات .

ومع كل الفروق المذكورة ، لا بد من اختيار واحدة ، واتفاق الكيميائيين على صيغة قياسية واحدة لتسمية الأجهزة الكيميائية المماثلة والتي يزداد عددها باطراد .

(د) أشرنا سابقاً إلى ضرورة العناية بصياغة المصطلحات المركبة عند نقلها من اللغات الأوروبية إلى العربية ، بحيث يفهمها الدارس العربي لأول وهلة من غير عناء .

ففي الصفحة (٢١٨) من المرجع السابق (٦) قيل (هيدروليك) في مقابل (Hydr- aul- ic- s) ، وصار هذا الأسلوب المرتجل في التعريب السمة البارزة للكثير من المصطلحات العلمية ، وبديلاً غير موفق عن الترجمة إلى العربية .

إن ما يثير الاستغراب حقاً إصرار بعض مجامع اللغة العربية أو المؤسسات العلمية المعنية بالمصطلح العربي على تجاهل القواعد التي تضعها هي لنفسها أو للآخرين ، فتطلب منهم تفضيل المصطلح المترجم على الدخليل المُعَرَّب ، ذلك لأن الدخيل مهما عملنا فيه من جرائح وترقيعات يبقى عصياً على الاشتقاق والاعراب ، وغريباً عن عقل الدارس العربي ووجدانه ، هذا إلى جانب احتمال تعرض اللغة العربية في المستقبل إلى سيل جارف من الألفاظ الدخيلة التي سوف تقدر بالملايين مثل المركبات الكيميائية والرموز والاشارات وغيرها إذا ما فتحنا أبواب اللغة العربية حتى للألفاظ العادية المتصرفة والبسيطة مثل (ديناميك وميكانيك وهيدروليك) وغيرها من الكلم العادي . لذلك ينبغي أن تقيد الاستعانة بالدخيل المُعَرَّب وحصره بالرموز الدُّوَلية وأسماء الأعلام وبعض أسماء الأعيان والمصطلحات المجردة التي لا تحمل بين تضاعيفها معاني لغوية دارجة باستثناء المعاني الاصطلاحية العلمية .

وعلى المرء أن يتخيل حال اللغة العربية بعد قرون وهي تجد نفسها دخيلة على الملايين من ألفاظ المستقبل!

وكلمة (هيدروليك) من أصلٍ لاتيني أو يوناني (Hydraulicus, Hydraulikos)، وأحد معانيها العلمية الاصطلاحية يتصل بجهاز يعمل أو يتحرك أو يتأثر بحركة أو بضغط الماء أو السوائل الأخرى .

ويتألف المصطلح المذكور من ثلاثة مقاطع رئيسة هي (-Hydr وهو الماء أو السائل) و (-aul- وهو الحركة أو الضغط) و (ics- وهو العلم) . فيكون المصطلح العربي المقابل له (عِلمُ حَرَكَةِ السّوائلِ) أو (عِلمُ ضَغْطِ السوائل) ؛ أو بصيغة جمع المؤنث السالم نحو (حَرَكيَّاتُ السّوائِل) أو (ضغطياتُ السوائِل) . والمؤكد أن أيةَ صيغة من تلك الصيغ العربية البسيطة أقرب إلى فهم الدارس العربي من المصطلح الانكليزي .

ويمكن الاطّراد في اشتقاق كثير من المصطلحات الفرعية لذلك المصطلح مثل :

ماكِنَةٌ بضغطِ السوائلِ	Hydraulic Machine
قوانينُ ضغطِ (أو ضغوط) السوائلِ	Hydraulic Laws
تُرابةٌ مائيةُ التصلبِ*	Hydraulic Cement
مائِعٌ لحركيّاتِ السوائل	Hydraulic Fluid
تَغليفٌ مُقاوِمٌ للسوائل*	Hydraulic Packing
التَّصَلُّبيةُ بالماءِ* أو (التصلبيةُ المائيةُ)	Hydraulicity

وجدير بالتنويه أن المصطلحات التي تحمل العلامة (*) خرجت عن النسق أو القياس المعهود ، وهو أمر متوقع لكثير من المصطلحات التي تحمل أكثر من معنى . لذا يترك أسلوب نقلها إلى العربية إلى براعة الناقل وعمق إدراكه للمنهاج القياسي العام .

ويتضح أيضاً من مجموعة المصطلحات السابقة أن التعبير عن اللاحقة (ity-) قد تم بصيغة المصدر ، وهو اسم تلحقه ياء النسبة مردفة بالتاء للدلالة على صفة فيه[11] . وهي صيغة كثيرة الاستعمال في العلوم الطبيعية ؛ إذ نقول (الذَّرِّيَّة atomicity) و (العِطْرِّية aromacity) و (الجُزَيْئِيَّة molecularity) . ويعبر عن اللاحقة (sm-) بالصيغة ذاتها نحو (الآلِيَّة mechanism) .

أمّا المصطلح الآخر وهو (الميكانيك أو الميكانيكا) فإنه موغل في العجمة على الرغم من مقدرة العربية على تناوله بألفاظ مناسبة . فقد أسماه العرب قديماً (عِلمُ الحِيَل أو الحِيَل) فضلاً عن الأفعال العربية (أمْكَنَ ومَكَّنَ وتَمكَّنَ واسْتَمْكَنَ) وهي قريبة منه لفظاً ومعنى . واتحفنا مجمع اللغة العربية في القاهرة بباقة من مشتقاته حيث قال (مَكَني mechanic) لمن يصلح المَكِنات أو يعمل بشكل آلي و (مَكَّان mechanist) لمن يدير المَكِنَة و (مَيْكَنَة mechanisation) لإدخال المكنات في العمل[9] . هذا بالإضافة إلى ألفاظ أخرى مثل (المُكْنَة والمَكِنة) وهما القوة والقدرة والاسْتِطاعة و (الحَوْلُ والمحال والحِوَل والحِيلَة) وهي الحركة والتحول والحِذْق وجودة النظر . وكذلك (الآلة) . . . إلخ .

ومن تلك الكوكبة من الألفاظ البسيطة والدقيقة يمكن اشتقاق المصطلحات الآتية :

في الهندسة :

عِلمُ الحِيَلِ . علمُ المَكَنِيَّاتِ	Mechanics
مَكَني	Mechanical
يُمَيْكِنُ . يُمَكِّنُ	Mechanize
مَكِنَة . ماكِنَة . مَكينَة	Mechine
الإلكترونياتُ المَكَنِيَّة	Mechatronics

في العلوم الطبيعية

مَكَنِيَّاتُ الكَمِّ	Quantum Mechanics
الآليَّة	Mechanism
المَكَنِيَّاتُ الموجية	Wave Mechanics
مَكَنِيَّاتُ المَصْفوفاتِ	Matrix Mechanics
المَكَنِيَّاتُ الفلكيّة	Celestial Mechanics

وعلى هذا المنوال القياسي المطرد ينقل مصطلح (ديناميك dynamics) إلى العربية فنقول :

عِلمُ القُدْراتِ . عِلمُ الحَوْلياتِ	Dynamics
حَوْلي . مُقْتَدِر . قادِر	Dynamic
عِلمُ القُدراتِ الحرارية . الحولياتُ الحرارية	Thermodynamics
عِلمُ القُدراتِ الهوائية . الحولياتُ الهوائية	Aerodynamics
شَكْلٌ انْسيابي . شكل حولي هوائي	Aerodynamic shape
عِلمُ القُدرات القلبية . الحوليات القلبية	Cardiodynamics
عِلمُ قُدرات السوائل . حَوْليات السوائل	Hydrodynamics
مقياس القُدْرة . مقياس الحَوْل	Dynamometer
دايْن (وحدة قياسية دولية)	Dyne
صِمامٌ حَوْلي . صِمامٌ مُقْتَدِر (صِمامُ تضخيم)	Dynatron
قُطْبٌ حَوْلي . قُطْبٌ مُقْتَدر (قطب مُكَبِّر)	Dynode

ولقد اصطفى المجمع العلمي العراقي مصطلحاً موفقاً ودقيقاً في مقابل (Dynamics) هو (تحريكيّات) ليؤكد لنا سخاء اللغة العربية وقدرتها على البذل .

أساليب تقييس المصطلح الكيميائي العربي

أشرنا في مقدمة البحث إلى التطور التاريخي للمصطلح الكيميائي بوجه عام ، وسلطنا الضوء على المصطلح السومري البسيط الذي يمكن أن يُعد بداية للمصطلح المنهجي . ثم تبعه المصطلح العربي الاسلامي فالمصطلح الأوروبي القديم الذي نشأ على تراث اللغتين اليونانية واللاتينية وصفياً مرتجلاً .

وفي النصف الأول من هذا القرن ، قام الاتحاد الدُّوَلي للكيمياء الصرفة والتطبيقية (IUPAC)[٢] بتأليف الهيئات المتخصصة في مختلف فروع الكيمياء . وكان الهدف منها وضع قواعد منهجية لتسمية المركبات الكيميائية العضوية وغير العضوية ، ووضع المصطلحات العامة والرموز والقوانين والتعريفات . . . إلخ . ثم أخذ (الاتحاد) ينشرها تباعاً منذ ذلك التاريخ إلى الوقت الحاضر .

وبعد أن صدرت قواعد (الاتحاد) باللغة الانكليزية ، وتمّت صياغة التسميات الكيميائية ، التزم الكيميائيون الأوربيون بتنفيذ الجانب العلمي فيها ، لكنهم اتخذوا موقفاً متحفظاً وحذراً من قبول اللغة الانكليزية بديلاً عن لغاتهم القومية ، ولغة عالمية للكيمياء ، وهم المجبولون بحبهم واعتزازهم بلغاتهم وبتراثهم الكيميائي الزاخر .

وفي الوقت نفسه شعر الكيميائيون الأوربيون أن الانغلاق على أنفسهم والإنصراف عن مواكبة المناهج والتيارات الدُّوَلية ، سوف يَعْزِلُهُم عن باقي العالم ويحرمهم من فرص التعاون في ميادين علمية كثيرة في مقدمتها علوم الكيمياء .

وأشرنا في هذه المقالة أننا استوحينا بعض تجارب الأقطار الأوربية ؛ فوضعنا عدداً من المفاهيم والقواعد للمصطلح الكيميائي واقترحنا تسمية المركبات العضوية وغير العضوية[٣] .

ولقد تم عرض الخطوط العريضة لمشروع التسميات على مؤتمر تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي الذي عقد في بغداد سنة ١٩٧٨[١٣] . ثم قُدِّم بعضه على هيئة مشاريع إلى لجنة الكيمياء في المجمع العلمي العراقي منذ بداية الثمانينات إلى الوقت الحاضر .

والواقع أنّ الإحاطةَ بجميع تلك القواعد العربية الخاصة بالمصطلح الكيميائي العربي وتطبيقاتها الواسعة بمقالة واحدة وشاملة أمر متعذر لسعتها وتشعبها .

وتقوم فكرة التقييس على مبدأ محاكاة المِثْلِ من التسميات الأجنبية الدولية لاستنباط التسمية القياسية العربية وصياغتها بلغة سليمة ، ووفق مبادىء واضحة ومنهج ثابت . وبذا تصبح للمركبات الكيميائية المنحدرة من فصيلة أو مجموعة واحدة تسميات موحدة . وينسحب هذا التعريف إلى جميع المصطلحات الكيميائية الأخرى من غير تفريق .

ولغرض تنفيذ فكرة القياس عند وضع أو نقل المصطلحات الكيميائية الأجنبية إلى العربية ، ينبغي لمن يقوم بهذا العمل أن يلم بعدد من المعايير والشروط والخطوات الأساسية التي يتطلبها ذلك العمل الفني وهي :

(١) دراسة التركيب اللغوي للمصطلح الأجنبي قيد النقل ، دراسة تحليلية مفصلة ، وتحديد مقاطعه أو جذوره الرئيسية والثانوية ، وتعيين التصديرات واللواحق وحروف الوصل ومعرفة معانيها بالضبط .

(٢) ضبط أصول المقاطع اللغوية للمصطلح (يونانية ولاتينية وعربية وأوربية حديثة . . . إلخ) وتحديد المعنى الدقيق لكل مقطع من مقاطع المصطلح المنقول .

(٣) مقارنة المعنى اللغوي الشائع (إن وجد) بالمعنى العلمي الاصطلاحي

المشتهر به بين الكيميائيين لمعرفة مدى التطابق أو التقارب بينهما .

(٤) اختيار لفظة عربية مناسبة في مقابل كل مقطع من مقاطع المصطلح الأجنبي ، كخطوة أولية ، بناء على المعنى الشائع أو المعنى الاصطلاحي ، أيهما أقرب إلى فهم الدارس العربي ، بحيث يتطابق أو يتقارب المعنيان العربي والأجنبي ، حتى نحصل على مثال عربي تجريبيّ وأولي لذلك المصطلح . ولا يشترط دائماً تماثل المصطلحين من حيث عدد المقاطع إذا كان الأمر متعذراً .

(٥) تهذيب المصطلح العربي الأولي وضبط تركيبه اللغوي بانقاص أو زيادة مقاطعه (ألفاظه) عند الضرورة ، واختبار صلاحه لفظاً وجرساً ومعنى ، وإعادته إلى لغته الأجنبية المنقول عنها بقدر المستطاع ، لمعرفة مدى ثباته ودقه معناه .

(٦) العمل على إدخال الرموز والإشارات العربية أو المُعَرَّبة وإحلالها محل الأجنبية ورسمها بالحرف العربي مثل (ate و ite ـ و ide ـ و ose ـ و lyte ـ و on ـ و tron ـ و de ـ و mer ـ و sis ـ . . . إلخ) .

(٧) ضرورة المحافظة على تسلسل المقاطع المتتابعة في كلا المصطلحين العربي والأجنبي قدر المستطاع ، على أن لا يكون ذلك على حساب سلامة المصطلح العربي من حيث لغته أو معناه .

(٨) الالتزام بترجمة المصطلح الأجنبي إلى العربية وعدم اللجوء إلى التعريب إلا لضرورة ماسة ، كتعريب أسماء الأعلام وما يقاس عليها كأسماء العناصر والمركبات والرموز الدولية ، على أن يرسم المصطلح بالحروف العربية .

(٩) ضرورة المحافظة على ثبات البناء اللغوي للمصطلح القياسي العربي بعد أن تقره المراجع المختصة على أن لا يسمح باعادة النظر فيه إلا

لتلك المراجع . ومن ثم إلزام المؤسسات العلمية العربية كافة باستعماله دون سواه .

(١٠) الإفادة التامة من رصيد اللغة العربية الغزير وذلك بإحياء المهجور من الألفاظ والتوسع في الاشتقاق والمجاز واستعمال غير الشائع من الأبنية الصرفية واستيحاء التجارب العربية باستعمال الأبنية القياسية كتجارب الأطباء العرب مثلا [٧٠٨] .

ولكي ندرك أهمية المبادىء والخطوات السابقة ، ينبغي لنا أن نتناول عدداً من الأمثلة المثالية وترجمتها أو تعريبها وفق الأسلوب المقترح . ولا يشترط هنا انطباق المعايير والمبادىء المذكورة بكافة على كل مصطلح ينقل إلى اللغة العربية ، بل يترك ما يناسب كل مصطلح من المصطلحات المعنية إلى حصافة صاحب المصطلح وحاجته . وله أيضاً أن يتصرف بمرونة ، فيضيف إلى رصيده معايير أخرى إذا ما دعته ضرورة لذلك . فالمبادىء المذكورة سابقاً ليست قوانين طبيعية لا يجوز تغييرها ، وإنما هي لوازم وضعية وقواعد عامة وضعت لتلبية حاجات معينة .

وتتناول الأمثلة المقترحة مصطلحات عامة وتسميات كيميائية بسيطة ومعقدة :

المثال الأول : أسماء تبدأ بالسابقة (-Glyc)

تنحدر لفظة (-Glyc أو -Glyco) من أصل يوناني (-Glyk) وتعني في الأصل (حلو المذاق) . ثم اتسعت معانيها الاصطلاحية في الكيمياء لتتناول كل ما يتصل بمصطلح (السُّكَّر الأُحادي) البسيط . ومن مشتقات تلك اللفظة نذكر :

(أ) Glycemia (Glyc + emia) و Hem = emia ومعناها (الدم) . فيكون معنى المصطلح (سُكَّر + دَم) . ويحتمل عدداً من المعاني

الاصطلاحية في الكيمياء منها (سكَّرٌ في الدم) أي (سُكَّر الدم). وسماها المعجم الطبي الموحد (سُكَّرِيَّة الدم) على صيغة المصدر الصناعيّ[8]. ويشتق من المصطلح المذكور عدد من المصطلحات الثانوية مثل (Hypo- glyc-emia : **نقصُ سكريةِ الدمِ**) و (Hyper- glyc- emia : **فَرْطُ سكريةِ الدم**). ويلاحظ هنا تطابق تسلسلِ المقاطع في المصطلحيْن العربي والأجنبي.

(ب) Glycose (Glyc +ose). واللاحقة القياسية الكيميائية (-ose) تعنى (صنف السكر أو السكريات). فيكون المعنى العام الشائع للمصطلح (حُلْوٌ من صنف السكر). ثم تحول إلى معنى اصطلاحي هو (صِنْفُ السُّكرياتِ الأُحادية) أو باختصار (سُكَّرٌ أُحاديٌّ). فيكون في الأخير معنى (-ose) (سُكَّرٌ)، نحو (Fruct- ose سكر الفواكه)، و (Lact- ose سكر اللبن)، و (Galact- ose سكر الحليب)، و (mann- ose سكر المنِّ).

وتوضح لنا تلك الأمثلة كيفية تحول المصطلح من المعنى العام إلى المعنى الخاص (الاصطلاحي). وقد يبتعد بعضها عن بعض ليؤكد لنا ضرورة الانتباه في أثناء اختيار المقابلات العربية، كما حصل في السابقة (-Glyc) التي تحولت من (حلْو) إلى (صنف أُحادي).

(جـ) Glycoside (Glyc+ ose + ide). وللاحقة (-ide) معان كثيرة؛ لكنها في هذا المصطلح تمثل رمزاً كيميائياً دولياً يصف مجموعة من مشتقّات (الأستال) في السكريات الأُحادية بلغة الكيميائيين، وهي في أصلها اللغوي إحدى علامات النسبة. فتصبح التسمية المستنبطة للمصطلح أما (سُكريٌّ أُحاديٌّ) بالترجمة، أو (سُكَّر أُحاديٌّ) بالتعريب، قياساً على (كلوريد وكبريتيد ومائيد).

وتستخدم التسميتان المذكورتان كمصطلحين اعتياديين في العبارات الكيميائية . أما في التسميات الكيميائية القياسية ، عندما يكون المركب المذكور جزءاً من مركب معقد ومتواصل ، حينئذ تقلب التسمية لتصبح (ـ أُحاديُّ السكريُّ) أو (ـ أُحـاديُّ السُكَّرِيد) ، وذلك للمحافظة على تسلسل المقاطع .

(د) Glycosidase $\left(\frac{\text{Glyc}}{1} + \frac{\text{ose}}{2} + \frac{\text{ide}}{3} + \frac{\text{ase}}{4}\right)$.

وتشير الكاسعة (ase-) إلى صنف الخمائر . وقياساً على ما تقدم من مصطلحات مماثلة ، تصبح الصيغة المستنبطة لـلـمـصـطلح الـمـذكـور

$\left(\frac{\text{خميرُ}}{٤}\ \frac{\text{أُحادي}}{١}\ \frac{\text{السكـري}}{٢}\ \frac{}{٣}\right)$ أو $\left(\frac{\text{خميرُ}}{٤}\ \frac{\text{أُحادي}}{١}\ \frac{\text{السُكر}}{٢}\ \frac{\text{يـد}}{٣}\right)$.

ويلاحظ هنا توافق التسلسل في النموذجين الدولي والعربي ، بعد أن أُخذ بالاعتبار تقديم المضاف (خمير) على المضاف إليه (أحادي) بحسب مقتضيات العربية .

(هـ) Glycolipid (Glyco + lipid) . ومعنى (lipid) (صنف الشحوم) . فيكون اسم المصطلح (شَحْمُ سُكريٌّ) أو (شَحْمُ السُكر) . أما في المركبات المعقدة المتواصلة فنقول فيه مركب (ـ شحميٌّ سكريٌّ ـ) بصيغة النسب المتتابعة .

(و) Glycolysis (Glyco + lysis) . ومعنى (lysis-) (تَحَلُّلٌ أو حَلٌّ) ، وهي مؤلفة من شقين (-ly يتحلّل) و (sis-) علامة مصدرية ؛ فيكون المعنى المنهجي لمصطلح (تَحَلّلُ السكرِ الأُحاديِّ) أو (تَحَلّلُ الأُحاديِّ السكرِ) ، وأصلُهُ(تحلُّل المركَّبِ الأُحاديّ السكّرِ) ، حيث حذفت لفظة (مركب) للعلم بها . وسوف نشرح هذا الأمر لاحقاً .

(ز) Glycogen (Glyco + gen) . ومعنى (gen أو gene) (مُوَلِّدٌ) ؛ فتكون التسمية (مُوَلِّدُ السُّكَّرِ الأُحاديِّ) أو (مولد الأُحاديّ السُّكَّر) وذلك في المركبات المتواصلة . ولهذا المركب اسم دَارج هو (النِشاء الحيواني) .

(ح) glycogenesis (glyco + gene + sis) . ولهذا المصطلح معنيان ، الأول (تكوينُ مُوَلِّدِ أحاديِّ السكرِ) ، وهو الأكثر استعمالاً ، والثاني (توليدُ الأُحاديِّ السكرِ) أي توليدُ المركب الأحاديِّ السكرِ .

(ط) glycogenolysis $\left(\frac{\text{Glyco}}{1} + \frac{\text{geno}}{2} + \frac{\text{Lysis}}{3}\right)$. ومقابله في العربية

(تَحَلّلُ مولدِ السُكرِ الأُحاديِّ) أو

($\underset{٣}{\text{تَحَلل}}$ $\underset{٢}{\text{مُولِد}}$ $\underset{١}{\text{الأحاديِّ السُكرِ}}$) .

ويلاحظ في هذا المثال أن صيغة (النسبة) لغرض الوصف في التسمية الدولية تقابلها صيغة (الاضافة) في الاسم العربي .

(ي) Glycosyl (Glyc + ose + yl) . وتمثل اللاحقة (yl-) رمزاً دولياً ينقل اسم العنصر أو المركب الكيميائي إلى صيغة جذره (Radical) مثل (Eth-yl Alcohol) أي كحولُ الأثيلِ . فيكون اسم المصطلح (سُكريلٌ أُحاديٌّ) .

(ك) Glycosyltransferase (glyc + ose + yl +transfer + ase) . ومعنى المقاطع وفق تسلسلها الدولي (سُكَّرٌ أحادي + ايْل + تَحَولٌ + خَميرة) يقابله المعنى العربي (خميرةُ تحولِ الأُحاديّ السُكريلِ) في المركبات الكيميائية الشبه المتواصلة .

أما إذا ما وردت تلك المركبات وجذورها في مركبات كيميائية معقدة ومتواصلة مثل (glycopyranosyl- B- glucoside) ، فأمر تسميتها يخضع لعدة اعتبارات سوف نعرض لها فيما بعد .

المثال الثاني : تسمية الأجهزة والآلات المنتهية بالكواسع : (-scope و -meter و -graph) .

ندرج في الجدول الآتي عدداً من الأجهزة العلمية والكيميائية البسيطة والمركبة وتسمياتها المنهجية المقترحة :

التسمية بالعربية	التسمية بالإنكليزية
أ ـ منظارُ أو ناظورُ الطيفِ	(1) Spectr-o-scope
ب ـ المنظارُ الطيفيُّ	
أ ـ مقياسُ الطيفِ	(2) Spectr-o-meter
ب ـ المقياسُ الطيفيّ	
أ ـ راسمةُ الطيفِ	(3) Spectr-o-graph
ب ـ الراسمةُ الطيفيّةُ	
أ ـ مقياسُ الحرارةِ	(4) Therm-o-meter
ب ـ المقياسُ الحراريُّ	
أ ـ المقياسُ الجوِّيُّ	(5) Bar-o-meter
ب ـ مقياس الضغط الجوّيّ	
أ ـ مقياسُ الصِّغارِ (أي الأشياء الصغار)	(6) Micr-o-meter
ب ـ مقياسُ المُصَغَّراتِ	
أ ـ مقياسُ المِغناطِ أو المِغْنَطيسِ	(8) Magnet-o-meter
ب ـ المقياسُ المغناطيّ أو المغنطيسيّ	
مقياسُ الكَثافةِ	(9) Dens-i-meter
مقياسُ الكَثافةِ البصريّة	(10) Densit-o-meter *
أ ـ مقياسُ الكثافةِ الطافي	(11) Hydr-o-meter *
ب ـ المقياسُ المائيّ (ترجمة حرفية)	
مقياسُ الكثافةِ الدورقي (أو الحوصلي)	(12) Pykn-o-meter *

(13) Spectr-o- (1) phot-o- (2) meter (3) — المقياسُ (٣) الضوئيّ (٢) الطيفيّ (١)

(14) Absorpti-o- meter — المقياسُ الامتصاصيُّ

(15) Absorption (1) spectr-o- (2) phot-o- (3) meter (4)

أ - المقياسُ (٤) الضوئيّ (٣) الطيفيّ (٢) الامتصاصي (١) (تسمية قياسية)

ب - مقياسُ (٤) الامتصاص (١) الضوئي (٣) الطيفي (٢)

(16) Infra (1) red (2) absorption (3) spectro- (4) photo- (5) meter (6)

أ - المقياسُ (٦) الضوئي (٥) الطيفي (٤) الامتصاصي (٣) تحت (١) الأحمر (٢) (صيغة مفضلة)

ب - المقياسُ (٦) الضوئي (٥) الطيفي (٤) الامتصاصي (٣) الأحمر (٢) التحتي (١)

(17) Energy (1) dispersion (2) X- (3) ray (4) fluoro- (5) photo- (6) meter (7)

أ - المقياسُ (٧) الضوئي (٦) التألقي (٥) الشعاعي (٤) السيني (٣) التفرقي (٢) للطاقة (١)

(أو الطاقي) وهي تسمية قياسيّة .

ب - المقياسُ (٧) الضوئي (٦) التألقي (٥) لطاقة (١) الأشعة (٤) السينية (٣) المتفرقة (٢)

وهي صيغة شبه قياسية لاختلاف تسلسل لفظة (طاقة) في الاسمين العربي والأجنبي .

(18) Wave (1) length (2) dispersion (3) X- (4) ray (5) fluoro- (6) photo- (7) meter (8)

أ - المقياسُ (٨) الضوئي (٧) التألقي (٦) الشعاعي (٥) السيني (٤) المتفرق (٣) (التفرقي)

للطول الموجي
 ٢ ١ (تسمية قياسيّة) . ويجوز القول :

المقياس الضوئي التألقي الشعاعي السيني التفرقي الطولي الموجي .
 ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨

ب ـ المقياس الضوئي التألقي للطول الموجي المتفرق للأشعّة السينيّة .
 ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨

والآن لنقف عند الجهازين الأخيرين وقفة متأنية لنتعرف على وظيفتيهما ، ومن ثم على تسميتيهما المقترحتين . فكل من الجهازين يقيس الضوء المتألق المنبعث من تفاعل الأشعة السينية مع العناصر الكيميائية ؛ غير أن الجهاز الأول يتابع مقدار الطاقة المتفرقة بينما يتابع الثاني الطول الموجي للاشعة المذكورة . ولقد اقترحنا لكل جهاز عدداً من التسميات العربية يتصف بعضها بالقياس لانطباقه على الاسم الدولي في المعنى وتسلسل المقاطع والبعض الآخر اعتيادي أو شبه قياسي .

والمتتبع لتينك التسميتين يلاحظ أن التسمية القياسية تميل إلى الصورة الرمزية غير المألوفة في العبارة الاعتيادية ، لأنها لغة اصطلاحية حيث تتابعت فيها الصفات للحفاظ على المنهج القياسي المقترح .

وأيًا كان الاختيار ، فإن الصيغتين كلتيهما تخدمان الغرض المطلوب منهما وهو دقة المعنى وسلامة اللغة وسهولة الرد إلى الأصل الدولي ، وهي الأسس التي يعتمد عليها مبدأ القياس . لذا لا ينبغي حمل المصطلح العربي كرهاً لكي تنطبق مقاطعه على مقاطع المصطلح الأجنبي خلافاً لقواعد اللغة العربية أو على حساب المعنى العلمي .

ومما يؤيد سلامة الصيغ المقترحة للجهازين السابقين كونها سهلة الأبنية واضحة المعاني ، ويمكن بقليل من الجهد إعادتها إلى الأصل الأجنبي .

المثال الثالث : تسمية المصطلحات المشتقة من الجذر (-sol-)

اخترنا هذا المثال الكيميائي المركب والمعقد لاختبار قدرة اللغة العربية على مجاراة اللغات الأوروبية القديمة والحديثة في تناول التراكيب الاصطلاحية المعقدة .

يعرف الكيميائيون ان للجذر (-sol-) عدداً من المعاني أو التعاريف يتعلق أحدها بارتباط طور (phase) بطور آخر ارتباطاً فيزيائياً ـ كيمائياً . فعند إضافة ملح ما (وهو طور صلب) إلى الماء (وهو طور سائل) ، يقال حينذاك إنّ الملح (ذابَ) في الماء ، فكوَّنَ الطوْران (محلولاً) . ويسمى الملح (مُذاباً) والماء (مُذيباً) .

وللجذر المذكور عدد من المشتقات المهمة هي :

(١) (sol : **الحُلُّ**) : وقد أسمته بعض المعجمات (الصُل) ، وهو تعريب لا مسوغ له البتة . ومن أنواعه (الحُلُّ المائي hydrosol) و (الحُلُّ الكحولي alcosol) و (الحُلُّ الهوائي aerosol) . . . إلخ .

(٢) (Sol- uble : قابِلُ الذَّوبان) . وبعضهم ينقله على فَعُول (ذَؤوب) أو على فَعَّال (ذَوَّاب) أو على فاعِل (ذائِب) أو على مِفْعال (مِذواب) .

(٣) (Sol- ubil- ity) : (قابليةُ الذَّوَبانِ) أو (الذَّوَبانية) ، على صيغة المصدر الصناعي . ولهذه الصيغة أوجه أخرى لا مجال لذكرها هنا .

(٤) ($\underset{1}{\text{Sol-}}$ $\underset{2}{\text{ubil-}}$ $\underset{3}{\text{ize}}$) : وهو فعل يقابله بالعربية مقطعٌ بمقطع : ($\underset{٣}{\text{يَجْعَلُه}}$ $\underset{٢}{\text{قابلَ}}$ $\underset{١}{\text{الذَّوَبان}}$) أو (يزيدُ قابليةَ الذوبانِ) .

ويُفَضَّل القول (قُبِلَ الذوبانَ) ، أي قَبِلَ الملحُ الذوبانَ .

(٥) ($\underset{1}{\text{Sol-}}$ $\underset{2}{\text{ubil-}}$ $\underset{3}{\text{iz-ation}}$) : وهو مصدر الفعل السابق ، ومقابله العربي (جَعْلُهُ قابِلَ الذوبانِ) أو (قَبولُ الذوبانِ) ؛ كأننا نقول (The solubilization of salt ، بمعنى قَبولُ المِلحِ للذوبانِ) أو (قبولُ الملحِ الذوبانَ) .

(٦) (Sol- ubil- iz- er) : وهو اسم الفاعِل للفعل السابق . ومقابله (مُزَيِّدُ قابليةِ الذَّوَبانِ) أو (مُزَيِّدُ الذوبانيةِ) . وهو عامل كيميائي يضاف إلى المُذاب والمذيب معاً لزيادة الذَّوَبانية وحفْزِها .

(٧) (Sol- uble- ness) : وهو مصدر آخر قليل الاستعمال ، وترجمته القريبة (القابليةُ الذوبانيةُ) .

(٨) (Dis- solve) : فِعلٌ مرادف تقريباً لـ (solve) ، أي (يُذيبُ) .

(٩) (Dis- sol- ution) : مصدر الفعل السابق وترجمته (إذابةٌ أو ذَوَبانٌ) .

(١٠) (Sol- ute) : (المُذَابُ) .

(١١) (Sol- vent) : (المُذِيبُ أو المِذْوَبُ) .

(١٢) (Sol- ution) : مصدر معناه (مَحْلولٌ) ، وقد رسخ هذا الاسم في المراجع رغم افتقاره إلى الدقة ، وأفضل منه (الحَلُّ أو الانحِلالُ) .

(١٣) (Sol- vable) : مرادف (soluble) تقريباً ، ومقابله العربي (قابِلُ الحَلِّ) . والحَلُّ مرادف (الذَوَبان أو الذَّوْبُ) .

(١٤) (Sol- vate) : وأصلها (solvent + ate) (نِتاجُ التذاوب) ؛ وهو اتحاد كيميائي أو فيزيائي بين المذُاب والمذُيب . ومثاله (hydr-ate) ومُعربه (هِيدرات) وترجمته (ماءات) .

(١٥) (Sol- vated) : من صيغ المبني للمجهول ، ومقابله (مُذَوَّبٌ) أو (متذاوب) ؛ إذ يقال (solvatedion : شِقٌّ مُذَوَّبٌ) .

(١٦) (Sol- vation) : (التَذاوُبُ) .

(١٧) (Sol- ve) : مرادف (Dissolve) وهو الفعل (يُذيبُ) .

(١٨) (Sol- vency) : أحد المصادر النادرة الذي يصف حالة (المُذِيبِ) وكينونته . ويشتق على صيغة المصدر الصناعي حيث يقال (المُذِيبِيَّة) أو (المِذْوَبِيَّةُ) .

(١٩) (Sol- vo- lysis) : مصدر أصله (solvent + o + lysis) ، وهو تفاعل كيميائي بين المُذيب والمُذاب . وهو مماثل (للتذاوب) . وترجمته

القياسية (تَحَلّلٌ بالمُذيبِ) أو (تَحَلّلٌ مُذِيبيٌّ) . ويقال أيضاً (حَلٌّ بـالمـذيبِ) . ومن أمثلتـه (Hydrolysis : تَحَلّلٌ بـالمـاءِ) و (Ammonolysis : تحلّل بالأمونيا أو تحلل أمونيي أو حَلٌّ أمونيي) .

(٢٠) (Sol- vo- lyze) : فعل المصدر السابق ويقابله بالعربية (يتحلّل بالمذيبِ) أو (يُحلِّلُ بالمذيبِ) .

وفي رصيد العربية أبنية أخرى كثيرة ومشتقات للفعل (ذَابَ) ليس لها نظائر في اللغات الأخرى ، نذكر منها (اسْتَذابَ) : بمعنى طلب الإذابَة ؛ و (الذَّوْبَة) : المَرّة من الذَّوْبِ ؛ و (انْذابَ) : لمطاوعة الذَّوب نحو : أَذَبْتُه فانْذَاب ؛ و (تَذاوبَ) : لمشاركة الذَّوَبان نحو : (تَذَاوبَ الكحولُ والماءُ) ، أو لوقوع الذَّوَبان تدريجياً نحو (تَذَاوبَ السكرُ في الماءِ) ، وكذلك (مِذْوَاب) و (ذُوَبة) أي كثير الذوبان . وذَوَّبَ للمبالغة في بذل الجهد أو الطاقة على الذوبان . و (المَذابُ) : المسار الذي تسلكه عملية الذوبان ، أو المصدر الميمي الذي يصف صورة الذوبان وحالته نحو (كان مَذَابُ المِلْح سريعاً) . وأخيراً هناك (أَذْوَبُ) وهي من صيغ التفضيل نحو (السَمادُ الكيميائي أَذْوَبُ من السماد الحيواني) .

ونكتفي بهذا القدر اليسير من النماذج لايضاح مقدرة العربية على التعامل مع المصطلح الكيميائي بنوعيه البسيط والمعقد . ولولا ضيق المساحة لذكرنا الكثير من هذه النماذج ، وبخاصة الأمثلة التي احتج بها المحتجون من الكيميائيين الذين أشرنا إلى تمردهم على العربية في صدر المقال .

التسميات الكيميائية Chemical Nomenclature

مما لا شك فيه أنّ استعمال الأسلوب المنهجي القياسي في نقل المصطلح الكيميائي الاعتيادي إلى العربية يسري أيضاً على أنظمة تسمية المركبات الكيميائية بالقدر نفسه من اليسر والتوفيق .

وتبنى التسميات الكيميائية للمركبات على الأسس العلمية واللغوية المار ذكرها في الصفحة (١٦٨ ـ ١٧٠) ، فضلاً عن بعض الشروط الخاصة التي هي :

(١) متابعة القواعد الدولية التي اقترحها الـ(IUPAC) في التسميات العربية .

(٢) الاحتفاظ بالتصديرات واللواحق والرموز الدولية لفظاً ومعنى ونقلها إلى العربية بالحروف العربية مثل (ol و yl و ide و ate و ane) . . . إلخ .

(٣) الاحتفاظ بالأسماء الدارجة (Trivial) والأسماء العربية التراثية ، إلى جانب الأسماء القياسية وحصر استعمالها في مجال الصناعة والتجارة والنشر الثقافي والتعليم العام .

(٤) نقل الأسماء الأجنبية المركبة بموجب الأبنية العربية والاستعانة بالصور اللغوية الرمزية عند الحاجة لاستكمال شروط القياس ، واجتناب التراكيب المزجية أو النحت من الألفاظ الأجنبية وفك ترابط الأسماء الأجنبية المتواصلة قبل نقلها إلى العربية .

ولما كانت التسميات الكيميائية المنقولة إلى العربية تعدُّ بالآلاف اكتفينا بأمثلة قليلة منها :

التسميات غير العضوية Inorganic Nomenclature

المثال الأول : تسمية الحوامض Acids

(أ) **الحوامض العضوية** : تسمى الحوامض العضوية (قياسياً) بإضافة ياء النسبة إلى اسم الجذر الدولي للحامض ، كما تسمى بالتسميات الدارجة ، باضافة اسم الحامض المحلي أو الدولي ، بعد ترجمته إلى العربية قدر المستطاع ، إلى لفظة حامض نحو :

الحامِضُ الاسيتي (حامِضُ الخَلِّ) Acet-ic acid

الحامِضُ السِّتْرِيُّ (حامِض الليمون) Citr-ic acid

الحامض الأُوكساليُ (حامِض الحُماض) Oxal-ic acid

(ب) الحوامض غير العضوية الثنائية الذرات Binary Acids

تسمى الحوامض الثنائية والشبه الثنائية (pseudo- binary) التي تكوِّن جذوراً سالبة منتهية باللاحقة (ـ يد ide ـ) باعتبارها مركبات ثنائية أو شبه ثنائية للهيدروجين نحو :

كلوريد الهيدروجين **Hydrogen Chloride**

أو (الحامضُ الهيدريُّ الكلورِ) (Hydrochloric Acid)

كبريتـيدُ الهيدروجين (شبه ثنائي) **Hydrogen Sulphide**

(جـ) الحوامض غير العضوية المتعددة الذرات Polyatomic والمنتهية جذورها باللاحقتيْن (ـ آت ate ـ و ـ يت ite ـ) :

يسمّى هذا الصنف من الحوامض على أشكال كثيرة منها :

المنهج الأوّل : ويسمّى بالأُسلوب الألماني . وقد استعارته بعض الأقطار العربية ، وأساسه أن يضاف اسم العنصر المكوِّن للحامض إلى لفظة (حامض) في مقابل الكاسعة (ic-) ، وان تستعمل صيغة النسبة إلى العنصر في مقابل الكاسعة (ous-) . ولقد أوصى الاتحاد الدولي بالابقاء على الكاسعتين السابقتين في الحوامض الشائعة بصورة مؤقتة في الأرجح ، ريثما تترسخ التسميات المنهجية للحوامض الأقل انتشاراً في الفكر الكيميائي ثم تعميمها على بقية الحوامض . ولكننا في المنهج المقترح نرجح الأُسلوب القياسي في جميع الحوامض غير العضوية وأملاحها بالنظر إلى حداثة الكيمياء العربية وتواضع رصيدها من المركّبات والمصطلحات . وسوف نذكر ذلك في المنهج الثاني . ومن أمثلة المنهج الأوّل نذكر :

حامضُ الكبريتِ Sulphur - ic acid

الحامض الكبريتي	Sulphur- ous acid
حامضُ النتروجينِ	Nitr- ic acid
الحامض النتروجيني	Nitr- ousacid
الحامض تحت النتروجيني	Hypo- nitr- ousacid
الحامضُ فوق أكسي النتروجيني	Per- oxo- nitr- ous »
٤ ٣ ٢ ١ ٥	1 2 3 4 5
حامضُ فوق أكسيِّ النتروجينِ	Per- oxo- nitr- ic »
٤ ٣و ٢ ١ ٥	1 2 3 4 5

المنهج الثاني :

وهو المنهج القياسي الذي قدره الاتحاد الدُّوَلي في تسمية الحوامض الأكسيجينية الأقل انتشاراً . ونحن نفضل تعميمه ليشمل جميع الحوامض غير العضوية وأملاحها لأنه الأكثر مطاوعة للقياس والاطراد . فهو لا يعتمد على الكاسعتيْن (-ic و ous-) فقط للاشارة إلى التكافؤ (أو عدد التأكسد) ، وإنّما يستند إلى قاعدة ستوك (Stock) التي تشير إلى أعداد التأكسد بالأرقام .

ويمكن تلخيص المنهج الثاني بأن يضاف اسم العنصر المكوِّن للحامض إلى لفظة (حامض) وإلحاقه بعدد تأكسده بين قوسين . ومن أمثلته نذكر :

حامضُ الكبريتِ(٦)	Sulphur- ic acid
حامض الكبريتِ(٤)	Sulphur- ous acid
حامضُ النتروجين (٥)	Nit- ic acid
حامض النتروجين (٣)	Nitr- ous acid
حامضُ تحتَ النتروجين (٣)	Hypo- nitr- ous acid
حامضُ فوقَ أُكسي النتروجينِ (٥)	Per- oxo- nitr- ic acid

حامضٌ حراريٌّ الفسفور (٥) Pyro- phosphor- ic acid

أو (حامض الفسفور (٥) الحراري)

حامضُ المنغنيز (٦) Mangan- ic (VI) acid

حامضُ المنغنيز(٥) Mangan- ic (V) acid

حامضُ رباعّي أكسيٍّ الرينيوم (٧) Tetra- oxo- rhen- ic (VII) acid

حامضُ خماسيٍّ أكسيٍّ الرينيوم (٧) Penta- oxo- rhen- ic (VII) acid

حامِضُ رباعيٍّ كلوريٍّ الذهبِ(٣) Tetra- chlor- o- aur- ic (III) acid

وهناك صيغ أُخرى لتسمية الحوامض وهي تسميات غير قياسية لا نرى فائدة من الإشارة إليها الآن .

المثال الثاني : تسمية المجموعات المتعدِّدة الذرات

تشتق تسمية هذه المجموعات التي تعامل معاملة المعقدات (Complexes) من اسم الذرة المركزية ، واعتبارها مجموعات تناسقية (Coordination Compounds) ، وذلك بإضافة الكاسعة (ـ آت ate ـ) والإشارة إلى جميع ذرات المجموعة وإلى عدد التأكسد للذرة المركزية بين قوسين نحو :

Sodium tetra - oxo - Sulphate (VI)

رُباعيٌّ أُكسي كبريتاتِ (٦) الصوديوم

(الاسم الدارج : كبريتات الصوديوم (Sodium Sulphate

Sodium tri- oxo- Sulphate (IV)

ثلاثي أُكسي كبريتات (٤) الصوديوم

(الاسم الدارج : كبريتيت الصوديوم (Sodium Sulphite

Potassium oxo- di- chloro- imido- phosphate (V)
1 2 3 4 5 6 7

أكسيٌّ ثنائيٌّ كلوريٌّ إميديٌّ فُسفات (٥) البوتاسيوم
٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ١

وتوفيراً في الجهد يجوز القول في المجموعات والأملاح البسيطة :

كبريتاتُ (٦) الصوديوم — Sodium Sulphate (VI)

كبريتات (٤) الصوديوم — Sodium Sulphate (IV)

(بدلاً من كبريتيت الصوديوم) .

المثال الثالث : تسمية الأملاح المزدوجة والمثلّثة وأمثالها :

فلوريدُ البوتاسيوم والمغنسيوم — Potassium Magnesium Fluoride

(Hexa)~1~ Sodium~2~ Chloride~3~ Fluoride~4~ (bis)~5~ Sulphate~6~

كلوريدُ~٣~ وفلوريدُ~٤~ و(مَثْنى)~٥~ كبريتاتِ~٦~ (سداسيٍّ)~١~ الصوديوم~٢~

Sodium~1~ hexa~2~ aqu-~3~ o - zinc~4~ tri-~5~ uranyl~6~ acetate~7~

أستاتُ~٧~ الصوديوم~١~ وسداسيُّ~٢~ مائيٍّ~٣~ الخارصين~٤~ وثلاثيُّ~٥~ اليورانيل~٦~

ونلاحظ في المثال الأخير أن هنالك مزيجاً متحداً من (أستات الصوديوم) و(أستات الخارصين السداسية الماء) و(أستات اليورانيل الثلاثي) قد تمت تسميته بإضافة العناصر الفلزيّة الثلاثة إلى جذر (الأستات)، وعطفت العناصر بعضها على بعض بـ(الواو) منعاً للالتباس، وخلافاً للاسم الدُّولي الذي حذفت منه (and) لشخوصها في المعنى العام . ويجوز حذف (الواو) من غير تشويه للمعنى ؛ فقد جوزت العرب حذف حرف العطف[١٤] كقول أحدهم :

كيف أمسيت كيف أصبحت مما
يزرع الود في فؤاد السقيم

ويريد بذلك (كيف أمسيت وكيف أصبحت) . غير أننا نفضل بقاء (الواو) إحكاماً لصياغة التسمية .

المثال الرابع : تسمية المركَّبات المعقّدة (Complex Compounds)

تسمّى المركّبات المعقّدة تلك التي تحتوي على اللواجن (ligands) غير العضوية والعضوية وفق المنهج القياسي السابق باستثناء بعض الفروق البسيطة التي تتعلق بأوصاف المجموعات .

ولضخامة عدد تلك المركبات وتشعب قواعدها سوف نقتصر على ذكر بضعة أمثلة نموذجية منها إلى أن يتسنى لنا نشرها كاملة في المستقبل :

(أ)

Di-	amido-	tetr-	amine-	Cobalt	(III)	Ethoxide
1	2	3	4	5	6	7

إيثكسيدُ	ثُنائيً	أميديً	رُباعيً	أمينِ	الكوبلت	(٣)
٧	١	٢	٣	٤	٥	٦

و (إيثكسيد eth +oxide) تركيب مزجي متحد ودولي الأصل . ويجوز لمن يشاء فك ارتباطه على نحو (إيثي أُكسيد) لإيضاح معناه .

(ب)

Tetra-	chloro-	platinate	(II)	Tetrakis	(pyridine)	platinum	(II)
5	6	7	8	1	2	3	4

رُباعيُّ	كلوريً	بلاتيناتِ	(٢)	رُباع	(بريدين)	البلاتين	(٢)
٥	٦	٧	٨	١	٢	٣	٤

وتأتي التسمية المذكورة على القياس إذا وضعنا في الحسبان تقديم (بلاتينات) على (بلاتين) على وفق قواعد العربية ؛ أي بتقديم (المضاف) الرئيس على (المضاف إليه) الرئيس أيضاً ، لأن المركب المذكور هو في الأصل (بلاتيناتُ البلاتينِ) ، ومن ثم وصفت (البلاتينات) برباعية الكلور ووصف (البلاتين) برباع البريدين بعبارات الإضافة . وكان عدد التأكسد لكليهما ٢ .

ويلاحظ في التسمية القياسية المذكورة تتابع خمسة مضافات ، وهو تعبير غير مألوف في لغتنا اليومية ، ولكنه شائع في لغة الكيمياء وفيها تتسم به من رمزية واصطلاحية .

فنحن لو قلنا ، وبالصيغة اللغوية المألوفة :

(البلاتيناتُ الرباعيةُ الكلورِ والمتحدةُ مع البلاتين الرباع البريدين) لتناثرت وحدة المنهج المقترح ولضاع القياس .

وهنالك صيغة أُخرى سهلة الحفظ ولها أنصارها بين الكيميائيين هي :

رُباعُ (بريدين) بلاتين (٢) رُباعيٍّ كلوريٍّ البلاتين (٢)
١ ٢ ٢ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨

غير أنها تجافي قواعد العربية وتثير اللبس . فإحلال المُضاف محل المُضاف إليه أمر غير مقبول ، لأنه سيغير من مفاهيم التسميات العربية ويخلط بينها وبين المفاهيم الأجنبية ، لأن النقل هنا قد تم بشكل آلي .

(جـ) Bis (3 - cyclo - penta - dienyl) Hydrido Rhenium (I)
1 2 3 4 5 6 7 8

مَثْنَى (إيتا-حَلَقِّي خُماسيٍّ ثنائيٍّ إينيلِ) هيدريديٌّ الرينيوم (١)
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٥ ٦ ٧ ٨

وهذا النمط من التراكيب الاصطلاحية واسع الانتشار في التسميات الكيميائية ، وفي العضوية نفسها من حيث تطابق تسلسل المقاطع في الصورتين الدُولية والعربية .

وبتحليل التركيب اللغوي الاصطلاحي لهذه التسمية نلاحظ تكرار الجذر الكيميائي المحصور بين القوسين ، وبمقاطعه الأربعة (من ٢ ـ ٥) مرتين . فقلنا (مَثْنَى) ، ثم أضيف الجذر الى لفظة (مَثْنَى) ، وعطف (هيدريدي) على (مَثْنَى) من غير حرف عطف ، وهي صيغة معروفة في العربية كما رأينا . وأخيراً أُضيفَ (الرينيوم) إلى (هيدريدي) . أما لفظة

(مَثْنَى) فهي صفة لموصوف محذوف هو (مُرَكَّبٌ) ، وقد حذف للإيجاز ولعلمنا به دوماً ، لأن التسمية التامة هي : هذا مُرَكَّبٌ مَثْنَى (إيتا . . .) إلخ . وهي على غرار قولنا (هذا رجلٌ شاعِرٌ بلدتِه وشعبِه وأُمتِه والعالمِ ، وقائدُ وطنه العريق) مع شيء من التبسيط في مقارنة المثلين ، لأن إرتباط الوحدات داخل المركب مسألة معقدة ودقيقة ، ولا تقبل التأويل كعَلاقة الشاعر بقبيلته !

أما المقطع الرمزي (dienyl) فيتألف من ثلاثة مقاطع ثانوية ومتحدة هي (di + ene + yl) ، ويعني للكيميائي اتحاد (اثنتينْ di) من الأواصر المزدوجة (اين ene) لتكوين الجذر بإشارته (ايل yl-) . وسوف نبحث لاحقاً الوسائل المختلفة للتعبير عن تلك الجذور الرمزية المتحدة ، منها ما هو مترجم ، وهو قليل جدًّا ، ومنها ما هو معرّب قد كتب بالحرف العربيّ مع المحافظة على نطقه الأصلي . ذلك لأنّ رموزاً اصطلاحيّة مثل (ene و yl) لا تختلف كثيراً عن إشارات (مورس) البرقية (Telegraph) ؛ إذ سرعان ما تفقد دلالتها الاصطلاحية الدُّولية بمجرد نقلها إلى العربية .

(د)

Potassium	penta -	chloro -	nitrido -	osmate	(VI)
1	2	3	4	5	6

خماسي	كلوري	نتريدي	أوسمات	(٦)	البوتاسيوم
٢	٣	٤	٥	٦	١

(هـ)

penta -	ammine	(di -	nitrogen)	Ruthenium	(II)	chloride
1	2	3	4	5	6	7

خماسي	أمين	(ثنائي	نتروجين)	كلوريد	الروثينيوم	(٢)
١	٢	٣	٤	٧	٥	٦

وهنا تقدم (كلوريد) المضاف على (الروثينيوم) ، وهو المضاف إليه .

(و)

Lithium	Cyclo -	arsenato	chromato	sulphato	phosphate
1	2	3	4	5	6

حلقيُّ	زرنيخاتيُّ	كروماتيُّ	كبريتاتيُّ	فُسفاتِ	الليثيوم
٢	٣	٤	٥	٦	١

(ز) Dodeca wolframo phosphate (3 -) ion
1 2 3 4 5

شق إثنا عَشَري ولفرامي الفسفات (٣-)
٥ ١ ٢ ٣ ٤

أو إثنا عَشَري ولفرامي شق الفسفات (٣-)
١ ٢ ٥ ٣ ٤

مع تفضيل الصيغة الأولى .

(ح) Tri -μ- carbonyl bis (tri carbonyl iron)
1 2 3 4 5 6 7

ثُلاثي ـ ميو ـ كربونيل مَثْنَى (ثلاثي كربونيل الحديد)
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧

(ط) Dodeca -μ- chloro octahedro - hexa niobium (2 +) chloride
1 2 3 4 5 6 7 8

كلوريد إثنا عَشَري ـ ميو ـ كلوري ـ مُثَمَّن ـ سداسي النايوبيوم (٢)
٨ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧

التسميات العضوية Organic Nomenclature

لا تختلف التسميات العضوية عن التسميات غير العضوية من حيث الأُسس العامة أو المنهج ، إلا أن هنالك بعض الفروق النوعية سوف نذكرها من خلال مناقشة عدد من الأمثلة المختارة .

ولمّا كان حجم المركبات العضوية ضخماً جدًّا وأصنافها كثيرة ، فقد تعددت قواعدها وتشعبت أنظمتها ، بحيث أمسى التعريف بها جميعاً وبمقالة غير شاملة كهذه أمراً متعذراً . لكنا سوف نحاول طرح بعض تلك القواعد إلى أن تحين الفرصة المواتية لنشر التسميات العربية ـ الدولية كافة ، واستفتاء الكيميائيين العرب عنها في وقت نرجو أن لا يكون بعيداً .

ومما لا شك فيه أن التسميات العضوية والعضوية الحيوية bio-organics على وجه التخصيص أكثر تعقيداً وأعسر نطقاً وأصعب رسماً من التسميات غير العضوية ، لتعقد تراكيبها الكيميائية ، وكثرة رموزها وإشاراتها ، حتى أمست عبئاً ثقيلاً على كاهل الكيميائيين في أثناء كتابتها أو النطق بها أو استذكارها .

ولقد حاولنا جهدنا التخفيف من وطأة تلك التسميات عن الدارس العربي في أثناء نقلها إلى العربية ، وذلك بتحليل تراكيب التسمية الدولية إلى جذورها وسوابقها ولواحقها ورموزها ، ونقلها بالتفصيل إلى العربية وفق المنهاج المقترح مع الحفاظ على النهج الدولي .

المثال الأوّل : تسمية بعض الرموز العضوية الدولية

تعدّ الرموز العضوية الدولية من العلامات الرئيسة في تحديد هوية المركب العضوي ومعرفة صنفه وعائلته التي ينتمي إليها في إطار قواعد (الاتحاد الدولي IUPAC) .

ومن بين العدد الكبير لتلك الرموز ننقل القليل منها على سبيل التمثيل :

الرمز المعرب	المعنى العلمي	الرمز الدولي
(أ) ثُلاثي إينْ أو أترايْ إينْ	**اتحاد ثلاثة أواصر مزدوجة**	**- atri-ene**
(ب) ثُنائي إينْ أو دايْ إينْ	**اتحاد اثنتين من الأواصر المزدوجة**	**- adi-ene**
(جـ) ثنائي إينْ آينْ أو (أدايْ إينْ آينْ)	**اتحاد اثنتين من الأواصر المزدوجة وآصرة ثلاثية واحدة**	**- adi-en-yne**
(د) إين ثنائي آين أو (اينْ دايْ آينْ)	**اتحاد آصرة مزدوجة واحدة وآصرتين ثلاثيتين**	**- ene-di-yne**

ومن السهل أن يلمس الكيميائي العربي الفائدة من فك ارتباط تلك الرموز ، وذلك لسهولة كتابتها وصحة نطقها وإدراك معانيها ، بمقارنتها بصيغها المدمجة (آداينيناين) و(إينداياين) التي تتبعها كتب الكيمياء المعربة في جامعاتنا .

المثال الثاني :

5- (3- pent en yl) - 3,6,8 - tri en - 1 - yn yl

1 2 3 4 5 6 8 9 10 11 12

الصيغة الأولى (المترجمة)

٥ -(٣- خُماسي إينْ إيلْ) -٣، ٦، ٨- عُشاري ثلاثي إينْ -١-آينْ إيلْ

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢

الصيغة الثانية (المترجمة)

٥- (٣- خُماسي إينيل) -٣، ٦، ٨- عُشاريٌ ثلاثي إينْ -١- آينيل

١ ٢ ٣ ٤و٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١و١٢

الصيغة الثالثة (المعربة)

٥ ـ (٣ ـ ينت إينْ إيل) ـ ٣، ٦، ٨ ـ ديكاترايْ إينْ ـ ١ ـ آينْ إيل .

الصيغة الرابعة (المعربة)

٥ ـ (٣ ـ بنتينيلْ) ـ ٣، ٦، ٨ ـ ديكاتراايينْ ـ ١ ـ آينيل

والصيغة الكيميائية للمركب المذكور بالأبجدية العربية هي :

ـكِ≡ كِ-كِ هـ= كِ هـ- كِ هـ- كِ هـ= كِ هـ- كِ هـ= كِ هـ- كِ هـ٣ (الأرقام فوق ذرات الكربون: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠)

ك هـ٣- ك هـ = ك هـ-ك هـ٢-ك هـ٢

و (ك) رمز عنصر الكربون و (هـ) رمز عنصر الهيدروجين .

ونرى من المفيد أن نلقي الضوء على البنية اللغوية للصيغ السابقة لنتأكد من صحة مطابقتها للصيغة الكيميائية . فالتسمية تتألف من عدد من النعوث المتتابعة التي تصف (المركب) الذي حذف ابتغاء الإيجاز ، لأن أصل التسمية التامة (هذا مركبٌ خماسيٌ إينيل وعشاريٌ ثلاثيٌ إين آينيل)، كما مر بنا .

ولقد تم بناء التسمية العربية على أساس الصيغة الكيميائية . فالمقطع الرئيس في المركب الذي تدور حوله التسمية هو (العُشاري ـ deca). وتشخيصه شرط لنجاح التسمية . وهو (هيدريُّ الكربون Hydrocarbon) بعشر ذرات كربون (من ١ ـ ١٠) ، وقد استبدلت فيه (ثلاث) أواصر منفردة (بثلاث) أواصر (مزدوجة) في المواقع (٣ و ٦ و ٨) حيث رمز إلى كل منها بـ (إينْ en) فصارت (ثلاثي إينْ Trien) حيث وصفته بها ، فأصبح (عُشاري ثلاثي إين decatrien) .

وفي المقطع الرئيس آصرة (ثلاثية) في الموقع (١) رمز إليها بـ (-yn-) . ولما كان المقطع الرئيس جذراً حراً ، أشير إلى ذلك بالعلامة (ـ يل yl ـ) . ويتصل بالمقطع الرئيس فرع في الموقع (٥) وهو هيدري كربون (خماسي -pent) ، يحمل آصرة مزدوجة واحدة رمزها (إين -en-) ، فأصبح اسمه (خماسي إينْ -penten) . ثم ارتبط المقطع الفرعي بالمقطع الرئيس من خلال (جذره الحر) ورمزه (ـ يل yl ـ) حتى أصبح اسمه (خماسي إينيل pentenyl) .

المثال الثالث :

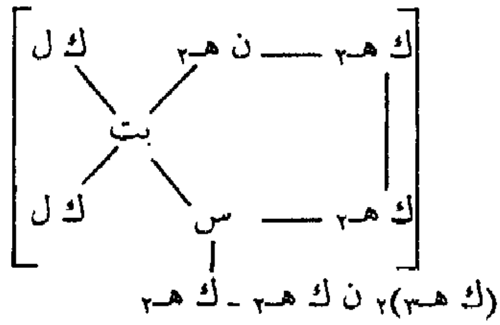
di	chloro	(2-	N,	N-	dime	thyl	amino	ethyl	2-	amino
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11

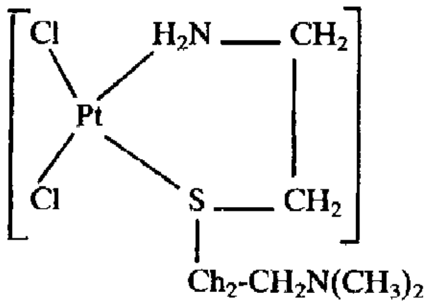
ethyl	Sulphide	-N	,S)	Platinum	(II)
12	13	14	15	16	17

ثنائي كلوري (٢ـ ن، ن ـ ثنائي مثيل أميني أثيل
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

٢ أميني كبريتيدِ الأثيل ـ ن، س) البلاتين (٢)
١٠ ١١ ١٣ ١٢ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧

أما صيغتاه العربية والأجنبيّة الدُّوليّة فهما :





ونودّ أن نذكّر السادة القراء بأنّ المركب المذكور ، وهو عضوي فلزي (Organo-metallic) ، كان واحداً مما سُئِل عنه الكيميائيون المحتجون ، وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة .

إنّ العنصر (المحور) الرئيس في هذه التسمية هو (البلاتين) ، وقد وصف بعدد من المضافات الأساسية والثانوية (وهي المذكورة بين القوسين) ، لأن أصل المركب (أو نواته) هو (ثنائي كلوري البلاتين) .

أمّا العناصر الكيميائية الواردة في المركب المذكور فهي الكربون (ك) والهيدروجين (هـ) والنتروجين (ن) والكبريت (س) والبلاتين (بت) والكلور (ك ل) .

ونلاحظ هنا تطابق المقاطع باستثناء الموقع (١٣) ؛ حيث تقدم (كبريتيد)، وهو المضاف ، على (الأثيل)، وهو المضاف إليه .

المراجع

(١) طه باقر ، من تراثنا اللغوي القديم (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٠) .

(٢) محمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، (إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، ١٣٤٢هـ) ، ١٤٨ .

(٣) للمؤلف ، التسميات القياسية العربية للمركبات الكيميائية في ضوء القواعد الدولية ، مشروع مقدم إلى لجنة الكيمياء في المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٣ .

(٤) للمؤلف ، المعجم الكيميائي الجامعي ، مخطوط قدمت أجزاء منه إلى لجنة الكيمياء في المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٠ .

(٥) وجيه السمان ، التعريب في العلوم الطبيعية ، مجلة الآداب ، ع ٢ ، شباط ، ١٩٧٥ ، ص ٣٦ .

(٦) المجمع العلمي العراقي ، مصطلحات الكيمياء ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٢٩ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٢٩ .

(٧) عبد اللطيف البدري ، رأي في المصطلحات الطبية ، دورة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٥ .

(٨) محمود الجليلي ، رئيس التحرير (المعجم الطبي الموحد) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ط ٢ ، ١٩٧٨ .

(٩) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط المكتبة العلمية ، بلا تاريخ .

(١٠) المجمع العلمي العراقي (مصطلحات علمية) . ١٩٨٦ ، ص ١٨٤ .

(١١) الشيخ مصطفى الغلاييني (جامع الدروس العربية)، جـ ١ ، ١٩٧٧ ، ص ١٨١ .

(١٢) International Union of Pure and Applied Chemistry, Chemical Nomenclature, Pergamon Press, 1979.

(١٣) للمؤلف ، العربية ووحدة المصطلح الكيميائي ، مؤتمر تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٧٨ .

(١٤) ابن عصفور الاشبيلي ، شرح جمل الزجاجي ، ج ١ ، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٢ .

الزمخشري والشعوبية

للدكتورة بهيجة باقر الحسني
كلية الشريعة - جامعة بغداد

حياته :[1]

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي الملقب بجار الله ، قال الزمخشري :[2]

---

(١) ترجمته في أزهارالرياض ٢٨٢/٣ ، وارشاد اللبيب ١٤٧/٧ ، وانباه الرواة على أنباه النحاة ٢٦٥/٣ ، الأعلام ٥٥/٨ ، وبغية الوعاة : ٣٨٩/٣٨٨ ، وتاريخ ابن الأثير ٨/٩ ، وتاريخ الاسلام للذهبي (وفيات ٥٣٨) ، وتاريخ أبي الفداء ١٦/٣ ، وتاريخ ابن كثير ٢١٩/١٢ ، وجريدة العراق الأحد ١٨ كانون الثاني ١٩٨٧ ، وروضات الجنات ٦٨٤/٦٨١ ، وشذرات الذهب ١٨/٤ وطبقات ابن قاضي شهبة ٢٤١/٢ ، وطبقات المفسرين للسيوطي : ٤١ ، والعقد الثمين ٢٩/٢ ، وكشف الظنون ٧٤ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٦٤ ، ١٨٥ ، ٦١٦ ، ٧٨٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ١٠٠٩ ، ١٠٥٦ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٥ ، ١٢١٧ ، ١٣٢٦ ، ١٣٩٨ ، ١٤٢٧ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٨ ، ١٥٨٤ ، ١٦٧٤ ، ١٧٣٤ ، ١٧٧٤ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٨ ، ١٨٧٧ ، ١٨٩٠ ، ١٩٥٥ ، ١٩٧٨ ، واللباب في تهذيب الانساب ٥٠٦/٢ . ومرآة الجنان ٢٦٩/٣ ، ومعجم البلدان ٣٩٩/٤ والنجوم الزاهرة ٢٧٤/٥ ، ونزهة الالباء ٤٦٩ ، ومفتاح السعادة ٤٣١/١ ، ومجلة المجمع العلمي العربي ١٣٥/٥ ، وفيات الأعيان تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٢٥٤/٤ ومقدمة كتاب المحاجاة بالمسائل النحوية .

The Encyclopedia of Islam, 4.1205 Geschicht der Arabixhen Litteretur, 1.289. Sup. 1.54, 172, 507, 513.

(٢) ديوان الأدب ورقة ٦ .

فجاورت ربي وهو خير مجاور لدى بيته البيت المحرّم عاكفا
أقمت باذن الله خمسا كواملا وصادفت سبعا بالمعرف واقفا
ظللت مع العمار معتمراً له وبت مع الطوّاف بالبيت طائفا

ولد جار الله يوم الاربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م بزمخشر[1] من قرى خوارزم في عهد السلطان جلال الدنيا والدين أبي الفتح ملكشاه الذي ازدهرت في عهده التجارة والصناعة ، وازدهرت الآداب والفنون وكان يعاونه في إدارة شؤون المملكة نظام الملك أقدر وزراء الإسلام طرا[2] .

طلب جار الله العلم وهو صغير ، ورحل لأجله ، وبسببه سقطت رجله فكان يمشي في جاون خشب كما يذكر ابن خلكان :[3] انه «كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق ، فسقطت منه رجله ، وانه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك ، خوفاً من أن يظن من لم يعلم صورة الحال انها قطعت لريبة» .

---

(١) ذكرها المقدسي في كتاب «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ٢٨٩» ، قال : «وزمخشر صغيرة ، عليها حصن وخندق ومحبس وأبواب محددة ، والجسور ترتفع كل ليلة ، والجادة تشق البلد ، والجامع ظريف بطرف السوق» واحسن ما قيل فيها ابيات الامير أبي الحسن علي بن حمزة العلوي :

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي تبوأها دارا فداء زمخشرا
واحر بان تزهى زمخشر بامرىء اذا عد في اسد الشرى زمخ الشرى
فلولاه ما طن البلاد بذكرها ولا طار فيها منجداً ومغوراً
فليس ثناها بالعراق وأهله باعرف منه في الحجاز واشهرا

«أزهار الرياض : ٣٨٥/٣» .

(٢) الكامل لابن الاثير ٧٢/١٠ .

(٣) وفيات الاعيان ١١٩/٢ .

تلمذ الزمخشري على أبي مضر محمود بن جرير الضبي الاصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٧هـ) الذي يلقب بفريد العصر ، ووحيد الدهر في علم اللغة والنحو وكان يضرب به المثل في الفضائل ، وقد أقام في خوارزم مدة ، فانتفع الناس بعلومه ، وهو الذي أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها[1] .

وكان الزمخشري محباً لاستاذه ، وفياً له ، معترفاً بفضله ، فلما توفي رثاه بقصيدة قال فيها :[2]

فقلت لطبعي : هات كل ذخيرة فمن أجله ما زلت أدَّخر الذخرا
وأبرزْ كريمات القوافي وغُرَّها فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا
فلهفي على ذاك اللسان وَحَزِّهِ مفاصِلَ أعيا حَزُّها القُضُبَ البترا
ولهفي على ألفاظه العذبة التي كأن زلال المزن قد مازج الخمرا
ولهفي على تلك المعاني كأنها منافث سحر يسحر الفِطَنَ الحبرا
فذاك «فريد العصر» حقّا فلن ترى عيونُهم من بعده مثلَه حُرا

وسمع الزمخشري الحديث عن شيخ الاسلام أبي منصور الحارثي ومن ابي سعد الشقاني[3] ، ومن أبي الخطاب ناصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر[4] كما أخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري .

وتخبرنا كتب التراجم انه قرأ في مكة كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري المتوفى سنة ٥١٨هـ[5] .

---

(١) ارشاد الاريب : ١٤٧/٧ ، وفيات الأعيان : ١١٩/٢ ، بغية الوعاة : ٣٨٨ .
(٢) القصيدة في ديوان الادب ورقة ٥٦ ، عدة أبياتها احدى وستون بيتا مطلعها :
ايا طالب الدنيا ويا تارك الاخرى ستعلم بعد الموت أيهما أحرى
(٣) ارشاد الاريب : ١٤٧/٧ .
(٤) طبقات المفسرين : ٤١ .
(٥) طبقات المفسرين : ١٥ ، ازهار الرياض ٧٦/٣ ، بغية الوعاة : ٢٨٤ .

ومما يجب ذكره : ان الزمخشري نشأ متحمساً للاعتزال مجاهراً به ، فقد كان إذا قصد صاحباً له ، واستأذن عليه في الدخول ، يقول لمن يأخذ له الأذن : قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب[1] .

وفي سنة ثنتي عشرة بعد الخمس مائة مرض الزمخشري مرضة شديدة سماها بـ «المرضة الناهكة» فعاهد ربه إن شفي من مرضته تلك أن لايطأ عتبة السلطان ولا يواصل بخدمته أذياله ، وان يربأ بنفسه ولسانه عن قرض الشعر فيهم ، وأن يعف عن ارتزاق عطياتهم وافتراض صلاتهم مرسوماً وإدراراً وتسويفاً ،ويجدّ في إسقاط اسمه من الديوان ومحوه ، وإن يعتصم بجبل التوكل ويتمسك ، ويتبتل إلى ربه ويتنسك ، وأن يدرس من العلوم ما هو مُجْدٍ كعلم القراآت والحديث والفقه .[2]

توجه الزمخشري في سنة ست عشرة بعد الخمس مائة الى بيت الله الحرام ليقضي البقية الباقية من عمره بجوار بيت الله .

وهناك في مكة رحب به الأمير أبو الحسن عليّ (بضم العين وفتح اللام) ابن عيسى بن حمزة بن وهاس . كان شريفاً جليلاً وكان ذا فضل غزير وله تصانيف مفيدة في النثر والنظم ، ومن شعره ما قاله في الزمخشري :[3]

لقد شجني في أم رأسيَ عـزمُه   فأصبحت من عزم الإمام أميما
تمنيت لـو لم ألقه وجهلتـه   ولم يخش قلبي بالفراق كلوما
فديت امرءاً يحشو الفؤاد فراقه   كلومـا ولقيـاه حشتـه علومـا
وكائن رأينا من أولي العلم والتقى   رجالا أناخوا بالحجـاز قرومـا
فأخمد «أستاذ الزمان» ضياءهم   وكـان وكانـوا شارقـاً ونجومـا

---

(١) وفيات الاعيان : ٤/٢٥٥ .

(٢) انظر مقدمة المقامات .

(٣) انظر (ارشاد الاريب ٥/٢٨٧ ، انباه الرواة ٣/٢٩٠ ، الجبال والا مكنة والمياه ١٥ ، تاج العروس ٣/٢٤٣ ، ازهار الرياض : ٣/٢٩٢) .

اتجه الزمخشري الى التأليف والتصنيف والتدريس وتحلّق حوله فتيان مكة وقصده طلّاب العلم من ارجاء العالم الاسلامي يأخذون عنه ، وأكثر الزمخشري نفسه من الفخر بمجالسه تلك فقال :[1]

وسميت بين العرب والعجم رحلة ... اليّ يزجون المطيّ عواسفا
ألم تر أنّي ـ حيثما كنت ـ كعبةٌ ... يحفّون بي كالطائفين طوائفا
فشرقيهم يهوي الى النور قابسا ... وغربيهم يسعى الى البحر غارفا
وأصبحت ممدوحا لكل ممدح ... ترى مجلس الامجاد لي متراصفا
ودونك ديوان المدايح فاطلع ... تجد ناظما فيّ الثناء وواصفا

وعلى الرغم من مجاورة الزمخشري لبيت الله ، وما تمتع به فيه من الهدوء النفسي ، إلا أن ذلك كله لم ينسه الحنين الى وطنه والرغبة في العودة اليه . ويترك الزمخشري مكة عائداً إلى وطنه . وما أن تحرك الركب حتى ندم على فعلته تلك ، وفترت همته ، وضعف في نفسه شوق العودة الى الوطن ، فيصل جار الله إلى وطنه فاتر الهمة حانّاً إلى الحجاز .

ولم يستطع الزمخشري صبراً فيعود إلى الحجاز ، وفي طريقه إليه يمرّ بالعراق فيزوره الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجري مهنئاً له بقدومه ، فلما جلس إليه بهره علم الزمخشري وأخلاقه فأنشد ابن الشجري متمثلاً :

كانت مساءلة الركبان تخبرني ... عن أحمد بن دؤاد أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذني بأحسن مما قد رأي بصري

وأنشده أيضاً :

ومستكبر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبْرُ

---

(١) ديوان الادب ورقة ٧٩ .

فلما فرغ من كلامه شكر الزمخشريُّ الشريفَ ، وعظّمه وتصاغر له وقال :

إن زيد الخيل دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحين بصر بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رفع صوته بالشهادتين ، فقال له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا زيد الخيل ! كل رجل وصف لي وجدته دون الصفة إلاّ أنت ، فإنك فوق ما وصفت . وكذلك الشريف . ثم دعا له وأثنى عليه .[1]

وينقل الزمخشري كتبه كلها إلى مشهد أبي حنيفة ولم يبق معه إلاّ كتاب الله المبين ويقول الزمخشري :[2]

سأبذل معروفي ومن كان عارفاً ... سماحة منع العرف أسدى العوارفا
ووفقني حتى وقفت نفائسي ... وأعلاق اسفاري فابرحت واقفا
على مشهد النعمان نوّر قبره ... كما نوّر الاسلام مالك سالفا

فيشد الزمخشري الرحال الى مكة ، ويعيش عيشة الزهاد المتقشفين منتظراً داعي الله صباح مساء ، قال[3] :

قَرُبَ الرحيلُ الى ديار الآخرة ... فاجعل إلهي خيرَ عمري آخره
وارحم مبيتي في القبور ووحدتي ... وارحم عظامي حين تبقى ناخره
فأنا المسكين الذي أيامه ... ولت بأوزار غدت متواتره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحِمٍ ... فبحار جودك يا إلهي زاخره

(١) ارشاد الاريب ١٤٧/٧ ، نزهة الالباء : ٢٩١ .
(٢) ديوان الادب : ورقة ٨٠ .
(٣) لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ : ٣٣٩ .

ثم عاد الزمخشري الى وطنه حيث وافاه أجله بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ/١١٤٤م ، وأوصى أن تكتب على لوح قبره الأبيات الآتية[١] :

يامن يرى مدّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ماكان منه في الزمان الأول

ونختم الكلام بقول القفطي[٢] :

«كان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه ، وأكثرهم انساً واطلاعاً على كتبها ، وبه ختم فضلاؤهم» .

الشعوبية

إن بداية الشعوبية محاطة بالغموض لأنها بدأت عملها في جوّ من الكتمان والحذر لذلك يتعذر علينا تحديد البداية ، ولكنها ظهرت في مطلع القرن الثاني للهجرة وهي تمثل جانباً من محاولات شعوب غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة ، فهي تتكشف عن صراع ثقافي ديني واسع*. فالشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى فضلاً لهم على غيرهم ، وهم فئات مختلفة من شعوب متعددة تحاول زعزعة السلطان العربي ، أو اضعاف الاسلام وإرباكه ، وكذلك لصَدِّ تيار الثقافة العربية الاسلامية ، ولنسف التراث العربي الاسلامي ، وقد حاولت بث الوعي السياسي والديني بين صفوفها واحياء تراثها الثقافي .

---

(١) وفيات الاعيان ٤/٢٥٩ ، وانظر بحثنا «القصيدة البعوضية» مجلة الأستاذ ، سنة ١٩٦٧ .

(٢) انباه الرواة ٣/٢٧٠ .

(*) الجذورالتاريخية للشعوبية ص ٩ .

فقد ظهرت بين شاعر يتغنى بأمجاد ساسان وحضارتها ، وزنديق يبشر بالمانوية[1] والزرادشتية[2] والمزدكية[3] .

---

(١) اسس المانوية ماني بن فتق بن بابك وكان يزعم انه نبي ، وكان ظهور ماني زمن الملك سابور بن اردشير الذي تولى الملك سنة ٢٤٢ ميلادية (الفهرست ٤٧٠) وقال : «ان مبدأ العالم كونان احداهما نور والآخر ظلمة كل واحد منهما منفصل عن الآخر . وذلك الكون غير المجاور للكون المظلم لا حاجز بينهما «الفهرست ص ٤٧٣ . وثبت ماني في ديانته فكرة الحلول . ومن معتقدات المانوية «انهم لا يرون الذبيحة ولا يأكلون اللحم ولا شيئاً من الحيوانات» نظم الجوهر ص ١٤٦ . ويحرمون من الماء الطهور ولا يقرون الغسل به . كما وضع ماني عبادات منها الصلاة على أوقات ، تبدأ الصلاة الاولى منها عند الزوال والثانية بين الزوال وغروب الشمس ثم صلاة المغرب بعد غروب الشمس ثم صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات وكذلك فرض ماني صياماً امده ستة وثلاثون يوماً (الفهرست ص ٤٨٠) ولقد اضطهد الملوك الساسانيون المانوية اضطهاداً شديداً فانه لما اظهر ماني ديانته ايام الملك سابور طلبه ولكن لم يظفر به ، وعندما تولى هرمز بن سابور الملك القى القبض على ماني وجمع الناس وقال فيهم : هذا الرجل اعلن ضرورة قتل الناس لخلاص العالم ، ولهذا فمن الضرورة أن أبدأ بقتله من أجل خلاص العالم منه ، فقتله وعلّق جسده على باب مدينة جند سابور التي تعرف الى الآن ببوابة ماني (الاخبار الطوال ص ٤٩) .

(٢) والزرادشتية نسبة الى زرادشت ابن اسفيخان الذي ظهر أيام الملك بشتاسب وادعى النبوة ووضع أسس الديانة الزرادشتية (مروج الذهب ج١ ص ١٤٢) في كتاب الافستا الذي في يد المجوس . وامست الزرادشتية الديانة الرسمية أيام الساسانيين واستمرت حتى الفتح الاسلامي .

والزرادشتية من الديانات الثنوية «اثبتوا اصلين اثنين مديرين قديمين يقتسمان الخير والشر ، ويسمون احداهما النور والثاني الظلمة» الملل والنحل ج ٢ ص ٧٣ .

وكانت الزرادشتية «يستحلون زواج الامهات وقالوا الابن احرى بتسكين شهوة أمه واذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة» (تلبيس ابليس ص ٧٣) .

(٣) والمزدكية وضع أسسها مزدك الذي ظهر في أيام الملك قباذ بن فيروز وذلك في أواخر القرن الخامس الميلادي (الفهرسية ص ٤٩٣) وهي من العقائد الثنوية لانها اعتبرت (النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى (الملل والنحل ج ١ ص ٨٦) .

=

ومن المألوف أن تنسب حركات الموالي والأعاجم إلى أن السلطان العربي في العصر الأموي اضطدهم واحتقرهم ، وأنه ارهقهم بالضرائب وأبعدهم عن الادارة ، وإلى حرمانهم من الوظائف وفرض الجزية عليهم كما فعل الحجاج في العراق وإلى عدم اعطائهم الأعطيات في الجيش كالعرب ، وسار على سياسة العصبية للعرب واحتقار من سواهم ونبذهم اجتماعياً .

لقد وجدت الدعوة العباسية تأييداً أكيداً من العجم وبينهم الموالي إذ أن هدفهم كان تحقيق المساواة الاجتماعية أو الاشتراك في الادارة لأن العباسيين حققوا ذلك الى درجة بعيدة وواسعة .

ومن أوائل من أعلن شعوبيته اسماعيل بن يسار في الفترة الأموية الأخيرة يقول مفتخراً بالفرس :

رب خـال مـتـوج لي وعمّ ماجد مجتدى كريم النصاب
انما سمي الفـوارس بـالفـر س مضاهاة رفعة الأنساب
فـاتركي الفخـر يا أمـام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي أن جهلت عنا وعنكم كيف كنّا في سالف الأحقاب
إذ نـربي بنـاتنـا وتـدسـون سفـاهـا بنـاتكم في الـتراب[1]

ثم أعلن بجلاء عن نزعته الشعوبية في قصيدة أنشدها أمام هشام بن عبد الملك يفخر فيها بالعجم ، جاء فيها :

من مثل كسرى وسابور الجنود معا والهـرمـزان لفخـر أو لتعـظيم
أسد الكتائب يوم الروع إنْ زحفوا وهم أذلوا ملوك الترك والروم

= وحرمت المزدكية اكل لحم الحيوان كالمانوية . (الملل والنحل ج ١ ص ٨٦) ودعا مزدك بان (تكون النساء والاموال شركة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ) (الملل والنحل ج ١ ص ٨٦) .

(١) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٢٥ .

يمشون في حلق الماذى سابغةً مشي الضراغمة الأسد اللهاميم
هناك أن تسألني تنبي بأن لنا جرثومة قهرت عزّ الجراثيم[1]

وقد أدت هذه النزعة إلى التنكر به ومطاردته ، وقد جاء في الأغاني : «وكان ابن يسار مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً» .[2]

ازداد نشاط الغلاة في أواخر العصر الأموي ، وكانوا يتمسكون بتراثهم الديني المجوسي ، ويتسترون باسم الاسلام ، وقد انتبه البعض الى دورهم الخطر وإلى وجهتهم المعادية للعروبة والإسلام حين عظم دورهم في الدعوة العباسية ، فهذا نصر بن سيار يحذر القبائل العربية في خراسان من اتباع الدعوة العباسية ، ويقول :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتها فليغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن رأيكم غيب
وتتركون عدوا قد أظلكم ممن تأشب لا دين ولا حسب
قوما يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهم فإن دينهم أن تقتل العرب[3]

وكان للدعوة العباسية أثرها في تنشيط الوعي القومي بين الفرس وتهيئة الظروف لنشاط الحركات الدينية الفارسية من خرمية ومانوية وزردشتية .

وحملت الخرمية راية الثورة المسلحة وانتشرت دعوتها في بلاد فارس ، وكانت تمثل في الحقل الاجتماعي اشتراكية مزدك ، وفي الحقل الديني

---

(١) المصدر السابق والصفحة .
(٢) المصدر السابق ص ٤٦ .
(٣) الاخبار الطوال ص ٢٦ .

والسياسي ضرب الاسلام وإعادة السلطان إلى العجم ، وقد تستر الخرمية أحياناً ، وحاولوا أن يتخذوا من بعض مبادىء الغلو سبيلا للظهور بمظهر إسلامي فنقلوا الإمامة من العباسيين إلى أبي مسلم الخراساني ، وهذا يبدو في ثورة اسحاق الترك والمقنع مثلاً . ويبدو لي ـ الدكتور عبد العزيز الدوري ـ أن الوعي الفارسي وجد في أبي مسلم رمز توثب ، فاعتبره بعضهم خليفة زرادشت ، واعتبره آخرون المنقذ الذي حل فيه جزء الهي كما فعل المبيضة[1].

وبذل الكتّاب والأدباء والشعراء من الشعوبيين كل الطرق لبث الثقافة الفارسية ، وحاولوا بث الطابع الفارسي في الإدارة والمراسيم العباسية ، مع تقليل شأن الثقافة العربية الإسلامية ، قال ابن قتيبة : «وأعاذنا الله من فتنة العصبية وحمية الجاهلية وتحامل الشعوبية ، فإنها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة وتلحق بها كل رذيلة وتغلو في القول وتسرف في الذم وتبهت بالكذب وتكابر بالعصيان»[2].

واندفع الشعوبيون في الكتابة في مثالب العرب وفي الحط منها ، فهذا أبو نواس يتذكر تراث الساسانيين ، ويقول :

مسارحها الغربي من نهر صرصر فقطربل فالصالحية فالصفر
تراث أنو شروان كسرى ولم تكن مواريث ما أبقت تميم ولا بكر
قصدت بها ليلى وليل ابن حرّة له حسب زاك وليس له وفر[3]

ولقد سخر من العرب وتهكم بهم ، فهو يقول :

عاج الشقي على رسم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد

(١) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٣٢ .
(٢) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٥١ .
(٣) المصدر السابق ص ٦٥ .

يبكي على طلل الماضين من أسد لا درّ درك قل لي من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ولفهم ليس الأعارب عند الله من أحد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر ولا صفا قلب من يصفو الى وتد[1]

ومن شعره أيضاً يذم به العرب ويفخر بالفرس :

وإذا أعاشر عصبة عربية بدرت إلى ذكر الفخار تميم
وبنو الأعاجم لا أحاذر منهُمُ شراً فمنطق شرهم محسوم
لا يبذخون على النديم إذا انتشوا ولهم إذا العرب اعتدت تسليم[2]

وهذا بشار بن برد العقيلي بالولاء وأصله من طخارستان اتهم بالزندقة وقتل بسببها[3] قال في العرب والتفاخر بالفرس :

هل من رسول مخبر عني جميع العرب
من كان حيّاً منهُمُ ومن ثوى في الترب
بأنني ذو حسب عال على ذي حسب
جدي الذي أسمو به كسرى وساسان أبي
وقيصر خالي إذا عددت يوماً نسبي
إنّا ملوك لم نزل من سالفات الحقب
حتى استلمنا ملكها بملكنا المستلب
حتى رددنا الملك في أهل النبي العربي
من الذي عاد الهدى والدين لم يستلب[4]

وقال مفتخراً بأصله الفارسي :

---

(١) ديوان أبي نواس ص ٤٦ .
(٢) الشعوبية حركة مضادة للاسلام والأمة العربية ص ٧٣ .
(٣) وفيات الاعيان ١/٢٤٥ .
(٤) ديوان بشار بن برد ١/٣٧٧ .

أنـا ابن الأكرمـين أبـا وأمـا   تنـازعني المـرازب عن طخـار
تفـاخر يـا ابن راعيـة وراعي   بني الأحرار حسبك من خسبار[1]

وقال متوعداً أبا جعفر المنصور لقتله أبا مسلم الخراساني :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم   ولا سـالم عـمّا قليـل بسـالم
فإنك لم تسمـع بقتل متـوج   عظيم ولم تسمع بفتك الاعاجم
ومروان قد دارت على رأسه الرحى   وكـان لمـا اجرمت نزر الجرائم
فأصبحت تجرى سادرا في طريقهم   ولا تنقضي اشباه تلك النقائم[2]

وهذا المتوكلي نرى له وجهة قومية تتغنى بالمجد الماضي الذي يحلم بإعادته فهو يقول :

أنا ابن الاكارم من نسل جم   وحـائز أرث مـلوك الـعـجـم
ومحيي الذي باد من عـزّهم   وعفى عليـه طـوال القـدم
وطـالـب أوتـارهـم جـهـرة   فمن نام عن حقهم لم أنم

ثم يقول :

معي علم الكـابيـان الـذي   بـه ارتجي أن أسـود الأمم
فقـل لبني هـاشم أجمـعين   هلموا الى الخلع قبل النـدم
ملكنـاكم عنـوة بـالـرمـاح   طعنـا وضربـا بسيف خـذم
فعـودوا الى أرضكم بالحجـاز   لأكـل الضبـاب ورعي الغنم
فـإني سـأعلو سريـر الملوك   بحد الحسام وحـرف القلم[3]

وهذا الصغدي ابو يعقوب اسحق بن حسان بن فوهي الخريمي فارسي الأصل ولد في بلاد الصغد ومنها رحل إلى بغداد واختار صحبة الزنادقة المجان[4] فهو يقول :

---

(١) المصدر السابق ٣/٢٢٩ .
(٢) الصراع بين العرب والموالي ص ٩١ .
(٣) الجذور التاريخية للشعوبية ٦٥ .
(٤) تاريخ بغداد ٦/٣٢٦ .

وناديت من مرو وبلخ فوارسا لهم حسب في الأكرمين حسيب
فيا حسرتا لا دار قومي قريبة فيكثر منهم ناصري ويطيب
وأن أبي ساسان كسرى بن هرمز وخاقان لي لو تعلمين نسيب
ملكنا رقاب الناس في الشرق كلهم لنا تابع طوع القياد جنيب
نسومكُمُ خسفا ونقضي عليكُمُ بما شاء منّا مخطىء ومصيب(١)

وقال الصغدي :

أبا الصغد بأس إذ تعيرني جمل سفاها ومن أخلاق جارتنا الجهل
هم فاعلموا أصل الذي فيه منبتي على كل فرع في التراب له أصل
إذا أنت لم تحم القديم بحادث من المجد لم ينفعك ما كان من قبل(٢)

واستمع الى علان الشعوبي الوراق يقول :

ان لي فخراً مباءته في قرار النجم مأهول
ورجال شربهم غدق هم لما حازوا مباذيل
كسرويات أبوّتنا غرر زهر مقاويل(٣)

وهذا عبد الله طاهر بن الحسين يقول في قصيدة يذم العرب ويفخر بالفرس :

اقصري عمّا طمحت له ففراغي عنك مشغول
سائلي عمّن تسائلني قد يرد الخبر مسؤول
أنا من تعرف نسبته سلفي الغر البهاليل
سل بهم تنبيك نجدتهم مشرفيات معاقيل
وأبي من لاكفاء له من يسامي مجده قولوا

(١) الشعر والشعراء ٢/٧٣١ .
(٢) المصدر السابق ٢/٧٣٥ .
(٣) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٦٤ .

سل بهم والخيل ساهمة   حوله جرد أبابيل
أبطن المخلوع كلكله   ومواليه المقاويل
فتوى والترب مضجعه   غال عنه ملكه غول
قاد جيشا نحو بابله   ضاق عنه العرض والطول
من خراسان مضى معهم   كليوث ضمها غيل[1]

جاء في «الشعوبية حركة مضادة للاسلام والامة العربية»:[2] وقد أسهم الشعراء العرب في المعركة ضد الشعوبية وكان لهم دور كبير في الرد عليها ، فإنه لما وقف الشاعر عبد الله بن الحر الجعفي على خطر حركة المختار أنشد في تصويرها قائلاً :

وما ترك الكذاب من جل مالنا   ولا المرء من همدان غير شريد
أفي الحق ان يحتاج مالي كله   وتأمن عندي ضيعة ابن سعيد

وأنشد أعشى همدان في هجاء المختار :

فقتل من أشرافنا في محالهم   عصائب منهم أردفت بعصائب
فكم من كمين قد أبادت سيوفهم   الى الله أشكو رزء تلك المصائب
يقتلنا المختار من كل غائط   فيالك دهر مرصد بالعجائب[3]

وكتب نصر بن يسار الى مروان الثاني يخبره خطر الشعوبية على الدولة الاسلامية ، فقال :

أرى بين الرماد وميض جمر   فأحْجِ بأن يكون له ضرام
فقلت من التعجب ليت شعري   أأيقاظ أمية أم نيام ؟
فإن يقظت فذاك بقاء ملك   وإن رقدت فإني لا ألام
فإن يك أصبحوا وثووا نياما   فقل قوموا فقد حان القيام[4]

---

(١) العقد الفريد : ١٩٨/٢ .
(٢) ص ١٩٢ .
(٣) الاخبار الطوال : ٢٩٧ .
(٤) الاخبار الطوال ص ٣٥٧ .

وقال أحد الشعراء العرب في ذم الهيثم بن عدي الذي عرف عنه ذم العرب :

يا هيثم بن عدي لست للعرب ولست من طيء إلا على شغب
إذا نسبت عديا في بني ثعل فقدم الدال قبل العين في النسب(١)

وقال شاعر آخر في هجاء الهيثم بن عدي :

يا ابن الخبيثة من اهجو فأفضحه إذا هجوت وما تنعي إلى أحد(٢)

ولما شبّه الزنديق يزدان بن باذان حجاج بيت الله عند مناسكهم بقوله : «ما أشبههم إلاّ ببقر تدوس البيدر» . ردّ عليه الشاعر العلاء بن الحداد الأعمى مستثيرا الخليفة موسى الهادي عليه ، فقال :

أيا أمين الله في خلقه ووارث الكعبة والمنبر
ماذا ترى في رجل كافر يشبّه الكعبة بالبيدر
ويجعل الناس إذا ما سعوا جمرا تدوس البر والدوسر(٣)

وحين افتخر عبد الله بن طاهر بن الحسين بأبيه على قتل الأمين رد عليه الشاعر العربي محمد بن يزيد الأموي ، فقال :

لا يرعك القال والقيل كل ما بلغت تضليل
يا ابن بيت النار موقدها ما لحاذيه سراويل
من حسين من أبوك ومن مصعب غالتكم غول
نسب من الفخر مؤتشب وأبواب أراذيل
قاتل المخلوع مقتول ودم المقتول مطلول(٤)

---

(١) ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ٧/٢٦٤ .
(٢) المصدر السابق ٧/٢٦٤ .
(٣) ضحى الاسلام ١/٦٧ .
(٤) الفرج بعد الشدة ١/٦٦ .

وهناك قصائد كثيرة في رد العرب للشعوبية تجدها في كتب التواريخ ودووابن الشعراء وكتب الأدب العربي .

ومما قالته الشعوبية «للأمم كلها من الأعاجم ملوك تجمعها ومدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفة وبدائع من الأدوات والصناعات ، ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولا أثر في فلسفة إلاّ ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم .[1]

وقالت الشعوبية ان العرب مجموعة قبائل لا رابطة بينهم وليس لهم من الحضارة نصيب كالفرس والروم وأنهم ينتقلون من مكان الى آخر وأساليب قتالهم الحربية كانت بسيطة .

وقد ردّ أنصار العرب بقولهم «فهم أقوى الناس هما وأشدهم أحلاماً وأصحهم أجساماً وأعزهم جاراً وأحماهم ذماراً ، وأجودهم فطناً لما أكسبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء .[2]

وأدعت الشعوبية ان اسحاق أبو العجم ، وأن أمه سارة حرة ، بينما نجد اسماعيل أبا العرب وأمه هاجر وهي أمة ، وسموا العجم «بني الأحرار» والعرب «بني اللخناء» بضوء هذا الادعاء قال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكل بها طنبا | ولا خباء ولا عك وهمدان
ولا لجرم ولا بهراء من وطن | لكنها لبني الاحرار أوطان
أرض تبنى بها كسرى مناسكه | فما بها من بني اللخناء انسان[3]

وهاجمت الشعوبية اللغة العربية حتى أنهم جوزوا الصلاة بالفارسية، وأثار هذا الهجوم العرب وبعض المسلمين من غير العرب لأن العربية لغة القرآن ولأنها اللغة العامة للثقافة خلال عصور .

---

(١) العقد الفريد ٣/٤٠٥ .

(٢) مروج الذهب ٣/٢٤٤.

(٣) الجذور التاريخية للشعوبية : ٦٩ .

انبرى الجاحظ والثعالبي وغيرهما للدفاع عن اللغة العربية وإظهار محاسنها واعتبروها أشرف اللغات وأسناها .

لقد بذل الكتّاب والأدباء من الشعوبيين كل سبيل لبعث الثقافة الفارسية وحاولوا بث الطابع الفارسي في الإدارة والمراسيم العباسية ، هذا مع تقليل شأن الثقافة العربية الإسلامية والاستهانة بها . وكان موقفهم يستند إلى العصبية الجامحة لا إلى الادراك .

واتخذ نشاط هؤلاء سبلا مختلفة ، منها اكثارهم من الترجمة عن الفارسية في موضوعات تتصل بصميم الذات الفارسية كالأدب والتاريخ والتقاليد والمثل . وقد شهد العصر العباسي الأول حركة ترجمة واسعة عن الفارسية ، وهي مستقلة عن حركة الترجمة التي تبناها الخلفاء ، ومن أمثلة هذه الترجمات (خداينامه) أو سير الملوك (ملوك الفرس) ، وهو كتاب ينطوي على كثير من الأساطير والمواعظ والتمجيد ويغلب عليه عنصر القصة والاسطورة . ونظراً لخطورته لدى الفرس فإننا نسمع عن ثمانية صور لـ(خداينامه) بعضها مترجم والبعض الأخر مؤلف ومترجم ، ومنها (الآيين نامه) أو المراسيم والتقاليد الساسانية وكتاب (مزدك) وهو يتضمن أدباً ومثلاً أخلاقية مجوسية لا تأتلف والمفاهيم الاسلامية ، وقد ترجمه ابن المقفع . كما أعد أبان بن عبد الحميد اللاحقي ترجمة أخرى له . ومنها كتاب (التاج) في سيرة أنوشروان ، وكتاب (كليله ودمنه) الذي تصرف إبن المقفع في ترجمته وأضاف إليه بابا (باب برزويه) للترويج للمانوية كما أوضح البيروني . ومنها كتاب سيرة الفرس المعروف بـ(اختيار نامه) نقله اسحق بن يزيد . هذا وترجمت بعض الكتب الدينية[1] .

وقد تصدت المعتزلة للرد على الشعوبية والدفاع عن مبادىء الاسلام ، وكان واصل بن عطاء يعقد الجلسات للرد على الزنادقة وتفنيد حججهم .

---

(١) الجذور التاريخية للشعوبية : ٥٠ .

وكان يناقش مشاهيرهم أمثال صالح بن عبد القدوس وغيره، فقطعهم بأقل كلال . وكان لواصل تلاميذ كثيرون أعدهم إعداداً فكرياً عميقاً ، وكان يبعث بهم إلى الأقطار (يدعون إلى مبادىء الاعتزال ويردون من خلال ذلك على خصوم الاسلام . فبعث واصل منهم عبد الله بن الحارث الى المغرب فأجابه خلق كثير ، وبعث الى خراسان حفص بن سالم فدخل ترمذ وناظر جهم بن صفوان حتى قطعه . وبعث القاسم الى اليمن وبعث أيوب إلى الجزيرة وبعث الحسن بن ذكوان الى الكوفة وعثمان الطويل الى أرمينية .(1)

والزمخشري المعتزلي(2) تبنى فكرة الرد على الشعوبية والدفاع عن الاسلام والعرب في مؤلفاته التي سنوردها .

«الزمخشري وكتابه المفصل في صناعة الإعراب»

«تعريف بالكتاب» :

قال الزمخشري مفتخراً بسعة معلوماته في علم النحو :(3)

وبي يستعيذ النحو من أن يسوسه ... نهى لم يجدها الذائقون حصائفا
فقل أين خلّى سيبويه كتابه ... يقل حجر جار الله مأواى حالفا
وما في رواة الكتب راوية له ... سوى واحد فانظر فلست مصارفا
ولو لم تكن لي غير هذي فضيلةٌ ... لبرزت سباق الاضاميم راعفا

وكان يزعم : انه ليس في كتاب سيبويه مسألة إلاّ وقد تضمنها هذا الكتاب . ويحكى : ان بعض أهل الأدب ، أنكر عليه هذا القول وذكر له مسألة من كتاب سيبويه وقال : هذه ليست فيه . فقال : وإنها لم تكن فيه أيضاً ، فهي فيه ضمناً ، وبيّن له ذلك .(4)

---

(1) الشعوبية حركة مضادة للاسلام والامة العربية ص ١٧٩ .

(2) راجع بحثنا هذا ص : ٣ .

(3) ديوان الادب ، ورقة ١٣٦ مطلع القصيدة :

سقى الله بطن الايك اوطف واكفاً ... يجلل بطن الأيك أزرق وارفا

(4) نزهة الالباء في طبقات الادباء ص : ٢٩٠ .

شرع الزمخشري في تأليف كتاب المفصل في غرّة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، وفرغ منه في غرّة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة .

ولا ريب أن يبلغ الكتاب مكانة عالية ، فقد شرحه وعلق عليه كثير من النحاة ، ذكر بروكلمان : ان له تسعاً وعشرين شرحاً .

وأول طبعة له في كريستيانا (christianiae) سنة ١٨٥٩م باعتناء J.P. Broch كما ترجم الى الألمانية وطبع سنة ١٨٧٣ .

ولعل أكثر شراح المفصل شهرة أبا البقاء يعيش بن علي بن يعيش الحلبي (٥٥٣هـ/١١٥٨م - ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) وقد طبع في ليسك سنة ١٨٨٢م . كما طبع المفصل وبعض شروحه عدة طبعات في مصر .

ومما قيل في كتاب المفصل :(١)

«مفصل» جار الله في الحسن غاية   والفاظه فيها كدرّ مفصّل
ولولا التقى ، قلت : المفصل معجز   كآي طوال من طوال المفصّل

وقال الدكتور علي عبد الواحد :(٢)

«ان جماعة المتأخرين جاؤوا بمذهبهم في الاختصار والاستيعاب لجميع أبواب العلم ، فوضعوا أهَمَّ كتب النحو والصرف وأكملها وأدقها وأكثرها تهذيبا وتنقيحا ، ومن أشهرهم الزمخشري صاحب المفصّل في النحو» .

«الزمخشري والشعوبية في كتابه المفصّل» :

بدأ الزمخشري مقدمة كتابه المفصّل بأن حمد الله وأثنى عليه على أن جعله من علماء العربية وعصمه من الشعوبية ، قال(٣) :

---

(١) كشف الظنون ٢/١٧٧٤ .
(٢) فقه اللغة : ص ٢٦٩ .
(٣) مقدمة كتاب المفصل .

«الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب والعصبية وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وامتاز وأنضوى الى لفيف الشعوبية وانحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم الا الرشق بالسنة اللاعنين، والمشق بأسنة الطاعنين، والى أفضل السابقين والمصلين أوجه أفضل صلوات المصلين محمد المحفوف من بني عدنان بجماجمها وأرحائها النازل من قريش في سرة بطحائها، المبعوث الى الأسود والاحمر بالكتاب العربي المنور ولآله الطيبين ادعو الله بالرضوان وادعوه على أهل الشقاق لهم والعدوان».

ثم يرد على الشعوبية قائلا بأن الله جعل خيرة كتبه القرآن الكريم ونبيه في عرب خلقه وليس في عجم خلقه:

«ولعل الذين يغضّون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها، حيث لم يجعل خيرة رسله وخيرة كتبه في عجم خلقه ولكن في عربه، لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج، وزيغا عن سواء المنهج».

ثم يقول ان اللغة العربية أم اللغات ويحتاجها صاحب العلوم الاسلامية. وهذه العلوم محتاجة الى علم الاعراب:

«والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك انهم لا يجدون علما من العلوم الاسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها واخبارها إلاّ وافتقاره الى العربية بيّن لا يدفع ومكشوف لا يتقنع، ويرون الكلام في معظم ابواب أصول الفقه ومسائلها مبنيا على علم الاعراب». والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه والاخفش والكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين.. والاستظهار في مآخذ النصوص بأقاويلهم والتشبث بأهداب فسرهم وتأويلهم. وبهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاورتهم، وتدريسهم، ومناظراتهم، وبه تقطر في القراطيس أقلامهم، وبه تسطر الصكوك والسجلات حكامهم، فهم ملتبسون بالعربية اية سلكوا، غير منفكين منها أينما وجهوا كل عليها حيث سيروا».

وعلى الرغم من أهمية اللغة العربية ، فالشعوبيون يجحدون فضلها وينهون عن تعليمها وتعلمها :

«ثم انهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها ويدفنون خصلها ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها ، وينهون عن تعلمها وتعليمها ، ويمزقون اديمها ، ويمضغون لحمها . فهم في ذلك على المثل السائر : «الشعير يؤكل ويذم» . ويدعون الاستغناء عنها وانهم ليسوا في شق منها ، فان صح ذلك فما بالهم لا يطلقون اللغة رأسا والاعراب ، ولا يقطعون بينهما وبينهم الاسباب ، فيطمسوا من تفسير القرآن آثارها ، وينفضوا من أصول الفقه غبارهما ، ولا يتكلموا في الاستثناء فانه نحو ، وفي الفرق بين المعرف والمنكر فانه نحو ، وفي التعريفين تعريف الجنس وتعريف العهد فانهما نحو ، وفي الحروف كالواو والفاء وثم ولام الملك ومن التبعيض ونظائرها ، وفي الحذف والاضمار ، وفي أبواب الاختصار والتكرار ، وفي التطليق بالمصدر واسم الفاعل ، وفي الفرق بين إن وأنّ واذا ومتى وكلما وأشباهها مما يطول ذكرها ، فان ذلك كله من النحو . وهلا سفهوا رأي محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله فيما أودع كتاب الايمان ، وماهم لم يتراطنوا في مجالس التدريس وحلق المناظرة ثم نظروا هل تركوا للعلم جمالا وابهة ، وهل أصبحت الخاصة بالعامة مشبهة ، وهل انقلبوا هزأة للساخرين وضحكة للناظرين» .

ثم يبين الزمخشري أهمية علم الاعراب قائلاً :

«هذا وان الاعراب أجدى من تفاريق العصا ، وآثاره الحسنة عديد الحصا ، ومن لم يتق الله في تنزيله ، فاجترأ على تعاطي تأويله ، وهو غير معرب ، ركب عمياء ، وخبط خبط عشواء ، وقال ما هو تَقَوُّلٌ وافتراء وهراء ، وكلام الله منه براء ، وهو المرقاة المنصوبة الى علم البيان ، المطلع على نكت نظم القرآن ، الكافل بابراز محاسنه ، الموكل باثارة معادنه ، فالصادّ عنه كالسادّ لطرق الخير كيلا تسلك والمريد بموارده ان تصاف وتترك» .

ويبين الزمخشري الحافز الذي دفعه لتأليف كتاب المفصل :

«ولقد ندبني ما بالمسلمين من الأرب الى معرفة كلام العرب ، وما بي من الشفقة والحدب على أشياعي من حفدة الأدب ، لانشاء كتاب في الاعراب ، محيط بكافة الأبواب ، مرتبا ترتيبا يبلغ بهم الأمد البعيد بأقرب السعي ، ويملأ سجالهم بأهون السقي» .

ثم يبين الزمخشري منهجه في تأليف كتاب المفصّل :

«فانشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب المفصّل في صنعة الاعراب مقسوما أربعة أقسام . القسم الأول : في الاسماء . القسم الثاني : في الافعال . القسم الثالث : في الحروف . القسم الرابع : في المشترك . وصنفت كلا من هذه الأقسام تصنيفا ، وفصلت كل صنف منها تفصيلا حتى رجع كل شيء في نصابه ، واستقر في مركزه ، ولم أدخر فيما جمعت فيه من الفوائد المتكاثرة ، ونظمت من الفوائد المتناثرة ، مع الايجاز غير المخل ، والتلخيص غير الممل مناصحة لمقتبسيه» .

ثم يوضح : على القارىء :

أرجو أن اجتني منها ثمرتي دعاء يستجاب ، وثناء يستطاب ، والله عزّ سلطانه ولي المعونة على كل خير والتأييد والملي بالتوفيق فيه والتسديد» .

الزمخشري وكتاب مقدمة الأدب :

تعريف بالكتاب :

ألف الزمخشري مقدمة الأدب لتعليم الفرس اللسان العربي ، وزودها بشروح باللغة الفارسية ، وأهداها الى الأمير بهاء الدين أبي المظفر أتسوز بن خوارزم شاه .

طبع الكتاب وتزستاين I.G. Wetzstain في مجلدين سنة ١٨٤٣ في ليسك بعنوان : Lexicon Arabicum Persicum

وطبع الكتاب في طهران باهتمام سيد محمد كاظم امام سنة ١٩٦٣ . كما ترجمه الى التركية اسحاق افندي أحمد بن خير الدين (المتوفى سنة ١١٢٠ هـ) وسمّاه (أقصى الارب في ترجمة مقدمة الأدب) .

«الزمخشري والشعوبية في كتاب مقدمة الأدب» :

بدأ الزمخشري مقدمة كتابه «مقدمة الأدب» بأن حمد الله وأثنى عليه وذلك بتفضيله اللغة العربية على جميع اللغات كما فضل القرآن الكريم على جميع الكتب ، قال :

«الحمد لله الذي فضّل على جميع الألسنة لسان العرب ، كما فضّل الكتاب المنزل به على سائر الكتب والصلاة على النبي الأمي العربي ، وعلى آله أشرف العرب بعد النبي» .

ثم مدح الملوك الذين أغدقوا عطاياهم وهباتهم على علماء الملة الاسلامية وعلى الشعراء والخطباء :

«ولجلالة هذا اللسان وما جعل الله له من نباهة الشان ، وان الحاجة اليه سانحة في الملة الاسلامية في أنواع علومها وفنون آدابها كان المتعاطون لاتقانه والتبحر فيه معدودين في علماء هذه الأمة مذكورين في طبقات الأئمة ، ومن صنع الله تعالى لهذه الطبقة أن الملوك لم تمطر سحائبهم ، ولا فاضت أعطياتهم ومواهبهم على أحد فيضها على هؤلاء من أدبائهم وخطبائهم ومترسليهم وشعرائهم . ولم يخل بعد انقضاء دولة العرب عصر من الاعصار من ملك فاضل جواد يرغب فيهم ويصطفيهم ويكفلهم ويكفيهم ، ويتعصب لصناعتهم ، ويحرص على تنفيق بضاعتهم» .

ثم يعظم الزمخشري ويفخم الامير أبا المظفر اتسوز بن خوارزم شاه لانه اهتم باللغة العربية وبالعلوم الاسلامية وذلك لطلبه من الزمخشري أن يؤلف كتابا لتعليم الفرس اللغة العربية ، قال :

«والذي اصطفاه في زماننا لنصرة الأدب ، وقذف في قلبه الرغبة في كلام العرب الأمير الأجل الاسفهسالار بها الدين علاء الدولة نجم الملوك والسلاطين أبو المظفر اتسوز بن خوارزم شاه أدام الله علاه ، ونصر لواءه ، فغاية لذته في مجالسة الأفاضل وقصارى لهوه في منادمة الاماثل ، ولا يزال ظل كرمه الواسع عليهم ممدودا ، وجنابهم بانعامه الفائض مجودا ، وصلاته وخلعه مترادفة عندهم متوالية ، رائحة اليهم غادية ، وقد رسم لي أمره

العالي زيد علوا بتحرير نسخة من كتاب «مقدمة الأدب» لخزانة كتبه المعمورة فعملت على امتثال رسمه ، وجعلت الكتاب موسوما باسمه لأن هذا الكتاب قد أصاب قبولا في القلوب ، وهبّ في البلاد مهب الصبا والجنوب ، فاردت أن لا يزال مذكورا في كل مكان وزمان ، ويكون اسمه العزيز جاريا على كل لسان ، والله موفقه لما يرفع الذكر الجميل ويكسب الثواب الجزيل انه خير موفق ومعين» .

الزمخشري وكتاب ديوان الأدب :

- تعريف بالكتاب :

للزمخشري ديوان ضخم جمعه بنفسه ورتبه على تسلسل الحروف الهجائية وذلك بطلب من أبي الحسن علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس وأهداه اليه ، قال[1] :

«. . . للقيت مني حين اقترحت عليّ جمع نفاثات قريحتي ، وطلبت اليّ الاسجاع بمحاجاة سجيتي . . . وما هي الا اقدامة منهوك ، واقتحامة متفتك ، واغترار باستجادتك ، واستنامة الى استعادتك ، وركوب الى قولك في كثير منها هو بكلام القدماء أشبه من الماء بالماء ، قضاؤك للبنوات باصابة المخر ، واقبالك على المكبات بالمنكب المهتز ، والحاقك العربيّة بحولي العرب المنقح ، وتشبيهك أبياتها بالعراب القرح ، وشهادتك الحكيمة بما أمال من عطفها ، ونفخ في قحفها ، واعجابك بأخوات لهن من مقصرات ومقطعات ، ولعلك السبب فيما أريد بها من التشهير ، وأتيح لها التيسير ، والله المستعان» .

وقد افتخر الزمخشري وتباهى بشعره قائلاً[2] :

---

(١) مقدمة ديوان الادب .

(٢) ديوان الادب ورقة ٧٠ مطلع القصيدة :

سقى الله بطن الايك اوطف واكفا   يجلل بـطن الأيـك أزرق ذارفـا

أقرت بي الآداب أصلا لها ومن | رأى مشرفيات جحدن مشارفا
وديوان منظومي يـريك بدائعا | وديوان منثوري يريك مطارفا

وقال أيضاً :[1]

وممـا شجاني أن غـرّ منـاقبي | يغني بها الركبان بين القوافل
وطارت الى اقصى البلاد قصائدي | وسارت مسير النيرات رسائلي

الزمخشري والشعوبية في ديوان الأدب :

قال باكياً الاطلال[2] :

أيا عرصات الحي أين الأوانس | رحلن وحلتك الظباء الكوانس
أعـامـرة بـالامس تهـتز نـظرة | مغانيك وهو اليوم قفر بسابس
بليت بشيء لم أك قبـلي به | فرسمك منه مثل رسمي دارس*
جفتك وكانت من مهى الانس ربربا | نواشيء في برد الشباب موائس
مهى لفتاة المسك في كل ملعب | بتجرير اذيـال المراط كـوانس
فعوضت من تلك الكوانس غيرها | كوانس ما دالت لهن ملابس
وما اركس القلب المعذب بعدما | سلا سلوة الا العذيب وراكس
محـلان للحي الجميع كـلاهما | محيق كما يمحو الصفيحة طامس
تــوالى بكـاء فيهــا وتنفســا | رواحس يخضلن الربى وروامس
لبذلهم ما هبت الشمأل القرى | وسقيهم الصهباء والماء قارس
لعهدي بهم والدهر مفض جنونه | وصرف النوى عن صدعة الشمس آيس

ثم ينتقل الى مدح العرب والفخر بهم :

تنـافسهم في الغر كـل قبيلة | وأبى عليهم عزهم أن ينافسوا
اذا جلسوا حول الرياض بهيجة | فأبهج من تلك الرياض المجالس

---

(١) المصدر السابق ورقة ٩٢ ، والبيتان من قصيدة مطلعها :
خليلي هل تجدي عليّ فضـائلي | اذا أنا لم ارفع على كل جاهل
(٢) ديوان الادب ورقة ٦٠ .
(*) وردت بعض الأبيات في هذا البحث مختلّة الوزن ، وبعض الكلمات غير واضحة المعاني ، ولعل ذلك ان يكون في الأصل .

عن العرب الصيد الاولى احرزوا العلى وطابت لهم أعراقهم والمغارس
غطارفة شم تربوا أعزّة فلما شم ريح الذل منهم معاطس
وللعرب العرباء أصلب منبت وهل يستطيع الحز في النبع ضارس
فيا لغة لو يشعر الصخر بالذي تمارس ضج الصخر مما تمارس
إباء إباء الخيل وهي شوامس وصبر كصبر الخيل وهي هوامس
وما نال منهم في الهزاهز كلها فوارس هيجا أم ليوث فوارس
مساعر ما يحمي الوطيس بمثلهم اذا فرّ عن حرّ القراع المغامس
فكم طعنة بكر يطير رشاشها لفتيانهم والحرب شمطاء عانس
ويكفيك من أيامهم وحروبهم بما جرت الغبراء أو جرّ داحس

ثم يذكر انتصارات العرب على فارس وسلب تيجان الملوك :

وهم فرسوا أبناء فارس كلهم بانيابهم وهي الرماح المداعس
ومصلتة ما زال يطلى بياضها بماء الطلى ما فارقتها المداوس
وهم سلبوا التيجان هام ملوكهم ولم يقطعوا عنهم وفارس فارس
وأي سخاء يدّعى كسخائهم بما ملكوا والجو أغبر عابس
بأسيافهم يمرون سوق عشارهم اذا نزل الأضياف والضرع يابس
وان تستعد منهم بأعظم ميت فذلك حصن مانع لك حارس
اذا اعتقلت كفاك فيهم بذمة فخصمك فل ناكص عنك ناكس
واعراضهم اعراقهم وكلت بها مهينمة حتى اتقتها المدانس
وعن صهر كسرى صد نعمان باوه فخنقه في خانقين الفوارس
وهان عليه يومه قبل ساعة يكابد فيها صهر من لا يجانس

ثم يوضح روعة اللغة العربية وانتشارها في الامصار ، وأن الرسول عربي والقرآن نزل باللغة العربية :

وقل هل فشا في الأرض غير لسانهم لسان فُشُوَّ الضوء واليوم شامس
به عجّ في امصارها كل منبر وطنت به في الخافقين المدارس
على ظهرها لم يخلق الله أمة تناسبهم في خصلة أو تلابس
يقايس بين الناس حتى اذا انتهى الى العرب القياس طاح المقايس
وواحدة تكفيك هاتيك حجة بساطعها تنشق عنك الحنادس

أجلُّ رسولٍ منهم وبلسنهم أجل كتاب فاعتبر يا منافس
وقل للشعوبيين ان حديثكم أضاليل من شيطانكم ووساوس
لكم مذهب فسل يغر بمثله أشاييب حمقى لا الرجال الاكايس

قال من قصيدة أخرى مادحا الرسول الأعظم ومشيدا بصفاته الغر حيث جاء بالحنيفية البيضاء ومعجزته كتاب الله فتابعه سعيد ومن زاغ عنه فهو الهالك . وقد استطاع الرسول (ص) أن يطوح تاج كسرى وقيصر والمهالك الأخرى ، فقال[1] :

ادار الأولى حلوك أين أولتك أراك محلا للظباء الأوارك
وما أحد صلّى عليه محمد بذي عصم عند الآله ركائك
أبو القاسم ابن الأنبياء محمد رسول الهدى الهادي اسد المسالك
فأسعد أهل الأرض تابع خطوه ومن زاغ عنه هالك في الهوالك
الى الثقلين المصطفى كان مرسلاً من المتعالى جده المتبارك
ولما أتاهم بالحنيفية التي هي الصبح حلى كل اسود حالك
بملة ابراهيم أثبت ملة وارسخها قبل الجبال الروامك
أتاهم بآيات الكتاب فاصبحت بوازغ في الآفاق غير دوالك
يداهم باشباه السيوف بوابكا فصدوا فثنى بالسيوف التوابك
ببيض خطمن الغر عن كل حاطم وسمر هتكن الستر من كل هاتك
وطوحن قصراً تاج كسرى وقيصر وسمن صغاراً شوس أهل المهالك
وكم من دماء حيل من دون حتفها حقن بأيد للدماء سوافك
وذو العرش ألقى في قلوب غواتهم من الرعب ما يثنيهم بالمهالك
فكائن رأوا من ذي ممالك كبكبت ممالك منه جنده في مهالك
وشردنهم في كل أوب تواركا صناديدهم مثل النعام الروائك

(١) ديوان الادب ورقة ٩٠ .

ثم قال مفتخراً بنسب الرسول بانه ينتمي الى قريش ذات المنصب العزيز وأنه من عدنان ، ومدح الصحابة التي التفت حول الرسول ودافعت عنه دفاع الأبطال :

اعـز قريش منصبـاً واخصهم ... بفرع سنام بين عدنان تافك
أبـوّتـه أعلتـه ثم ارتقت بـه ... نبوته في البـاذخات السـوامك
وذلـك يجزيه من ان يعتري الى ... فـواطم من جداتـه وعـواتـك
وما كان الاّ البدر تحتفي حوله ... صحابة صدق كالنجوم الشوابك
هم كشفوا عن وجهه كرب الورى ... كفاحاً وخاضوا دونه في المعارك
وقاموا بضرب للطلى متتابع ... وزادوا بطعن في الكلى متدارك
الى أن دجى الاسلام وامتد ظله ... وعضّ على أبهامه كل آفك
فارسلت الأديان سحا عيونها ... وأوضح دين الحق أنياب ضاحك
اليك رسول الله جهرّت مدحتي ... وأنك اسخى كل باق وهالك

* * *

الزمخشري وكتاب الكلم النوابغ :

هي مجموعة حكم ونصائح مركزة موجزة مسجوعة سجعاً ملتزماً لا ينتظمها موضوع أو فكرة وإنما في شتى مجالات الحياة في الاخلاق والسياسة والاقتصاد والدين والاجتماع ، طبع الكتاب المستشرق الهولندي هنري البرت سجلتن « Henriecus Albertus Sehultens » في سنة ١٧٧٢م مع ترجمة الى اللاتينية بعنوان « Antholagia Sententiaram Arabicarux » وفي سنة ١٨٧٥م طبع الكتاب المستشرق الفرنسي « C . Barbier de Meynard » مع ترجمة الى الفرنسية ونشرها في مجلة« Journal Asiatique» بعنوان : «Les Pensées De Zamakhschari» .

وفي سنة ١٣٠٦ هـ طبع الكتاب محمد الكستي البيروتي في بيروت .

وفي سنة ١٩٧١ م حققت الكتاب ونشرته الدكتورة بهيجة باقر الحسني في مجلة العرب في الجزء التاسع والعاشر . قال فيه السيد حبيب الدراجي التونسي(١) :

روض البلاغة قد تفتح زهره وجرى بتسنيم الفصاحة نهره
أو ما ترى «الكلم النوابغ» قد بدت تزرى بعقد لايثمن قدره
من نسج جار الله استاذ الورى المعتلى بين البرية قدره
يا زمرة الأدباء بشراكم بما قد همّ طلّاب المعارف نشره

وللكتاب شروح كثيرة أشهرها شرح العلامة سعد الدين التفتازاني وسماه بـ «النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ» .

طبع في وادي النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٦ هجرية

قال فيه الزمخشري معظماً العرب ومفضلاً اياهم على العجم :(٢)

«العرب نبع صلب المعاجم والغرب مثل الاعاجم»

فسّرها التفتازاني(٣) :

«ان العرب فصحاء أعزاء أقوياء دون الاعاجم» .

وقال الزمخشري أيضاً شامخاً بالعرب(٤) :

«فرقك بين الرطب والعجم هو الفرق بين العرب والعجم»

وقال مادحا الاسلام(٥) :

«الدخول في دارة الاسلام خلود في دار السلام»

(١) الابيات في الصفحة الاخيرة من كتاب «الكلم النوابغ» طبعة بيروت .
(٢) الكلم النوابغ : رقم ٢٨ .
(٣) النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ صفحة ١٥ .
(٤) الكلم النوابغ : رقم ٢٢٠ .
(٥) المصدر نفسه رقم ١٤٢ .

وقال[1] :

«آمـن بـالامـين«ابن آمنـة» تأت يوم الفزع بنفس آمنة»

وهكذا تصدى الزمخشري للشعوبية في مؤلفاته هذه فمدح الاسلام والرسول العربي والعرب ، وذم الفرس والشعوبين .

(١) المصدر نفسه رقم ١٥٦ .

المصادر والمراجع

١ ـ الاعلام ـ للزركلي . الطبعة الثالثة بـ «الاوفست» بيروت سنة ١٣٨٩هـ/١٩١٠م .

٢ ـ الاخبار الطوال ـ الدينوري ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، مطبعة عيسى بابي الحلبي ، القاهرة سنة ١٩٦٠م .

٣ ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ـ المعروف بمعجم الادباء ، تحقيق : مرجليوث القاهرة ١٩٢٣ ـ ١٩٣١ .

٤ ـ ازهار الرياض في اخبار عياض ـ المقرى ١٣٥٨هـ ـ ١٣٦١هجرية .

٥ ـ انباه الرواة على انباه النحاة ـ القفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥/١٣٧٤ .

٦ ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ـ اسماعيل باشا البغدادي ، طهران سنة ١٩٦٧ .

٧ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ١٩٦٤ ، مطبعة آولى سنة ١٣٢٦ هجرية .

٨ - البيان والتبيين - للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هـارون ١٣٦٧/١٩٤٨ .
٩ - تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣١م .
١٠ - تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء - الطبعة المنيرية ، القاهرة ١٣٤٧ هجرية .
١١ - تذكرة الحفاظ - للذهبي ، طبع في حيدر آباد - الدكن ١٣٣٣ - ١٣٣٤هـ .
١٢ - الجذور التاريخية للشعوبية - للدكتور عبد العزيز الدوري ، منشورات دار الطليعة بيروت ١٩٦٢م .
١٣ - جريدة العراق - الاحد ، ١٨ كانون الثاني ١٩٨٧ .
١٤ - ديوان الادب - للزمخشري ، مخطوط مصور في المجمع العلمي العراقي .
١٥ - ديوان بشار بن برد - شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور .
١٦ - ديوان أبي نواس - تحقيق أحمد عبد الحميد الغزالي ، القاهرة ١٩٥٣ .
١٧ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات - محمد باقر الخوانساري .
١٨ - الشعوبية حركة مضادة للاسلام والأمة العربية - للدكتور عبد الله سلوم من منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ١٩٨٠ .
١٩ - الشعوبية - الدجيلي - الطبعة الثانية النجف ١٩٦٠ .
٢٠ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب - لابي الفداء ، طبعة القاهرة ١٣٥٠ هجرية .
٢١ - الشعر والشعراء - لابن قتيبة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ .

٢٢ ـ الصراع بين العرب والموالي ـ لبديع شريف ، دار الكاتب العربي ، القاهرة سنة ١٩٥٤ .
٢٣ ـ ضحى الاسلام ـ لاحمد امين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٥هـ .
٢٤ ـ طبقات المفسرين ـ للسيوطي ، تحقيق : فشر ، طبع في ليدن ١٨٣٩ .
٢٥ ـ العقد الفريد ، لابن عبد ربّه ، تحقيق : احمد امين ، القاهرة ١٩٤٠ .
٢٦ ـ الفائق في غريب الحديث ـ لجار الله الزمخشري ، طبع في حيدر آباد ـ الدكن سنة ١٣٢٤هـ ، وطبع في القاهرة سنة ١٣٦٦/١٩٤٧ .
٢٧ ـ الفهرست ـ لابن النديم ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة بدون تاريخ .
٢٨ ـ الفرج بعد الشدة ـ للتنوخي .
٢٩ ـ القصيدة البعوضية ـ للدكتورة بهيجة الحسني ، مجلة الأستاذ ١٩٦٧ .
٣٠ ـ الكامل في التاريخ ـ لابن الاثير . طبع في مصر سنة ١٣٠٣هـ .
٣١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة ، طهران سنة ١٩٦٧ .
٣٢ ـ اللباب في تهذيب الانساب ـ لابن الاثير ، طبع في مصر ١٣٥٦ ـ ١٣٦٩ .
٣٣ ـ مجلة العرب ـ المملكة العربية السعودية ، الرياض لسنة ١٩٧١ .
٣٤ ـ المحاجاة بالمسائل النحوية ـ للزمخشري ، تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني مطبعة أسعد ببغداد سنة ١٣٩٣/١٩٧٣ .
٣٥ ـ معجم البلدان ـ لياقوت الحموي ، طبعة اولى ١٣٢٣/١٩٠٦ .
٣٦ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ـ لطاش كبرى زادة ـ طبع في حيدر آباد ـ الدكن سنة ١٣٢٩هـ .

٣٧ ـ مقدمة الادب ـ للزمخشري ، تحقيق سيد محمد كاظم امام ، طهران سنة ١٩٦٣م .
٣٨ ـ المفصّل ـ للزمخشري وبهامشه «الفيصل بشرح المفصل» طبع بمطبعة الحجازي بالقاهرة .
٣٩ ـ الملل والنحل ـ للشهرستاني ، المطبعة الادبية ، القاهرة ١٣٢٠ .
٤٠ ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء ـ لابن الانباري ، تحقيق : الدكتور ابراهيم السامرائي ، الطبقة الثانية ١٩٧٠ .
٤١ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ـ لاسماعيل باشا البغدادي طبع باستانبول ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ .
٤٢ ـ وفيات الاعيان ـ لابن خلكان ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٦٧/١٩٤٨ .

* * * * * *

ثانيًا: مع الكتب

السَّمَاح في أخبار الرِّمَاح

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

تحقيق: الدكتور أنور أبو سويلم، جامعة مؤتة
الدكتور ماجد الجعافرة، جامعة اليرموك

مُقدِّمة التَّحْقِيق:

اهتم العربيُّ بسلاحه اهتماماً كبيراً؛ جِفاظاً على وجوده، ودفاعاً عن عرضه وماله وشرفه وكرامته، وَرَدْعاً للطَّامعين والغُزاة، وهو عُدَّته في الحياة، وسبيله إلى العِزَّة والكرامة والسِّيادة، وفي الشعر العربي تصوير لأدوات الحَرْب الهُجُومية والدِّفاعية ينطوي على حبٍّ وتقدير وإعزاز وإكبار، تحسُّ من خلاله روح التضحية والفداء التي تنطوي عليها نفس العربي. «والسلاح عند العربي رمز تنطوي تحته كثير من المعاني، فرَفْعُهُ فوق الرأس من أسمى آيات الاحترام، وتحطيمه يعني الضِّعة والمَذَلَّة، وتسليمه يعني الخضوع والمَسْكَنَة، وما كان العربي يتمنَّى شيئاً سوى رمح مُدبّب وسيف صقيل، وفرس جرداء، ودرع سابغةٍ»[1]. وقد حفل الشعر العربي في مختلف عصوره بأوصاف خاصة بمعداتهم الحربية، ومنها «الرمح» وعنوا بتفصيل أشكالها وألوانها وقُوَّتها ولدونتها وصفائها وصُنَّاعها

---

(١) نوري القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٤ ص١٦٨.

وأسمائها مما يُؤَلِّف معجماً خاصاً بالسِّلاح[٢]. وهو معجم نادر قد لا نجده عند الأُمم الأخرى .

وقد لحظ المؤلفون العرب أهميّةالسِّلاح في حياتهم العملية وفنونهم الشعرية والنثرية ، ولحظوا تكرار مصطلحات خاصة بأسلحتهم فجمعوا منذ وقت مبكِّر أسماء السِّلاح وأوصافه ، أو ما يمكن أنْ نسمِّيه «المصطلحات الفنيَّة للسِّلاح» حفاظاً على مفردات اللُّغة من الضياع ، واعترافاً بقيمة السلاح في حياة العرب الفُرسان ، فصنفوا كُتباً خاصة بالخيل ، والسلاح ، وأسماء السيوف والرماح والنبال ، والدُّروع ، والسِّهام والنِّصال ، وسائر الأسلحة الأخرى .

وكان للرمح أهمية خاصة : أشادوا به في أشعارهم وأخبارهم ، وألَّفوا كتباً في أهميته ، وأنواعه وأسمائه وصفاته ، وطرق استعماله . وأهمّ مؤلفاتهم فيه :

١ ـ أبو حاتم السجستاني ، سهل بن محمد (ت ٢٥٥ هـ) :
كتاب السُّيوف والرِّماح ، ذكره ابن النديم ؛ أبو الفرج محمد بن أبي إسحاق في كتاب الفهرست ، حققه : رضا ـ تجدد ، دانشگاه ، طهران (د.ت) ص٦٤ .

٢ ـ الأحدب ؛ نجم الدين حسن الرمَّاح (ت ٦٩٤هـ) :
(١) كتاب عَمَل الرمح على الأرض والفَرَس ، منه نسخة خطية في مكتبة الفاتيكان ، رقم ٢/٣٠٠ .
(٢) الفروسية والمناصب الحربية ، حققه : عيد ضيف العبادي ، منشورات وزارة الإعلام ، العراق ١٩٨٤م .
(٣) كتاب الغزو والجهاد وترتيب اللعب بالرمح وما يتعلق به ، منه نسخة خطية في رامپور (١:٦٧٧)

---

(٢) انظر ملحق (ألفاظ الرماح) .

ومنه نسخة خطية في الأوسكوريال رقم (٧٩٤) بعنوان : (اللعب بالرمح في معرفة الفروسية)

٣ - ابن الرمَّاح الحُسَامي ، محمد بن الأمير لاچين بن عبد الله الذهبي الطرابلسي (ت٧٨٠هـ) :
كتاب : بنود الرمح من بنود الأحداث والفروسية برسم الجهاد ، منه نسخة خطية في مكتبة جامعة ليدن بهولندة ، رقم ١٤١٩ .

٤ - ابن جماعة ، عز الدين محمد بن أبي بكر (ت٨١٩هـ) : فلق الصبح في أحكام الرُّمح ، فهرست مخطوطات برلين ، رقم ٥٥٥٠ .

٥ - الطرابلسي : ناصر الدين محمد (نحو القرن التاسع هجرية)
كتاب : في علم الفروسية ولعب الرمح ، منه نسخة خطية في مكتبة أياصوفيا باستنبول رقم ٢٨٢٥ - ٢٨٢٦ . ونسخة خطية في ليدن رقم ١٤١٩ وعنوانه : كتاب مبارك يشتمل على بنود الرماح وغير ذلك من الفوائد والميادين .

٦ - مجهول : علم الفروسية : النُّشَّاب والرُّمح وغير ذلك ،
منه نسخة خطية في مكتبة أياصوفيا ، باستنبول رقم ٤١٩٨ .

٧ - مجهول : الفروسية في اللعب والرمح :
منه نسخة خطية في مكتبة طوبقبوسراي ، استنبول ، رقم ٣٤٧١ ، ٧٤١١A .
ولعله كتاب الأحدب سالف الذكر بعنوان «اللعب بالرمح في معرفة الفروسية» .

٨ - مجهول من القرن العاشر هجرية : الكمال في الفروسية وأنواع السلاح ، وصفات السيوف والرماح .
منه نسخة خطية في مكتبة الفاتح باستنبول رقم ٣٥١٣ .

٩ ـ مجهول : مراح نقل الرُّماح : منه نسخة خطية في مكتبة طوبقبوسراي باستنبول رقم ٧٤١١ عربي ٣٤٧١ ، تاريخه ٩٠١هـ .

١٠ ـ مجهول : الفلاح في علم السلاح والجهاد والرماح .
منه نسخة خطية في معهد آسيا للاستشراق ، ليننغراد ، رقم ١/٨٥٧٥ ، وهو من مؤلفات القرن العاشر .

فصول من كتب قديمة في الرِّماح وأوصافها

١ ـ ابن أبي عون ، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٢هـ)
الرماح وما قيل فيها من شعر ، ضمن كتاب : التشبيهات ؛ تحقيق : محمد عبد المعين خان ، مطبعة جامعة كمبردج ، ١٩٥٠م ، ص١٣٨ ـ ١٥٩ .

٢ ـ الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ)
كتاب تفضيل السِّنان : (سنان الرمح : حديدته) وهو ضائع ، ذكره ابن النديم في الفهرست ص١٦٨ .
وانظر مقدمة شرح ديوان أبي تمام للصولي ، تحقيق د. خلف رشيد نعمان ، بغداد ١٩٧٧ ، ص١٠٩ .

٣ ـ الشمشاطي ، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي (ت ٣٧٧هـ أو ٣٨٠ هـ) :
السُّيوف والرماح وجميع السلاح ، ضمن كتابه الأنوار ومحاسن الأشعار ، تحقيق : صالح مهدي العزاوي ، دار الحرية ، بغداد ١٩٧٦ ، ص١١ ـ ٤١ .

٤ ـ الخالديَّان ، أبو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ) وأبو عثمان سعيد (ت ٣٧١هـ) : الرماح وما قيل فيها من شعر ، ضمن كتابهما : الأشباه والنظائر ، تحقيق : السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨م و١٩٦٥م ، ج١ص٩٨ ، ١٢٠ ، وج٢ ص٤٨ ، ١٦٢ .

٥ - الخركوشي النيسابوري ، أبو سعد عبد الملك بن محمد (ت ٤٠٦هـ) :
ذكر أسماء دروع رسول الله (ص) وسيوفه وقِسِيِّه ورماحه ، ضمن كتاب : مختصر شرف المصطفى ، منه نسخة خطية في برلين رقم ٩٥٧١ ، ورقة ٢٠١ .

٦ - الثعالبي : أبو منصور ، إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) :
أسماء الرماح وصفاتها ، ضمن كتابه : فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العملية ، بيروت (د.ت) ص٢٥١، وص٣٣٨ .

٧ - ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ) :
أسماء الرماح وطوائفها ونعوتها ومواضعها وذكر ما يشبهها ، ضمن كتاب المخصص ، المكتب التجاري بيروت (د.ت) ج ص٢٨-٣٥ .

٨ - ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) :
أوصاف الرماح ضمن كتابه «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٤م ، ج٢، ص٢٣٠ - ٢٣٣ .

٩ - ابن نباته المصري (ت)
وصف الرماح والخيل ، ضمن كتاب مطلع الفوائد ومجمع الفوائد ، تحقيق : عمر موسى باشا ، دمشق ١٩٧٢م ، ص٢٥٢ - ٢٥٥ .

١٠ - ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) :
السيوف والقسي والرماح والدروع ، ضمن كتابه : شرح نهج

البلاغة ، طبعة القاهرة ١٢٩٠هـ ، ج١ ، ص٣٢٧ .

١١ ـ النويري ، شهاب الدين (ت ٧٣٣هـ) : ما قيل في الرمح من الحديث والأسماء والنعوت والأوصاف ، ضمن كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ١٩٣٢م ج٦ ص٢١٤ ـ ٢٢٢ .

١٢ ـ القلقشندي ، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) :
الرمح وحامل الرمح ، ضمن كتابه : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،
طبعة القاهرة ١٩٧٠ ج٣ ص٤٧٩، ٥٠٩، ٥٢٢ .

١٣ ـ ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) : وصف الرماح ، ضمن كتابه «ثمرات الأوراق» تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة السنّة المحمدية ، القاهرة ١٩٧١م ، ص٤٠٥ ـ ٤٠٨ .

١٤ ـ المَقَّري ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) :
آلات الحرب التي تصنع بالأندلس ، ضمن كتابه : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩م ج١ ص١٨٨ و٢٠٧ .

دراسات حديثة

١ ـ أحمد بن مصطفى الدمشقي اللبابيدي (ت ١٣١٨هـ) :
أسماء الرمح ، ضمن كتابه «لطائف اللغة» المطبعة العامرة ، استنبول ١٣١١هـ ، ص٧٦ .

٢ ـ الأمير شكيب أرسلان (ت ١٣٦٦هـ) :
آلات الحرب من التراس والرماح والدروع . . . إلخ لدى أهل الأندلس ، ضمن كتابه : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، القاهرة ١٩٣٦م ج١ ص٢٣٣ .

٣ ـ آرنست كوئل : الأدوات المعدنية : الخوذة ، السيف ، الرمح . . . ضمن كتابه : الفن الإسلامي ، ترجمةُ عن الألمانية : د: أحمد موسى ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦م ، ص١٠١ ـ ١٠٢ ، وص١٧٩ ـ ١٨٠ .

٤ ـ د. إبراهيم السامرائي : السيوف والرماح والدروع ، ضمن بحث : السلاح في العربية ، مجلة التراث الشعبي ، بغداد ١٩٧٧م مجلد ٨ ، ع٣ ، ص٥٣ ـ ٧٠ ، ومجلة الدارة ، الرياض ، ديسمبر ، ١٩٧٨م ، مجلد٤ ، ع٤ ، ص٩٩ ـ ١٢١ .

٥ ـ عبد الجبار محمود : الرمح ، ضمن بحثه : الأسلحة القديمة عند العرب ، مجلة التراث الشعبي ، ١٢ [بغداد ١٩٨١] ع ٦ ـ ٧، ص١٣ ـ ٢٦ .

٦ ـ ماجد أحمد العزي : نعوت الرماح ،
مجلة ألف باء ، ١٤ [بغداد ٢٣ أيلول ١٩٨١م] ع٦٧٨ ، ص٣٩ .

٧ ـ هاني محيي الدين الأحمد :
تراث عن السُمْر العَوَالي : الرمح سلاح عريق عند العرب ، مجلة ألف باء ، ١٥ [بغداد ، حزيران١٩٨٢م] ع٧١٤، ص٤٤ ـ ٤٥ .

٨ ـ عبد القادر حافظ : الرمح ، ضمن بحثه : السيف أشهر أسلحة العرب ، مجلة ألف باء ١٤ [بغداد ٩ كانون أول ١٩٨١م] ع٦٨٩ ، ص٣٤ ـ ٣٥ .

كتب السلاح عامة

أ- الكتب القديمة .

١- النَّضر بن شُميل (ت ٢٠٤هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن النديم في الفهرست ص٥٨ (طبعة طهران)

٢- الأصمعي : عبد الملك بن قريب (ت٢١٦هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن النديم في الفهرست ، ص٦١

٣- أبو دلف العجلي ، القاسم بن عيسى البغدادي (ت٢٢٦هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن النّديم في الفهرست ص١٣٠ وابن خلكان في وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ج٤ ص٧٤

٤- شمر بن حمدويه الهروي (ت٢٢٥هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن منظور في اللسان ، مادة (علم) والزبيدي في تاج العروس ، مادة (علم)

٥- ابن السكيت ، يعقوب بن إسحق (ت٢٤٤هـ) :
السلاح ضمن كتاب : كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ ، تحقيق : الأب لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٥ م ص٦٥٢ - ٦٥٤

٦- ابن أبي زُرعة ، أبو علي محمد (ت٢٥٧هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره البيروني في كتابه الجماهر في معرفة الجواهر ، ص

٧- الأحول ، محمد بن الحسن بن دينار الكوفي ، (كان حياً سنة ٢٥٩هـ) كتاب السلاح ، وهو كتاب ضائع ، ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٧

٨- ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) :
معرفة السلاح ، ضمن كتابه أدب الكاتب ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ ص١٥٦ - ١٥٨

٩- ابن دريد ، محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن النديم في الفهرست ص٦٧ ، وياقوت في معجم الأدباء ج٦ ص٤٨٩

١٠- محمد بن أحمد بن خالد (من القرن السابع الهجري) :
خزائن السلاح ، منه نسخة خطية في مكتبة قره مصطفى باستنبول رقم ٤١

ب- دارسات وكتب حديثة

١- عبد الله مخلص (ت١٣٦٧هـ) :
أدوات الحرب عند العرب ، ذكره الزركلي في الأعلام ، ج٤ ص٢٧٨

٢- محمود بن الشريف : أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م .

٣- مهدي حمودي الأنصاري : السلاح في التراث العربي ، جريدة العدل ، العراق ، العدد ١٨ سنة ١٩٧٨ م .

٤- إبراهيم السامرائي : السلاح في العربية ، مجلة التراث الشعبي ٨ بغداد ١٩٧٧ م ع٣ ، ص٥٣ -٧٠ .

٥- محمد حسن آل ياسين :
كتب السلاح ضمن بحثه : ما وضع في اللغة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، مجلة المورد ٩ [بغداد ١٩٨٠] ع٣ ص٢٦٣ .

٦- كوركيس عواد :
مصادر التراث العسكري عند العرب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٢ م .

تعريف بالمؤلف :

نال السُّيوطي شهرة واسعة تَجْعله لا يحتاج إلى تعريف ، غير أنّ أكثر المحققين دَرَجوا على التَّعريف بمُؤَلِّف النصّ المُحَقَّق ، ورأوا أنَّ هذا التعريف جزء أساس في التحقيق العلمّي السليم ، وحتّى لا يكون هذا الكتاب شاذاً عن الأُصول المُتَّبعة رأينا أنْ نقدِّم تعريفاً موجزاً بمؤلفه .

لقد ترك السيوطي ترجمة ذاتية له في كتابه حسن المحاضرة(١) ، ذكر في نَسَبه ومولده وتاريخه ونشأته وحياته وشيوخه وأسماء مُصَنَّفاته ، وبَحَثَ الدكتور مصطفى الشَّكْعة في سِفْرٍ كبير مسيرة السيوطي العلمية ومباحثه اللغوية(٢) . والسيوطي يوضع في مصاف كبار المُفَسِّرين والمُحَدِّثين واللُّغويين والفُقَهاء والأُصوليين والأُدباء ، وفي مقدمات كتبه المنشورة تعريفات بسيرته الذاتية ونتاجه العلمي .

اسمه ونسبه ومولده :

هو الحافظ عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمود بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح بن أيوب بن ناصر الدين محمد بن الهُمام الخضيري الأسيوطي ، ويلقب بجلال الدين وكنيته أبو الفضل .

وُلِد في القاهرة سنة تسع وأربعين وثمانمائة (٨٤٩هـ) ونشأ يتيماً ، حيث مات أبوه سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، وكان له من العمر ست

---

(١) حسن المحاضرة ج١ ص٣٣٥ ـ ٣٣٤ . وانظر ترجمته أيضاً في الكواكب السائرة ج١ ص٢٢٦ وشذرات الذهب ج٨ ص٥١ ، والضوء اللامع ج٤ ص٦٥ .

(٢) مصطفى الشكعة : جلال الدين السيوطي : مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ، مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٨١م .

سنوات[٣] . وطلب العلم في سنّ مبكرة ، فَأَتَمَّ حفظ القرآن وحفظ ألفية ابن مالك والأُصول ومنهاج الفقه والعُمدة قبل البلوغ ، وتَعَلَّم الفرائض والفقه والنحو والتفسير والأُصول والعربية ، وذكر من شيوخه جلال الدين المَحَلِّي وعَلَم الدين البُلْقيني ، وتقي الدين الشُّمُنِّي ، ومحيي الدين الكافِيَجي ، وعبد القادر العبادي ، وقد جمع أسماء العلماء الذين أخذ عنهم في رسالة سمَّاها «المنجم في المعجم»[٤] ورسالة أخرى سمّاها «حاطب ليل وجارف سيل»[٥] .

وذكر في حسن المحاضرة أنَّه تتلمذ في علم الحديث وَحْدَه على نحو مائة وخمسين شيخاً[٦] . وانقطع للتأليف وعمره أربعون سنة ، وقد جمع ما أَلَّف من كتب في رسالة كتبها بخطه[٧] .

وأشهر مؤلفاته في علوم القرآن والتفسير : تفسير الجلالين ، والإتقان ، والدُّرّ المنثور ، وفي الحديث النبوي وعلومه : كتاب الجامع الصغير ، وفي الفقه : الأشباه والنظائر في فقه الإمام الشافعي ، وفي اللغة : كتاب المُزْهر في اللغة ، وفي النحو : كتاب همع الهوامع ، وفي التاريخ والتراجم والطبقات : كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وتاريخ الخلفاء .

وفي التراجم والطبقات والرحلات : نظم العقيان وطبقات المفسرين وبغية الوعاة . وفي الأدب وتاريخه ومباحثه : ديوان شعره ومقاماته والمستطرف من أخبار الجواري ، وله كتب في التصوف وعلم المنطق والحياة

(٣) نظم العقبان في أعيان الأعيان للسيوطي ص٩٥ .

(٤) مخطوطة في مكتبة جامعة برنستون ، امريكا ، رقم ٥٢ مجموعة جاريت .

(٥) لقط المرجان في أحكام الجان للسيوطي ص١٠ .

(٦) حسن المحاضرة ج١ ص٢٤٠

(٧) فهرست أسماء الكتب التي ألفها السيوطي ، مخطوطة في جامعة ييل رقم ١٤٧أ ، مجموعة لاندبيرج .

الجنسية . وهو في هذه العلوم عالم موسوعي ، يخاله الباحث متخصصاً في كلّ فروع المعرفة ، تتراوح مؤلفاته ما بين الرسائل الموجزة القصيرة ، والمجلدات الضخمة الكبيرة ، وقد ذكر تلميذه ابن اياس في (بدائع الزهور) أنَّ كتب السيوطي بلغت ستمائة كتاب(٨) .

وفاته :

كانت حياة السيوطي وَقْفاً على التأليف ، فقد اعتكف في منزله متصوفاً منقطعاً ليؤلف حشداً هائلاً من المؤلفات في شتى العلوم والفنون حتى وافته المنية في ١٩ جمادى الأُولى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م .

وصف المخطوطتين اللتين عثرنا عليهما :

رجعنا في تحقيق هذه الرسالة إلى مخطوطتين فريدتين :

(١) الأولى ضمن مجموع في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقم ٦٣٧٦ (مجموع السيوطي) منقولة من نسخة بخط تلميذ المؤلف محمد بن علي الداودي ، وعلى المجموع تملُّك لعثمان العقيلي العمري ، وجاءت في إحدى عشرة ورقة ، مسطرتها ١٠× ١٤,٥سم ، في كل صفحة ثلاثة عشر سطراً ، وكتبت بخط نسخي جميل غير مشكول . غير أنَّ الناسخ لم يكن دقيقاً في نقله ، إذْ سقط منه حديث شريف ، وسطر من الفوائد اللغوية ، وكلمات مفردة ، زد على ذلك ما وقع فيه من تصحيف وتحريف ، واتخذنا هذه النسخة أصلاً ورمزنا لها برمز (ش) .

(٢) والثانية في دار الكتب المصرية ، رقم ١٥١٧ (حديث) (خصوصية) لم يذكر على غلافها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ولاتملّكات .

---

(٨) بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩١١ .

وجاءت في ثماني ورقات (ست عشرة صفحة) في الصفحة الواحدة نحو خمسة عشر سطراً مسطرتها ٨× ١٤سم ، وكتبت بخط نسخي نفيس غير مشكول وهي نسخة مشابهة لنسخة دار الكتب الظاهرية من حيث التصحيفات والتحريفات ، غير أنَّها أَتَمَّت ما أَخَلَّت به نسخة الظاهرية ، وليس فيها سقط أوبياض أوحذف . واتخذنا هذه النسخة فرعاً ورمزنا لها برمز (ق) .

هذا الكتاب : منهجه :

استطاع السيوطي في هذا الكتاب أنْ ينقل إلينا بايجاز ما ورد في الرماح في أبواب أربعة :

(١) الأحاديث النبوية التي ذَكَرَت الرماح .
(٢) أسماء الرماح ونعوتها (فوائد لغوية) .
(٣) مُفَاخَرَة الرُّمح والسَّيف : وهي قطعة نثرية جيدة ذكرها الكتبي ، وابن حجر والصفدي وحاجي خليفة ، لمؤلفها علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر السَّعْدي (ت٦١٧هـ) . وليس بين أيدينا نص هذه المفاخرة سوى ما جاء في رسالة (السَّماح في أخبار الرماح) .
(٤) ما قيل في الرُّمح من الأشعار : وهي مختارات من أشعار لمتأخرين ليس لهم دواوين ذائعة .

وفي هذه الأبواب الأربعة استطاع السيوطي أن يخرج عن مناهج العلماء السابقين له الذين عنوا في مثل هذا الموضع بذكر المادة المعجمية فحسب ، فقد أحصى في الباب الأول كلّ الأحاديث النبوية التي ذكرت الرماح . والباب الثاني نقل فيه عن أبي عبيد القاسم بن سلام فصلاً في أسماء الرماح من كتابه الغريب المصنف ، وهذا الكتاب لم ينشر بعد . وقد وجدنا مادة أُخرى لم ترد في الغريب المصنف فجمعناها والحقنا بها هذه الرسالة .

أما الباب الثالث فهو وثيقة عظيمة لاحتوائه على النصّ الكامل لرسالة علي بن محمد السَّعْدي في (المفاخرة بين الرُّمح والسيف) وهذه المفاخرة ضاعت فيما ضاع من كتب التراث .

أما الباب الرابع فقد أورد مختاراتٍ من شعر المُحْدَثين في صفة الرماح ، وأغفل عامداً الشعراء الجاهليين والأُمويين والعباسيين المتقدِّمين .

ويمكن القول إنَّ السيوطي استطاع في هذا الكتاب الموجز أنْ يضع يديه على المصادر الأساسية في «الرِّماح» وهي الحديث الشريف ، والمعاجم ، والنثر الفني ، والشعر . واستطاع أنْ يجمع مادة جديدة ولا سيما في باب الحديث الشريف والنثر الفني أمّا المادة المعجمية فلم يستطع أنْ يضيف شيئاً إلى أبي عبيد ، ومختاراته الشعرية لم تكن موفَّقة لاحتوائها على أَشْعَار غَثَّة ، ولإهمالها الشعر العربي في مرحلة الأَصالة التراثية .

تحقيق الكتاب :

سلكنا في تحقيق هذا الكتاب الخطوات التالية :

(١) قمنا بتخريج الأحاديث الشريفة : والتعريف برجال السند للتثبّت من صدق الرواية وتسلسلها ورجعنا الى مصادر السيوطي التي ذكرها كالاستيعاب لابن عبد البر والحِلْية لأبي نعيم ، والمُصَنَّف لابن أبي شَيْبَة .

(٢) ضبطنا ألفاظ الرماح المذكورة ووثقناها بالعَوْد إلى لسان العرب ، ووجدنا ألفاظاً أُخرى أَخَلَّ بها هذا الفصل فألحقناها في نهاية الرسالة .

(٣) وجدنا مشكلات كبيرة في الرسالة النثرية (مفاخرة بين السيف والرمح) ، فكلا المخطوطتين مُصَحَّفٌ ، ولم نجد المفاخرة في

كتب أُخرى ، لذلك حاولنا قراءة نصّها قراءة قويمة وتصويب ما جاء فيها من سهو وخطأ ، وعَرَّفنا بالرموز التي يُومىء إليها المُؤَلِّف .

(٤) عرّفنا بأصحاب الأشعار ، وَرَدَدْناها الى مصادرها ، وشرحنا الألفاظ الغامضة منها ، وأثبتنا الاختلاف في رواية الشعر .

وبعد :

فهذا كتاب لطيف في موضوع طريف ، حاولنا جهدنا ضبط النصّ وتقويمه وتصحيح ما وقع فيه النُسَّاخ من سَهْو ووَهْم وخَطَأ ، لنقدمه إلى الباحثين في أقرب صورة أرادها المُؤَلِّف ، وقد بذلنا في إخراجه جهداً لا يعلمه إلاّ مَنْ كابَدَ مشقَّة التحقيق العلمي ، وألحقنا به مُعْجَماً لألفاظ الرِّماح ، وفهرساً بالأحاديث الشريفة ، والأعلام ، والشِّعْر . فإن أَصَبْنَا فمن الله التوفيق ، وإلاّ ، فحسبنا نصيب المجتهدين .

رموز النسخ المخطوطة :

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة (ق)

(٢) مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق (ش)

بسم الله الرحمن الرحيم

السماح في أخبار الرِّماح
لخاتمة الحُفَّاظ والمُجْتَهدين
جلال الدين أبي الفضل
عبد الرحمن بن العلامة
كمال الدين
السَّيوطي
الشافعي
رحمه
الله
آمين

غلاف مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله ، وسلامٌ على عِبَادِهِ الذين آصْطَفَى ، هذا جُزْءٌ من الرِّماح ، فيه فَوَائِدُ مِلاح ، وأَخْبَارٌ حِسَانٌ وصِحَاح ، سَمَّيْتُهُ بـ «السَّمَاح في أَخْبَار الرِّمَاح» .

« الفَصْل الأَول »

«ذِكْرُ الأَحَاديث والآثار الوَارِدَةِ في ذلك»

قال ابن أبي شَيْبَة في المُصَنَّف(١) : حَدَّثنا هاشم بن القاسم(٢) ،

---

(١) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العَبْسي الكُوفي المعروف بابن أبي شَيْبَة ، ولد سنة ١٥٩ هـ /٧٧٥م ، وعاش في بغداد ، روى عن عبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح وغيرهما ، وحَدَّث عنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة وغيرهم ، وكان في عمره مُحَدِّثاً ذا شهرة واسعة ، وتوفي سنة ٢٣٥ هـ /٨٤٩م ، له كتاب المُصَنَّف (المسْنَد) . طُبع منه كتاب الرَّدُ على أبي حنيفة من المصنف . دلهي ، ١٣٣٣ هـ ، والنكت الطريفة في التحدث عن ردود ابن أبي شَيْبَة على أبي حنيفة ، لمحمد زاهد الكوثري ، القاهرة ١٣٦٥ هـ ، ومن المُصَنَّف طُبع المجلدان ١ ، ٢ في ملتان ١٣٢٤ هـ ، ثم حققه مختار الندوى في خمسة عشر جزءاً ، وطبعته الدار السلفية في الهند ١٩٨٣م ، انظر ترجمته عند : ابن سعد : الطبقات جـ٦ ص٢٨٨ ، وابن النديم : الفهرست ص ٢٢٩ ، والبغدادي : تاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٦٦ - ٧١ ، وفؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، ترجمة : محمود فهمي حجازي ، طبعة جامعة الإمام ١٩٨٣ ، مج ١ جـ١ ص ٢٠٥ .

(٢) هاشم بن القاسم بن مقسم اللَّيْثي ، أبو النَّضر البغدادي ، روى عن عبد الرحمن بن ثَوْبان =

حَدَّثنا عبد الرحمن بن ثابت[1] ، حَدَّثنا حَسَّان بن عَطِيَّة[2] ، عن أبي مُنِيب الجُرَشيّ[3] ، حَدَّثني عن عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : قال رَسُول الله ﷺ[4] : «إنَّ الله جَعَلَ رِزْقي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وجَعَل الذِّلَّةَ والصَّغَارَ على مَنْ خَالَفَ أَمْري ، ومَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهْوَ مِنْهُم» .

وقال[5] ابن أبي شَيْبَة : حَدَّثنا عيسى بن يُونس عن الأوْزَاعي ، عن سعيد بن جبلة عن طَاوُس ، قال : رَسُول الله ﷺ :

«إنَّ الله يَمْشِي بالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَي السَّاعَة وجَعَل رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وجَعَلَ المَذَلَّةَ والصَّغَارَ على مَنْ خَالَفَني ، ومَنْ تَشَبَّه بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» .

= والأشجعي واللَّيْث ، مات سنة ٢٠٧ هـ . انظر ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) : كتاب تهذيب التهذيب ، مطبعة المعارف النظامية حيد آباد ، الدكن ، الهند ١٣٢٥ هـ ، ج ١١ ص ١٨ .

(١) عبد الرحمن بن ثابت بن ثَوْبَان ، قال ابن حجر : له حديث «جُعِلَ رِزْقي تحت ظل رمحي» وَصَلَه أبو داود من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر ، توفي عبد الرحمن سنة ٣٦٥ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٥١ .

(٢) ق : هشام بن عطية ، والتصويب : حسان بن عطية المحاربي ، روى عن أبي مُنيب الجُرَشي ، وابن المنكدر ، وأبي كَبْشَة السَّلولي وغيرهم ، توفي سنة ١٢٥ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٥١ .

(٣) هو أبو منيب الجرشي ، عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله العتكي المروزي ، انظر : الدولابي ، أبو بشر ، محمد بن أحمد بن حماد (ت ٣١٠ هـ) : كتاب الكنى والأسماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ج ٢ ص ١٣٠ ، وتهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٥١ .

(٤) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) : صحيح البخاري ، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، ١٩٧١ ، الجزء الخامس ، ص ١٠٢ .

ولفظه : عن ابن عُمر عن النبي ﷺ ، قال : جُعِل رِزْقي تحت ظِلّ رُمْحِي ، وجعل الذِّلَّة والصَّغار على مَنْ خَالَفَ أمْري . وهو أيضاً عند النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ) : نهاية الأرَب ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٢ ، جـ ٦ ص ٢١٤ . والتاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ، جـ ٤ ص ٣٢٢ .

(٥) هذا القول إلى نهاية الحديث : سقط من نسخة (ق) .

وقال ابن أبي شَيْبَة : حَدَّثَنَا وَكِيع[1] ، حَدَّثنا سُفْيَان[2] عن أبي إسحق[3] ، عن أبي الخليل[4] ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال[5] : كان المُغِيرة بن شُعْبَة إذا غَزَا مع النَبِيّ ﷺ حَمَلَ مَعَهُ رُمْحاً .

وقال ابن أبي شَيْبَة ، حَدَّثَنا وكيع ، حَدَّثنا مُصْعَب بن سُلَيْم ، سمعت أَنَس بن مالك ، يقول : إنَّ أَبَا مُوسى أَرَادَ أن يَسْتَعْمِلَ البَرَاء بن مالك[6] فأَبَى ، فقال له البَرَاء بن مالك : أَعْطِني سَيْفِي وتُرْسِي ورُمْحِي وقَوْسِي وذَرْنِي إلى الجِهَاد في سبيل الله .

---

(١) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرُّؤاسي ، ولد بالكوفة سنة ١٢٩ هـ ، ٧٤٦ ، كان أحد الأئمة الأعْلام في الحديث ، أراد الرشيد أنْ يولي وكيعاً قضاء الكوفة ، فامتنع لِشِدَّةِ ورعه ، وألف كُتباً كثيرة في علوم الحديث ، وتوفي سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ م ، وأشهر كتبه «المُصَنَّف» الذي اقتبس منه أحمد بن حنبل في مسنده ، جـ ١ ص ٣٠٨ ، وابن حجر في الإصابة جـ ١ ص ٣٣٤ ، انظر ترجمته : ابن سعد : الطبقات جـ ٦ ص ٣٩٤ ، وابن النديم : الفهرست ص ٢٢٦ ، والبغدادي : تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٤٩٦ ـ ٥١٢ ، وفؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي جـ ١ ص ١٧٩ .

(٢) لعله سفيان بن عيينة بن ميمون ، أبو محمد الهلالي ، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥ م ، ونشأ في مكة ، وتوفي بها سنة ١٩٦ هـ / ٨١١ م .

(٣) أبو إسحق ، إبراهيم بن سعد الزهري المدني ، ولد سنة ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م وكان أحد المحدثين المشهورين في المدينة المنورة ، سمع أباه والزهري وغيرهما ، ثم تولى قضاء بغداد وتوفي سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م .
انظر ترجمته : ابن سعد : الطبقات جـ ٧ ص ٣٢٢ ، البغدادي : تاريخ بغداد جـ ٦ ص ٨١ ـ ٨٦ ، والذهبي : ميزان الاعتدال جـ ١ ص ١٧ ـ ١٨ .

(٤) أبو الخليل ، اسمه عبد السلام ، روى عنه زيد بن حباب ، انظر : الكنى والأسماء جـ ١ ص ١٦٥ .

(٥) الحديث في سنن ابن ماجة ، جـ ٢ ص ٣٣٩ ، ورقمه ٢٨٠٩ . وفيه زيادة ، وسنده : حَدَّثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة ، أنبأنا وكيع عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي الخليل عن علي بن أبي طالب قال : كان المغيرة بن شعبة اذا غزا مع النبي ﷺ ، حمل معه رمحاً ، فإذا رَجَع طَرَح رُمْحَه حتى يُحْمَلَ له ، فقال له عليٌّ ، لأذْكُرَنَّ ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : «لا تَفْعَلْ ، فإنَّكَ إنْ فَعَلْتَ لم تَرْفَعْ ضَالَّةٌ» .

(٦) البَرَاء بن مالك بن النَضْر الخَزْرجي (ت ٢٠ هـ) ، قيل إنه قَتَلَ مائة من المشركين مبارزة ، وهو الذي قال فيه الرَّسول «إنْ أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّه ، وكان البراء على ميمنة أبي موسى =

وقال أَبو نَعِيم[1] حَدَّثنا أَحْمَد[2] ، حَدَّثَنَا عبد الله بن صالح البُخَاري[3] عن محمد بن ناصح عن بقيَّة[4] ، عن مَسْلَمة بن علِيّ[5] ، عن عثمان بن عطاء[6] عن أبيه ، عن أبي هُريرة ، قال رسول الله ﷺ[7] : مَنْ اَعْتَقَلَ رُمْحاً في سَبِيْلِ الله ، عَقَلَهُ الله - عَزَّ وَجَلَّ - مِن الذُّنُوب يَوْمَ القِيَامَة .

= الأشعري يوم فتح تُسْتَر ، واستُشْهِد على بابها الشرقيّ ، وقبره بها ، وهو أخو أنس بن مالك . انظر ترجمته وأخباره عند أبي نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) : كتاب حلية الأولياء ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) جـ ١ ص ٣٥٠ ، وابن الجوزي ، جمال الدين (ت ٥٩٧ هـ) : كتاب صفوة الصَّفْوَة ، حققه محمود فاخوري ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٥ م ، جـ ١ ص ٦٢٤ .

(١) هو أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) وكتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، وهو مطبوع في دار الفكر ، بيروت (د.ن) .

(٢) ش : أبو أحمد . وأحمد : هو أحمد بن حنبل ، أما أبو أحمد ، لعله صبيح بن دينار ، أو محمد بن عبد الله بن الزبير لأنهما المشهوران بهذه الكنية ، انظر : الدولابي الكنى والأسماء جـ ١ ص ١١٢ .

(٣) هو عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي (ت ٢١١ هـ) . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٦١ .

(٤) هو بَقِيَّة بن الوليد بن صائد بن كعب بن جرير الكلاعي ، أبو محمد ، روى عنه خلق كثير ، ولد سنة ١١٥ هـ ومات سنة ١٩٧هـ . انظر ترجمته عند ابن حجر العقلاني ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) : تهذيب التهذيب ، مطبعة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٢٥ هـ جـ ١ ص ٤٧٣ .

(٥) مسلمة بن علي بن خلف الخُشَني ، أبو سعيد الدمشقي ، روى عنه الأَعْمَش ، وعبيد الله بن عمر ، وبقية بن الوليد وخلق كثير ، وتوفي بمصر سنة ١٩٠ هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب ، جـ ١٠ ص ١٤٦ .

(٦) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، ولد سنة ٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٥ هـ ، متروك الحديث ، لا يُحْتَجُّ به . ابن حجر : تهذيب التهذيب ، جـ ٧ ص ١٣٨ .

(٧) الحديث ذكره السيوطي في كتاب : جامع الأحاديث للجامع الصغير ، جمعه وحققه : عباس أحمد صقر ، وأحمد عبد الجواد ، مطبعة محمد هاشم الكتبي بدمشق (د.ت) ٦٠ ص ١٠٨ .

وقال ابن أبي شَيْبَة ، حَدَّثَنَا وكيع ، حدثنا الأعْمَش[1] ، عن حكيم بن جُبَيْر[2] عن مُجَاهد عن عُبيد بن عمير[3] قال[4] : يَجِيءُ فُقَراء المُهَاجِرين يَوْمَ القِيَامة ، تَقْطُرُ رِمَاحُهُمْ وسُيُوفُهُمْ دماً ، فيُقَالُ لَهُمْ كَمَا أَنْتُمْ حَتَّى تُحَاسَبُون[5] ، فَيقُولُونَ : هَلْ أَعْطَيْتُمُونَا شيئاً تُحَاسِبُونَا عليه ، فيُنْظَرُ في ذلك فلا يُوْجَدُ إلاَّ أَكْوَارُهم التي هَاجَرُوا عَلَيْهَا ، فَيَدْخُلُون الجَنَّةَ قَبْلَ الخَلْقِ بخَمْسِمِائِةِ عام[6] .

وقال بن أبي شَيْبَة ، حَدَّثنا عَفَّان[7] ، حدثنا حَمَّاد بن سَلَمَة[8] ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طَلْحَة[9] ، عن أنس بن مالك ، قال : جاءت

---

(١) الأعمش ، الإمام المُقْرِىء الراوي سليمان بن مهران ، انظر ترجمته ومروياته عن أبي نعيم في حلية الأولياء ، جـ ٥ ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) في الحلية : حكيم بن حزام ، وفي الحاشية : الاصلان المخطوطان (حكيم بن جبير) جـ ٣ ص ٢٧٢ .

(٣) عبيد بن عمير الكناني الليثي ، انظر ترجمته في الحلية جـ٣ ص ٢٦٦ ، وما بعدها .

(٤) الحديث ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء وسنده : حدثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير ثنا الأعمش ثنا حيكم بن حزام ثنا مجاهد ، ثنا عبيد بن عمير قال : .... الخ . انظر : حلية الأولياء جـ٣ ص ٢٧٢ .

(٥) في الحلية : انتظروا تحاسبوا .

(٦) في الحلية : فيقول الله تعالى : أنا أَحَقُّ مَنْ أَوْفَى وَعْدَهُم ، آدْخُلوا الجَنَّةَ بِسَلام ، قال : فيدخلون قبل الناس بخمسمائة عام .

(٧) هو عفان بن مسلم بن عبد الله الصَّفَّار ، أبو عثمان البصري ، روى عن كثيرين ، منهم حماد بن سلمة ، وروى عنه البخاري ، ووَثَّقه علماء الجرح والتعديل ، ولد سنة ١٣٤هـ ، ومات سنة ٢٠٠هـ . انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب ج٧ ص٢٣٠ وما بعدها .

(٨) حَمَّاد بن سَلَمَة بن دينار البصري ، من الرواة المشهورين ، توفي نحو ١٦٧هـ ، انظر الحلية ج٦ ص٢٥ ، وتهذيب التهذيب ج٣ ص١١ .

(٩) هو إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، زيد بن سهل الأنصاري ، المدني (ت٣٤هـ) كان ثقة كثير الحديث . ترجمته في تهذيب التهذيب ج١ ص٢٤٠ .

هوازن «يوم حنين»[1] بالصِّبْيَان والنِّساء والغَنَم والإبِل ، فَجَعَلُوهَا صُفُوفاً يكثرون على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَلَمَّا التَقَوْا وَلَّى المُسْلمون ، كما قال الله تعالى[2] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعِبَادَ الله : أنا عبدُ الله ورسولُهُ ، ثم قال : يا مَعْشَر المُهاجرين أنا عَبْدُ الله ورسولُهُ ، قال : فَهزَمَ الله المُشْرِكين ولَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ ولَمْ نَطْعَنْ بِرُمْح .

وقال : أبو الرَّبيع السَّمَّان[3] : حَدَّثنا عبد الله بن بشر[4] عن أبي راشد الحُبْرانيّ[5] ، عن عليّ قال : رَأَى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رَجُلاً

---

(١) انظر وقعة حنين في تاريخ اليعقوبي ٢ (بيروت ١٩٦٠م) ص٦٢-٦٤ ، وأحمد عطية الله : يوم حنين ، القاموس الاسلامي ج٢ ص١٧٣ . وفنسنك : مفتاح كنوز السنة ، ترجمة فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٣٤م ، ص١٦٤-١٦٥ . انظر هذا الخبر في كتاب الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج٢ ص٨٣ ـ ٨٤ .

(٢) قال تعالى : (لَقَدْ نصَرَكُمْ الله في مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، ويَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ، وضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِين * ثُمَّ أنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ على رَسولِهِ وعلى المُؤْمِنِين ، وأنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ، وعَذَّبَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا ، وذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِيْن) . سورة التوبة ، آية ٢٥-٢٦ .

(٣) هو أبو الربيع أشعث بن سعيد السَّمَّان ، بصري . انظر الدولابي ، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (ت٣١٠هـ) ، الكنى والأسماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ص١٧٤ .

(٤) عبد الله بن بشر بن التَّيْهَان الرقِّي ، مولى بني يربوع ، قاضي الرقة ، روى عن الأعمش والزهري . انظر تهذيب التهذيب ج٥ ص١٦٠ .

(٥) أبو راشد الحُبْراني ، قيل اسمه أخضر ، وقيل النعمان ، مُقِلّ ، انظر الدولابي : الكنى والأسماء ج١ ص١٧٦ .

بيده قَوْس ، فقال[1] : «عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ وأَشْباهِهَا[2] ورِماحُ القَنَا ، إنَّهُما يُؤَيِّدُ الله لَكُمْ بِهِمَا في الأَرْض» .

وقال ابن أبي شَيْبَة : حَدَّثنا زَيْد بن الحُبَاب[3] ، حَدَثنا حَمَّاد بن سَلَمَة عن علي بن زيد بن جدعان[4] عن الحسن ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الدَّجَّالُ يَخُوضُ البِحارَ إلى رُكْبَتَيْه ، ويَتَنَاوَلُ السَّحَابَ ، ويَسْبِقُ الشَّمْسَ إلى مَغْرِبِها ، وفي جَبْهَتِهِ قَرْنٌ يَخْرُجُ منه الحَيَّاتُ ، وقَدْ صُوِّرَ في جَسَدِهِ السِّلاحُ كُلُّه ، حتَّى ذَكَرَ السَّيْفَ والرُّمْحَ والدَّرَقَ[5] .

وقال أَحْمَد ، حَدَّثنا . . .[6] عن عائشة رضي الله عنها أنه كان في بيتها رُمْحٌ مَوْضوعٌ ، فَقِيلَ لها : ما تَصْنَعِيْنَ بهذا ، فقالت نَقْتُلُ به

---

(١) الحديث في سنن ابن ماجة ، ج٢ ص٩٣٩ ورقمه (٢٨١٠) على هذا النحو : حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة ، أنبأنا عبيد الله بن موسى عن أشعث بن سعيد عن عبد الله بن بشر عن أبي راشد عن علي ، قال : كانت بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوسٌ عربيَّة ، فرأى رجلاً بيده قوس فارسية ، فقال : «ما هذه ؟ أَلْقِها . وعليكم بهذه وأَشْباهها ورماح القَنَا ، فإنها يزيد الله بكم بهما في الدِّين ، ويُمكِّن لكم في البلاد» . وهو عند ابن القيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥١هـ) : كتاب الفروسية . مكتبة عاطف ، القاهرة ، (د.ت) ، ص٢٣ وص٢٦ وص١٣٧ .

(٢) ش : وأشباهها .

(٣) زيد بن الحباب بن الريان الكوفي الخراساني ، سكن الكوفة ، روى عنه ابنا أبي شَيْبَة وعلي بن المديني وغيرهم ، توفي سنة ٢٠٣هـ ، انظر : تهذيب التهذيب ج٣ ص٤٠٢ وما بعدها .

(٤) هو علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي ، أبو الحسن البصري ، أصله من مكة ، روى عنه أنس والحسن البصري والحمّادان ، توفي سنة ١٢٩هـ أو ١٣١هـ . انظر تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٢٤ .

(٥) الدَّرَق : ضَرْبٌ من التِّرَسَة ، الواحدة دَرَقَة ، تُتَّخَذ من الجُلُود ، والدَّرَقَة : الحَجَفَة وهي تُرْسٌ من جُلُود ، ليس فيها خَشَب ولا عَقَب ، والجَمْعُ دَرَق وأَدْراق ودِراق . اللسان ، مادة (درق) .

(٦) في الأصل بياض مقدار سطر واحد ، وكذلك في نسخة (ش) .

الوَزَغ[1] ، فإنَّ النَّبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَخْبَرَنا أنَّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ لمّا أُلْقِيَ في النَّار ، لَمْ يَكُنْ في الأَرْضِ دابَّةٌ إلاّ أَطْفَأَت عَنْهُ النَّار غَيْرَ الوَزَغ ، فإنَّها كانَتْ تَنْفُخُ عليه ، فأَمَرَ صلى الله عليه وسلم بِقَتْلِهَا .[2]

وقال الخطيب في رواية مالك ، أخبرنا الحسن بن أبي بكر ، أنبأنا دَعْلَج بن أحمد[3] ، أَنْبَأنا هرون بن يوسف بن زياد ، أنبأنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن ، وهو المخزومي[4] [و] يُعْرَف بابن زَبَالَة ، حَدَّثنا مالك بن أنس عن هشام به عروة[5] عن أبيه عن عائشة ، أنَّها قالت : «كُلُّ البِلاد فُتِحَتْ بالسَّيْفِ أو الرُّمْح ، وافْتُتِحَتِ المَدينَةُ بالقُرْآن» .

---

(١) الوَزَغ : دُوَيْبة ، وقيل : هي أُمُّ بُرْص . قال ابن سيدة الوَزَغَة : سامُّ أبْرص ، والجمع وَزَغ وأَوْزاغ ووِزْغان وإزْغان . وفي الحديث إنَّه أَمر بقتل الأَوْزاغ . وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ لمّا احترق بيت المَقْدِس كانت الأَوْزاغ تَنْفُخُه . وفي حديث أم شريك أنّها استأمرت النبي (ﷺ) في قتل الوِزْغان فأَمَرَها بذلك . اللسان مادة (وزغ) .

(٢) الحديث في سنن ابن ماجة ، ج٢ ص١٠٧٦ ورقمه (٣٢٣١) . وسنده : حدثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة ، حدثنا يونس بن حازم عن نافع عن سائبة مولاة الفاكه بن المغيرة : أنَّها دخلت على عائشة ، فَرَأت في بيتها رُمْحاً موضوعاً ، فقالت : يا أم المؤمنين ، ما تَصْنَعين بهذا ؟ قال نَقْتُلُ به هذه الأَوْزاغ . فإنَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم ، أخبرنا أنَّ إبراهيم لمّا أُلْقِي في النار لم تكن في الأرض دابَّةٌ إلاّ أَطْفأَت النار غير الوَزَغ ، فإنها كانت تَنْفُخ عليه . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بِقَتْلِهِ .

(٣) دَعْلَج بن أحمد بن دَعْلَج ، أبو محمد السجستاني البغدادي ، ولد سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م ، سمع الحديث بخراسان والري وبغداد والبصرة والكوفة ومكة ، وجاور بمكة وسكن بغداد ، وكان ثقة ثبتاً ، توفي في بغداد سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م . انظر البغدادي : تاريخ بغداد ج٨ ص٣٨٧ ـ ٣٩٢ .

(٤) محمد بن الحسن بن زَبَالة ، جده أبو الحسن ، مخزومي مدني ، روى عن مالك وسليمان بن بلال وغيرهما ، قال معاوية بن صالح ، قال لي ابن معين محمد بن الحسن الزَّبالي ، والله ما هو بِثِقَة ، حَدَّث عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة مرفوعاً : «فُتِحَت المَدِينةُ بالقُرْآن وفُتِحت البلاد بالسيف» . ضَعَّفَه العلماء واتَّهَموه بالوَضْع . تهذيب التهذيب ، ج٩ ص١١٦ .

(٥) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، من الثقات ، مُتْقِناً ، وَرِعاً ، حافظاً ، ولد سنة ٦١هـ ومات سنة ١٤٦هـ . انظر تهذيب التهذيب ، ج١١ ص٤٩ وما بعدها .

وقال : أَخْبَرَنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن الحسين المَحَامِلِي ، قال : وَجَدْتُ في كتاب جَدِّي القاضي أبي عبد الله الحسين[1] ابن إسماعيل المَحامِلِي بِخَطِّ يَدِهِ ، حَدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار ، حَدَّثني محمد بن الحسن المَخْزومي ، ومحمد بن يحيى بن عبد الحميد[2] [بن عُبَيْد] بن غسان[3] ، عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة[4] عن أبيه ، عن عائشة قالت : كُلُّ البِلادِ فُتِحَتْ بالسَّيْفِ والرُّمْح ، وفُتِحَت المَدينةُ بالقُرْآن .

وفي الاستيعاب لابن عَبْد البَرّ في ترجمة «أُسَيْد بن الحُضَيْر»[5] قال : جَاءَ عامرُ بن الطُّفَيْل وأَرْبَد[6] إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَسْألانه أَنْ يَجْعَلَ لَهُما نَصِيباً مِنْ تَمْرِ المَدينة ، فأَبَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال عامر بن الطُّفَيْل : لَأَمْلَأَنَّها عَلَيْكَ خَيْلاً جُرْداً ، ورِجالاً

---

(١) هو أبو عبد الله ، الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الضَّبِّي المَحَامِلِي ، ولد سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م . سمع الحديث في بغداد ، وكان عالماً بالفقه . ولي القضاء ستين عاماً في الكوفة وفارس حتى سنة ٣٢٠هـ ، وتوفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م . انظر ترجمته عند : ابن النديم : الفهرست ، ص٢٣٣ ، البغدادي : تاريخ بغداد ج٨ ص١٩-٢٣ ، وسزكين : تاريخ التراث العربي ج١ ص٣٥٧ . ق : عبد الله الحبر بن اسماعيل .

(٢) هو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد بن عبيد بن غسان بن يسار الكناني ، أبو غسان المدني ، وُصف بأنه ثقة ، له علم ونباهة في الحديث والأدب والتفسير . انظر : تهذيب التهذيب ج٩ ص٥١٧ .

(٣) ق : عبد الحميد أبو غسان .

(٤) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، سبقت الإشارة إليه .

(٥) أُسَيْد بن حُضَيْر بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي . يُكْنَى أبا عيسى وأبا عتيك وأبا الحضير ، وأبا الحصين وأبا يحيى . وكان أسيد بن حضير أحد العقلاء ، الكَمَلَةِ من أهل الرَّأي ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة ، وكان أسيد بن حضير من أحسن الناس صَوْتاً بالقرآن ، وحديثه في استماع الملائكة قراءته حين نفرت فرسه ، حديث صحيح .

(٦) في الاستيعاب : زيد .

مُرْداً . فقال النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللَّهُمَّ اكْفِنِي عامر بن الطُّفيل ، فأَخَذَ أُسيد بن الحُضَيْر الرُّمْح ، وجَعَلَ يَقْرَعُ رُؤُوسَهُما ، ويقول : اخْرُجا أَيُّها الهِجْرِسَان(١) .

(الفصل الثاني)
«فوائد لغوية»

وفي الغريب المُصَنَّف لأبي عُبَيْد(٢) ، قال الأَصْمَعِي : مِن الرِّمَاح

---

(١) ق : بياض رسمت (سان) وقبلها بياض .

* الخبر في الاستيعاب : وذكر إسماعيل بن إسحاق قال : حدثنا نصر بن علي قال : حدثنا الأصمعي ، قال حدثنا أبو عطارد ، ومات قبل ابن عون ، قال : جاء عامر بن الطفيل ، وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم ، فَسَأَلاه أَنْ يَجْعَلَ لهما نصيباً من تمر المدينة ، فأخذ أُسَيْد بن حُضَيْر الرُّمْح ، فَجَعَلَ يقرع رُؤُوسهما ، ويقول : اخْرُجا أَيُّها الهِجْرِسان ، فقال عامر من أنت ؟ قال : أنا أُسَيْد بن حُضَيْر ، قال حُضَيْر الكَتَائب ؟ قال نعم ، قال : كان أبوك خيراً منك . قال : بل أنا خير منك ومن أبي ، مات أبي وهو كافر . فقلت للأصمعي : ما الهِجْرِس ؟ قال : الثَّعْلَب . انظر الاستيعاب ج١ ص٩٤ .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سَلَّام الهَرَوي ، أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد وعن ابن الأعرابي والكسائي ، توفي بمكة سنة ٢٢٣هـ . انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ، ص٢٦٧ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ج٨ ص٣١٥ ـ ٣١٨ .

وأشهر كتبه غريب الحديث وغريب المصنف ، ويقال إنه قضى في تأليف الكتاب الثاني أربعين سنة ، وهو يشتمل على ألف باب ، ومائتين وألف شاهد ، وهو أول معجم عربي مرتب على الموضوعات مثل كتاب المخصص لابن سيده . انظر وصفه ومخطوطاته في بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج٢ ص١٥٦ ـ ١٥٧ ، وقام الدكتور رمضان عبد التواب بتحقيقه ولم ينشر بعد ، والنص المذكور جاء في كتاب السلاح لأبي عبيد القاسم بن سلام ، حققه الدكتور حاتم الضامن ، ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت ١٩٨٥ م ، وهو الباب الثاني من الكتاب واسمه باب الرماح والأَسِنَّة ، وأوّله ، قال الأصمعي : من الرِّماح

الأَظْمَى(1) وهو الأَسْمَرُ ، والعَرَّاتُ(2) والعَرَّاصُ(3) : وهو الشَّديد الاضْطِراب(4) . والخَمَّان(5) : الضَّعِيف ، وكذا الرَّاشُ(6) . والمِنْجَل(7) :

= الأَظْمَى . . . وينقل عن أبي عبيدة وأبي عمرو والأصمعي واليزيدي إلى قوله : وقال غيره : المُدَاعِس : الصُّمُّ من الرماح ، قال : هي التي يُدْعَسُ بها .

انظر : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٣هـ أو ٢٢٤هـ) كتاب السلاح : ص١٩ وما بعدها .

وكتاب السلاح أحد أبواب «الغريب المصنف» الضخم . قال ابن منظور : الوادق الحديد ، وحكاه أبو عبيد في باب الرماح وهو غَلَط ، وإنَّما هو سَيْفٌ وادِقٌ . اللسان ، مادة (ودق) .

وقال حاتم الضامن : إن كتاب السلاح هو فصل من كتابه الكبير الموسوم بـ«الغريب المصنف» الذي ما زال مخطوطاً ، والذي مكث في تأليفه أربعين سنة . انظر مقدمة كتاب السلاح ، ص١٢ . وقد حقق الدكتور رمضان عبد التواب أنَّ كتاب «ما خالفت العامة فيه لغات القبائل» هو فصل آخر من كتاب الغريب المصنف ، انظر : لحن العامة والتطور اللغوي لرمضان عبد التواب ، ص١٢٠ .

وهذه الفوائد اللغوية ذكرها الثعالبي ، أبو منصور إسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ) في كتابه فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ص٢٥١ و٣٣٨ .

(1) رُمْحٌ أَظْمَى : أَسْمَر . الأصمعي : من الرماح الأَظْمى غير مَهْمُوز ، وهو الأسْمَر . وقَنَاةٌ ظَمْياء بَيِّنَة الظَّمَى (منقوص) . اللسان ، مادة (ظما) .

(2) ش : العران .

وكتاب السلاح : العَرَّات (بالتاء) ، وفي اللسان : رُمْحٌ مُعَرَّن : مُسَمَّر السِّنَان . قال الجوهري : مُعَرَّن : إذا سُمِّرَ سِنَانُهُ بالعِرَان ، وهو المِسْمَار . اللسان ، مادة (عرن) .

(3) رُمْحٌ عَرَّاص : لَدْنِ المَهَزَّة إذا هُزَّ اضْطَرَب ، وكذلك السَّيف ، قال الشاعر : «مِنْ كُلِّ أَسْمَرَ عَرَّاصٍ مَهَزَّتُهُ» اللسان ، مادة (عرص) . ق : العراض (وهو تصحيف) .

(4) في كتاب السلاح زيادة : «وقد عَرِتَ يَعْرَتُ وعَرِصَ يَعْرَصُ .

(5) الخَمَّان من الرماح : الضَّعيف ، يقال : رُمْحٌ خَمَّان ، وقَنَاة خَمَّانة . اللسان مادة (خمن) . وفي كتاب السلاح زيادة : «وقناة خَمَّانَة» .

(6) رمح رَاشٍ ورائِشٌ : خَوَّار ضَعِيف ، شُبِّه بالرِّيش لخِفَّتِه ، والسَّهْم الرَّائِش : ذو الريش ، رِشْتُ السَّهْم أَرِيشُهُ ، وفلان لا يَرِيْشُ ولا يَبْرِي : أي لا يَضُرُّ ولا يَنْفَع .

(7) نَجَلَهُ بالرُّمح يَنْجُلُه نَجْلاً : طَعَنَهُ وأَوْسَعَ شَقَّه ، وطَعْنَةٌ نَجْلاء : واسعة بَيِّنَة النَّجْل ، وسِنَانٌ مِنْجَل : واسع الجُرْح . اللسان ، مادة (نجل) .

الواسع الجُرْح . أبو عبيدة[1] : الرُّمْحُ العَاتِر[2] : المُضْطَرب . وكذا العَاسِل[3] . أبو عَمْرو[4] والوَشِيج[5] : واحِدَتُها وَشِيْجَة . الأَصْمَعي : القَارِيَة من السِّنَان[6] : أعْلاه . والجُبَّة[7] : ما دَخَلَ فيه الرُّمْحُ من السِّنان ، والثَّعْلَب[8] : ما دَخَلَ من الرُّمح في جُبَّة السِّنان . والعَامِل[9] : أَسْفَل من ذلك . . والجَلْز[10] من السِّنان : القاطِع[11] ، وكذا اللَّهْذَم[12] . والمِنْجَل :

---

(١) هو مُعَمَّر بن المثنَّى ت٢١٢هـ (المعارف لابن قتيبة ٥٤٣ ومراتب النحويين ص٤٤) .

(٢) عَتَرَ الرُّمح يَعْتِرُ عَتْراً وعَتَرَاناً : اشْتَدَّ واضْطَرَب واهْتَزَّ ، وقال «كُلُّ خَطِّيٍّ إذا هُزَّ عَتَرْ» ، والرُّمْح العَاتِر : المضطرب ، مثل العَاسِل ، وقد عَتَر وعَسَل وعَرَتَ وعَرَص . اللسان ، مادة (عتر) .

(٣) في كتاب السلاح زيادة : «وقد عَتَرَ وعَسَلَ» . وانظر اللسان ، مادة (عسل) و«عتر» .

(٤) إسحق بن مرار الشيباني ، لغوي كوفي ت٢٠٥هـ ، انظر معجم الأدباء ج٦ ص٧٧ .

(٥) أصل الوَشِيج : شَجَر الرِّمَاح ، ومنه سُمِّي عامة الرِّماح ، واحدتها وَشِيْجَة ، وقيل : هو من القَنَا أصْلَبُهُ .

(٦) القَارِيَة : حَدُّ الرُّمح والسَّيْف وما أَشْبَه ، وقيل : قَارِيَةُ السِّنان : أعلاه وحَدُّه . اللسان ، مادة (قرا) . ق : مصحفة إلى الفارئة .

(٧) الجُبَّة : من أسماء الدِرْع ، وجمعها جُبَبٌ ، والجُبَّة من السِّنان ، الذي دخل فيه الرُّمح ، والثَّعْلَب : ما دخل من الرُّمح في السِّنان ، وجُبَّةُ الرُّمح : ما دخل من السنان فيه . اللسان مادة (جبب) .

(٨) ش : سقطت الجملة : (ما دخل فيه الرمح من السنان والثعلب) انظر : اللسان ، مادة «ثعلب» .

(٩) عَامِل الرُّمح وعَامِلَتُهُ : صَدْرُهُ دون السِّنان ، ويجمع على عَوَامِل ، وقيل عَامِل الرُّمح : ما يلي السِّنان ، ويُجْمع على عوامل ، وقيل عَامِل الرمح : ما يلي السِّنان وهو دون الثَّعْلَب . اللسان ، مادة (عمل) .

(١٠) الجلز والجِلاز : العَقَب المَشْدُود في طَرَف السَّوْط ، والجَلائِز : عَقَبات تُلْوَى على كل موضع من القَوْس ، واحدتُها جِلاز وجِلازة ، وجَلْز السِّنان : أغْلَظه ، وجَلْز السِّنان : الحَلْقَة المُسْتَديرة في أسفله ، وقيل : جَلْزُهُ : أعلاه ، وقيل لأغْلَظ السِّنان جَلْزٌ . اللسان ، مادة (جلز) .

(١١) السلاح زيادة «والجَلْزُ من السِّنان إنما أُخِذ من جَلْز السَّوْط وهو مُعْظَمه ، وأصْل الجَلْز الطَّيُّ والَّليُّ» .

(١٢) سيف لَهْذَمٌ : حادٌ ، وكذلك السِّنان ، واللَّهْذَم : كُلُّ شيء من سِنان أو سَيْف قاطع . اللسان (لهذم) . ق : مصحفة إلى «اللهزم» بالزاي .

الواسع الجُرْح . اليَزيديّ[1] : أَزْجَجْتُ الرُّمْح ، جَعَلْتُ فيه الزُّجّ[2] وزَجَّجْتُ الرَّجُلَ : طَعَنْتُهُ بالرُّمح . وسَنَّنْتُ الرُّمح[3] : رَكَّبْتُ فيه السِّنان . وأَسْنَنْتُ السِّنان : حَدَّدْتُهُ ، مِثْلُهُ بغير أَلِفٍ[4] ، غيرُهُ : الثَّلِبُ[5] : الرُّمح المُثَلَّم . والصَّدْق[6] : المُسْتَوي . [والوادِقُ : الماضي الضَّرِيْبَة][7] . والوَدَاق[8] : الحَدِيد ، والمَدَاعِس[9] : الصُّمُّ من الرِّماح .

---

(١) اليزيدي ، محمد بن العباس ، أبو عبد الله ، استُدعي إلى تعليم ولد المقتدر بالله فلزمهم مدة ، توفي سنة ٣١٠هـ وله من الكتب : مختصر نحو ، كتاب الخيل ، كتاب مناقب بني العباس ، كتاب أخبار اليزيديين ، انظر ترجمته في الفهرست ، ص٥٦ ـ ٥٧ .

(٢) الزُّجُّ : زُجُّ الرُّمح والسَّهْم ، وهو الحَديدة التي تُرَكَّبُ في أسْفَل الرُّمح ، والسِّنان يُرَكَّبُ عَالِيَتَه ، والزُّجُّ تُرْكَزُ به الرُّمح في الأرض ، والسِّنان يُطْعَنُ به . والجمع أَزْجاج وأَزِجَّة وزِجَاج وزِجَجَةٌ . وأَزَجَّ الرُّمح وزَجَّاه : رَكَّبَ فيه الزُّجَ . وازْجَجْتُهُ فهو مُزَجٌّ ، والزُّجُّ ليس يُطْعَنُ به ، إنّما الطَّعْنُ بالسِّنان . اللسان ، مادة (زجج) .

(٣) سِنانُ الرُّمح : حديدته لصَقَالتها وملاستها ، وسَنَّن الرمح : رَكَّبَ فيه السِّنان ، وأَسْنَنْتُ الرمح : جعلتُ له سِنانا ، وهو رمح مُسَنٌّ ، وسَنَنْتُ السِّنان أَسُنُّهُ سَنّاً فهو مَسْنون : إذا أَحْدَدْتُهُ على المِسَنّ (بغير ألف) ، وسَنَنْتُ فلاناً بالرُّمح : إذا طَعَنْتُهُ به ، وسَنَّه يَسُنُّهُ سَنّاً : طَعَنَهُ بالسِّنان ، وسَنَّن إليه الرمح تَسْنيناً : وجَّهه إليه . اللسان ، مادة (سنن) .

(٤) أي أَسْنَنْتُهُ وسَنَنْتُهُ . وفي السلاح : «أَسْنَنْتُ السِّنان : حَدَّدته» .

(٥) في الأصل الثُّلُثُ ، والصواب ثَلِب ، يقال رمح ثَلِبٌ : مُتَثَلِّم . قال أبو العيال الهذلي :

ومُطَّرِدٌ من الخَطِّيِّ (م) لا عارٍ ولا ثَلِبُ .

اللسان ، مادة (ثلب) وكذلك السلاح ص٢٠ .

وأما الثُّلُث : فهو سهم من ثلاثة . اللسان ، مادة (ثلث) .

(٦) الصَّدْق (بالفتح) : الصُّلْب من الرماح وغيرها ، ورمح صَدْق : مُسْتَوٍ ، وإنما الصَّدْق : الجامع للأوصاف المَحْمودة ، والرمح يوصف بالطول واللين والصلابة . اللسان ، مادة (صدق) .

(٧) في (ق) و(ش) «الوادق : الحديد» وفي النص سقط بَيِّن ، والصواب : «والوادِقُ : الماضي الضريبة ، والوَدَاق : الحديد» . وفي السلاح : (والوَادِقُ : الحديد) .

(٨) وَدَقَ السَّيْفُ : حَدُّ . وأنشد بيت أبي قيس «صَدْقٍ حُسَامٍ وَادِقٍ حَدُّهُ» . قال ابن سيده : وحكاه أبو عبيد في (باب الرماح) وهو غلط وإنما هو سيف وَادِقٌ . اللسان ، مادة (ودق) . وانظر كتاب السلاح لأبي عبيد ص٢٠ وفيه بيت أبي قيس بن الأسلت .

(٩) المِدْعَس من الرِّماح : الغليظ الشديد ، وهو الرمح يُدْعَسُ به أي يُطْعَنُ ، والمِدْعَس

والخُرْص[1] : السِّنان ، والخَطِّيُّ : منسوبٌ إلى أرضٍ يُقال لها الخَطّ[2] . والرُّدَيْنِيُّ[3] : مَنْسوب إلى امرأةٍ يُقال [لها] رُدَيْنَة ، تُبَاعُ عندها الرِّماح .

أبو عَمْرو : صَدْق : صُلْب . والوَشِيْجُ : نَبَات الرِّماح . والمُرَّان[4] : مِثْلُهُ ، والسَّمْهَرِيَّةُ[5] : مَنْسوبة [إلى سَمْهَر][6] ، وفي القاموس[7] . السَّمْهَرِيُّ : الرُّمح الصُّلب ، والمَنْسوب إلى سَمْهَر زَوْج رُدَيْنَة[8] ، وكانا مُثَقِّفَيْنَ للرِّماح[9] ، أو إلى قَرْيَة بالحَبَشَة ،

= والمَدَاعِس : الصُّمُّ من الرِّماح ، حكاه أبو عبيد ، دَعَسَه بالرمح يَدْعَسُهُ دَعْساً : طَعَنَه . اللسان ، مادة (دعس) .

(١) الخُرْصُ ، بسكون الراء وضمها : سِنان الرمح ، وقيل هو ما علا الجُبَّة من السِّنان ، وقيل : هو الرمح نفسه . والخَرِيص أيضاً : السنان والخِرْصَان أصلها القضبان ، والخِرْص : نصف السنان الأعلى إلى موضع الجُبَّة ، والمَخَارِص : الأسِنَّة أيضاً ، وأصل الخُرْص (بضم الخاء وفتحها وكسرها) : الجريد من النخل . اللسان ، مادة (خرص) .

(٢) انظر البكري : معجم ما استعجم ص٥٠٣ وياقوت : معجم الأدباء ج٢ ص٣٧٨ .

(٣) الجوهري : القَنَاة الرُّدَيْنِيَّةُ والرُّمح الرُّدَيْنِيُّ ، زعموا أنه منسوب إلى امرأةِ السَّمْهَرِيّ ، وتُسَمَّى رُدَيْنَة ، وكانا يُقَوِّمان القَنَا بخَطِّ هَجَر ، ومن كلام بعضهم : خَطِّيَّةٌ رُدْن . اللسان ، مادة (ردن) .

(٤) المُرَّانُ : الرِّماح الصُّلبة اللَّدْنَة ، واحدتها مُرَّانة ، وقال أبو عبيد : المُرَّان : نَبَات الرماح ، وسُمِّي القَنَا المُرَّان لِلِيْنِه . اللسان ، مادة (مرن) .

(٥) السَّمْهَرِيُّ : الرمح الصَّلِيب العود ، يقال : وَتَرٌ سَمْهَرِيٌّ كالسَّمْهَرِيّ من الرماح ، والسَّمْهرية : القَنَاة الصُّلْبة منسوبة إلى سَمْهَر رجلٌ كان يبيع الرِّماح بالخَطّ ، وامرأته رُدَيْنَة . اللسان ، مادة (سمهر) .

(٦) سقطت من الأصل في (ق) و(ش) .

(٧) انظر القاموس المحيط ، مادة (سمهر) .

(٨) هذه الزيادة لم تَرِد في كتاب أبي عبيد (السلاح) وجاء بعدها زيادة لم ترد هنا ، وهي قوله : واليزنية منسوبة الى ذي يزن . . . . وأول من عمل السِّياط . . . وأول من عمل القِسِيّ . . . وأول من عمل الرِّحال عِلاف . . . وأول من عَمَل الحديد . . .

(٩) ثَقَّفَ الرُّمح : وَضَعَه في الثِّقاف فَعَدَّله ، والثِّقاف : حديدة تكون مع القَوَّاس والرَّمَّاح يُقَوِّم بها الشيء المِعْوَجّ ، وقيل : هي خَشَبة قويَّة قدر ذراع في طرفها خَرْق يَتَّسع =

والأَسَل[1] : الرِّماح . والقَناةُ[2] : الرُّمح ، وكذا الخُرْص مثلُهُ . والمُخْرِص ، والمِغْوَل[3] لكَتِف الرُّمْح الطَّويل ، وكذا الغَابَة[4] . والنَّيْزَك[5] : الرُّمح القصير .

والمِتَلُّ[6] : القَويُّ المُنْتَصِب من الرِّماح ، والمِزْجَلُ[7] : الرُّمْح الصغير ، وقيل : السِّنان .

والخِرْصُ بالكسر : الرُّمح اللَّطيف . ورُمْحٌ مُعَرَّنٌ[8] : مُسَمَّرٌ سِنَانُهُ ، والمَارِنُ[9] : مالاَنَ من الرِّماح . والعَرَّاص[10] : الرمح اللَّدْنُ .

للقوس ، وتدخل فيه على شُحُوبتها فتَسْوَّى ، ولا يُفْعَل ذلك بالقِسِيّ ولا بالرماح إلاّ مَدْهُونة مَمْلُولة أو مَضْهوبة على النار مُلَوَّحة . اللسان ، مادة (ثقف) .

(١) أصل الأَسَل : نَبَاتٌ يَخْرُجُ قُضْباناً مستوية ، وإنَّما سُمِّي القَنَا أَسَلاً تشبيهاً بطوله واستوائه ، والأسل : كل ما أُرِقَّ من الحديد وحُدِّد من سيف أو سِكِّين أو سِنان ، وقيل : الأَسَل : الرِّماح والنَّبل ، وقيل للقَنَا أَسَل لما رُكِّب فيها من أطراف الأسِنَّة . اللسان ، مادة (أسل) .

(٢) القَنَاةُ : الرُّمح ، والجمع قَنَوات وقَناً وقُنِيٌّ ، وقيل كل عصاً مستوية فهي قناة ، وقيل : كل عصا مستوية أو معوجة فهي قناة ، وقيل : القناة من الرماح : ما كان أَجْوَف كالقَصَبَة .

(٣) في (ق) و(ش) (الغرل) وهو تحريف ، والصواب «المِغْوَل» وهو نصل طويل قليل العرض ، وقيل هو شبه السيف ، يَشْتَمِل به الرَّجُل تحت ثيابه ، وقيل : هي حديدة دقيقة لها حَدٌّ ماضٍ ، وقيل : سوط في جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ليغتال به الناس . اللسان ، مادة (غول) .

(٤) الغَابَة من الرماح : ما طال منها ، وقيل المضطربة ، وقيل الرماح إذا اجتمعت . اللسان ، مادة (غبب) .

(٥) ق : مصحفة الى : اليزك .

والنَّيْزَك : الرمح الصغير ، وقيل : هو نحو المِزْراق وقيل : هو أَقْصَر من الرمح ، فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ، والنيزك له سنان وزُجٌّ ، والعُكاز له زُجٌّ ولا سِنان له . اللسان ، مادة (نزك) .

(٦) اللسان ، مادة (متل) .

(٧) اللسان ، مادة (زجل) .

(٨) المُعَرَّن : الذي سُمِّر سِنانه بالعِران وهو المِسْمار . اللسان ، مادة (عرن) .

(٩) انظر اللسان ، مادة (مرن) .

(١٠) رمح عَرَّاص : لَدْن المَهَزَّة ، إذا هُزَّ اضْطَرب ، وكذلك سيف عَرَّاص . اللسان ، مادة (عرص) .

والنَّجِيْصُ والمَنْحُوصُ[1] . الرمح المُنْتَصِبُ .

« الفصل الثالث »

«مُفَاخَرَةُ بَيْنَ الرُّمْحِ والسَّيْفِ»

أَنْشَأَ الكَاتِبُ عَلاَءُ الدِّين عليُّ بن القَاضِي ، فَتْح الدِّين مُحَمَّد بن القاضي مُحْيِي الدِّيْن ، عبد الله بن عبد الظَّاهِر[2] ، قال : بَعَثْتُ إلَيْكَ رِسَالَتِيْ وفي ذِهْنِي أَنَّكَ الكَمِيُّ الذي لا يُجَارِيْكَ[3] نِدٌّ ، والشُّجَاعُ الذي أَظْهَرَ حُسْنَ الائْتِلاَم[4] لو شَكَّ[5] الضِّدَّ ، والبَطَلُ المَنِيْعُ الجار ، والأَسَدُ الذي لَكَ الأَسَلُ وِجَار[6] ، والبَاسِلُ الذي كَرَّ[7] لحُمْر الغُمُود[8] بتَجْرِيْدِكَ

---

(١) في (ق) و(ش) النُشيص والنُشوص وهو تحريف ، ولعل الصواب : المِشْقَص وهو السهم العريض النصل ، وهو من النصال : الطويل أو النَجِيْصُ والمَنْحوص . السِّنان والنَّصْل المُرَقَّق المُحَدَّد . اللسان ، مادة (شقص) و(نحض) .

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجُذَامي المصري السَّعْدي، من كبار البلغاء ، كان جواداً وبيته مجمع الأدباء ، مدحه شعراء عصره كالشهاب محمود وابن نباتة المصري ، وكتب في الدواوين المنصورية ، ولد سنة ٦٧٦ هـ وتوفي سنة ٧١٧ هـ وترك نظماً حسناً ونثراً جميلاً ، له رسالة مراتع الغزلان في وصف الغلمان ، والمفاخرة بين السيف والرمح ، وله شعر حسن ، انظر ترجمته في : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت (د.ت) ج ٣ ص ١٠٩ - ١١٠ . والكتبي محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ) فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج ٢ ص ٣٨١ . والصَّفدي : الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٣ . وحاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٧٥٨ . وكحالة : معجم المؤلفين ج ٧ ص ٢١٢ .

(٣) ق : يحار بك .

(٤) ش : الابتلاء .

(٥) ق : يوشك .

(٦) الوجار : جُحْر الضبع والأسد .

(٧) ق : كم .

(٨) ق : الغود .

عَنْ وُجُوه البِيْضِ آنْحِسَار . ولَكَ مَعْرِفَةٌ في الحَرْبِ ولَأْمَاتِهَا[1] . والشَّجَاعَةِ [و][2] آلاتِها . وإليك في أَمْرِهَا التَّفْضِيْل ، ولَدَيْكَ عِلْمٌ ما لِجُمْلَتها من تَفْصِيل ، وها هي احتوت على المُفَاضَلة بين الرُّمْح والسَّيْف ، ولم تَدْرِ بعد ذلك كَيْف .

فإنَّ السَّيْفَ قد شَرَعَ يَتَقَوَّى بِحَدِّهِ ، ولا يَقِفُ في مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ عند حَدِّهِ ، والرُّمْحُ يَتَكَسَّرُ[3] بأَنَابِيْبِهِ ، ويَسْتَطِيْلُ بلِسَانِ سِنَانِهِ ، ولم يَثْنِ في وَصْفِ نَفْسِهِ فَضْلَ عِنَانِهِ ، وقد أَطْرَقْتُهُمَا حِمَاكَ لِتَحْكُمَ بينهما بالحَقّ السَّوِيّ ، وتُنْصِفَ بين الضَّعِيف والقَوِيّ .

أمَّا السَّيْفُ فإنَّهُ يقولُ : أَنَا الذي لِصَفْحَتِي[4] العَرَر ، ولحَدِّي العَرَار[5] ، وتحت ظِلاَلِي في سبيل الله الجَنَّة ، وفي أَظْلاَلِي على الأعداء النار ، ولي البُرُوق التي هي للبَصَائِر لا الأَبْصَار خَاطِفَة ، وطَالَمَا طَلَعْتُ فَسَحَّتْ[6] سُحُبُ النَّصْر وَاكِفَة ، ولي الجُفُون التي مالها غير نَصْرِ الله من بَصَر[7] ، وكَمْ أَغْفَتْ فَمَرَّ بها طَيْفٌ من الظَّفَر ، وكَمْ بَكَتْ على الأَجْفَان لمَّا تَعَوَّضت عَنْهَا الأَعْنَاق غُمُودًا ، وكَمْ جَلَبَت الأماني والمَنَايَا سودا ، وكَمْ أَلْحَقَتْ رَأْساً بِقَدَم ، وكَمْ رَعَتْ[8] في خَصِيْب[9] نَبْتُهُ اللِّمَم .

---

(١) ق : لامانتها ، وهو تصحيف ، والصواب : لَأْماتها ، واللَّأْمة : أداة الحرب ، والدِّرع ، اللسان (لأم) .
(٢) سقطت (الواو) من (ق) و(ش) .
(٣) ق : يتكثر .
(٤) ق : لصحفتي .
(٥) العَرَر : الجَرَب ، والعَرَار : القَوَد . اللسان ، مادة (عرر) .
(٦) ق : فسنحت .
(٧) ق : نصر .
(٨) ق : رعبت .
(٩) الخصيب : الزرع المُخْصِب .

وكَمْ جَاءَ النَّصْرُ الأَبْيَض لَمّا أَسَلْتُ النَّجِيعَ[1] الأَحْمَر ، وكَمْ أَجْتَنِي ثَمَرَ التَّأْيِيد مَنْ خَرْقِ[2] حَدِيدِي الأَخْضَر ، وكَمْ مِنْ آيةٍ ظَفَرٍ تَلَوْتُهَا[3] لَمَّا صَلَّيْت ، واتَّقَدَ طِيْبُ فِكْرِي فَأَصْلَيْت[4] ، فَوَصْفِي هو كِتَابي[5] المَنْثُور[6] ، وفَضْلِي هو المَأْثُور. فهل يَتَطَاوَلُ الرُّمْحُ إلى مُفَاخَرَتِي ، وأَنَا الجَوْهَرُ وهو العَرَضُ[7] ، وهو الذي يُعْتَاضُ عنه بالسِّهَام ، وما عَنِّي عِوَض . وإنْ كان ذَاكَ أَسِنَّةً فأَنَا أُتَقَلَّدُ كالمَنِيَّة[8] ، كم حَمَلَتْهُ يَدٌ فكَانَتْ حَمَّالَةَ الحَطَب ، وكَمْ فَارِسٍ كَسِبَهُ[9] بِحَمْلاَتِهِ فما أَغْنَى به ما كَسَب ، حَدُّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ[10] ، ونَفْعُهُ لَيس من شَأْنِ نَفْسِهِ ، وأَيْنَ سُمْرُ الرِّمَاح ، من بِيْضِ الصِّفَاح ، وأَيْنَ ذُو الثَّعَالِب[11] من الذي يحمي به أُسُود الضَّرَائِب[12] ، وهل أَنْتَ إلاّ طَوِيلٌ بلا بَرَكَة ، وعَامِلٌ[13] كَمْ عَزَلَتْكَ النِّبَالُ بِزَائِدِ[14] حَرَكَة .

فَنَطَقَ الرُّمْحُ بِلِسَان سِنَانِهِ مُفْتَخِراً ، وأَقْبَلَ في عَلَمِهِ مُعْتَجِراً[15] ، وقال : أَنَا الذي طِلْتُ حتى أَلْحَدَتْ[16] أَسِنَّتِي الشُّهُب ، وعَلَوْتُ حَتَّى

---

(١) النَّجِيع : دم الجَوْف ، يقال : طَعَنه طعنة تَمُجُّ النَّجِيع : اللسان ، مادة (نجع) .
(٢) ق : خوف .
(٣) ق : تلوها .
(٤) من المُصَلِّي من خَيْلِ السباق ، إذا كان تالياً للأوَّل ، أي متقدماً فائزاً .
(٥) ق : كذاتي .
(٦) ش : المشهور ، والأصل في (ق) المنشور ، وفوقها تصحيح .
(٧) الجوهر في علم الفلسفة : ما قام بنفسه ، ويقابله العَرَض ؛ وهو ما يقوم بغيره .
(٨) ق : اتقلد كالمنة ، ش : اتقلد كالمنية . ولعل الصواب : أَتَقَلَّب كالمَنِيَّة .
(٩) ش : كسب .
(١٠) ق : جنبه .
(١١) الثَّعَالب : جمع ثَعْلَب ، والثَّعْلَب : ما دخل من الرمح في السِّنَان .
(١٢) الضَّرَائب : جمع الضَّريبة والضَّريبة والضَّريب وهو المَضروف بالسيف .
(١٣) عَامِل الرُّمح وعامِلَتُهُ : صَدْره دون السِّنان ، وقيل : هو ما يلي السِّنَان دون الثَّعْلَب .
(١٤) ق : بداية (وهو تصحيف) .
(١٥) المُعْتَجِر : من الاعْتِجَار وهو لَفُّ العمامة دون التَّلَحِّي .
(١٦) ق : انحدَت ، والتصويب «أَلْحَدَتْ» . من أَلْحَدَ السَّهم عن الهَدَف : عَدَلَ عنه ومَالَ .

كَادَت السَّماءُ تَعْقِدُ عَلَيَّ لِوَاءً من السُّحُب ، كَمْ مَيَّلَ نَسِيمُ الصَّبَا غُصْنِي[1] ومَيَّد ، وكَمْ وَهَى بي رُكْنُ المُلْحِدِيْنَ ، وللمُوَحِّدِيْنَ تَشَيَّد ، وكَمْ شَمْسُ ظَفَرٍ طَلَعَتْ وكانَتْ أَسِنَّتِي شُعَاعَهَا ، وكَمْ دماء أَطْرتُ شَعَاعَها[2] ، طَالَمَا أَثْمَرَ غُصْنِي الرُّؤُوسَ في رِيَاضِ الجِهَاد ، وغَدَتْ أَسِنَّتِي «وكَأَنَّما صِيْغَتْ مِنْ سُرُورٍ ، فَمَا يَخْطُرْنَ إلاَّ في فُؤَادٍ»[3] وكم شُبِّهْتُ بِأَعْطَافِ[4] الحِسَان بِمَا لِيْ مِنْ مَيل ، وضُرِبَ بطُولِ ظِلِّ قَنَاتِي المَثَل[5] ، وزَاحَمتُ في المَوَاكِبِ للرِّياح بالمَنَاكِب . وحَسْبِي الشَّرَفُ الأَسْمَى أَنَّ أَعْلَى المَمَالِكِ ما عَلَيَّ بُنِي . ما طَلَعَ سِنَانِي في الظَّلْمَا ، إلاَّ خَالَهُ المَارِدُ من نُجُومِ السَّمَا .

فَهَلْ للسَّيْفِ فَخْرٌ يطاول فَخْرِي ، أو قَدْرٌ يُسَامي[6] قَدْرِي ، ولو وَقَفَ السَّيْفُ عند حَدِّه لَعَلِمَ أَنَّه كَانَ ذا الحُلَى[7] وأنَا الطَّويلُ ذو العُلاَ ، وطَالَمَا صَدَعَ هَاماً فَعَادَ كَهَاماً[8] ، وقَصَّر عن العِدَا ، وأَلَمَّ بصَفْحَتِهِ كَلَفُ الصَّدَا ، وفُلَّ حَدُّه ، وأَذَابَهُ[9] الرُّعْبُ ، فُلُولاَ[10] غِمْدُهُ ، فَهَلْ يَطْعَنُ فِيَّ بِعَيْب ، وأنَا

---

(١) ق : الصَّبر غضى ، ولعل الصواب «الصَّبَا غُضْنِي» .

(٢) ق : شماعها (وهو تصحيف) وسقط من (ق) جملة : وكم شمس ظفر . . . . (إلى قوله) أطرت .

(٣) هذا القول تَضْمينٌ من شعر المتنبي ، وهو قوله :

وقد صُغْتُ الأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ ... فَمَا يَخْطُرْنَ إلاّ في فُؤَادِ

وهو من قصيدته التي مطلعها : «أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ في أُحَادِ» .

انظر شروح : العكبري ج ١ ص ٣٥٣ والواحدي ص ٢٣٧ . والصقلي ص ٢٩٨ والبرقوقي ج ٢ ص ٧٤ وعزام ص ٧٦ .

(٤) ق : أعطاف (بسقوط الباء قبلها) .

(٥) في المَثَل : «أَطْوَلُ من ظِلّ الرُّمح» الميداني ج ١ ص ٤٣٧ ، وجمهرة الأمثال ١٩١٢ ، والمستقصي ج ١ ص ٢٢٩ ، وكتاب أفعل ص ٥٣ .

(٦) ق : يساوي .

(٧) الحَلْيُ والحِلْيَة من السَّيف : زِيْنَته ، والجمع حُلِيّ . والحُلَى من حَلاَة السَّيْف وهو زِينته أيضاً .

(٨) الكَهَام : السَّيْف الكَلِيل . اللسان (كهم) .

(٩) ش : محرَّفة إلى : إذا به .

(١٠) الفَلُّ : كَسْرٌ في حَدّ السَّيْف وجمعه : تَثَلُّم حَدُّه ، فهو أَفَلّ ،

الذي أَطْعَنُ حَقِيْقَةً بلا رَيْب ، ومن هاهنا آنَ أنْ أَمْسِكَ عَنْكَ لِسَان سِنَاني ، وتَرْجِعَ إلى مَنْ يَحْكُم برِفْعَة شَأْنِك وشَأْنِي ، ونَسْعَى إلى بَابه ، ونَبُثُّ مُحَاوَرَتَنَا برِحَابِهِ ، وقد أَوْرَدَهُما المَمْلُوكُ حِمَاكَ[1] ، فَاحْكُم بَيْنَهُمَا بما بَصَّرَكَ الله وأَرَاكَ .

«الفصل الرابع»

ومِمَّا قيلَ في الرُّمح من الأَشْعَار :

● قال دُبَيْس المَدائني الشاعر[2] : [البسيط]

(١) وفي قُدُودِ الرِّماحِ السُّمْرِ مُنْعَطَفُ
وفي قُدُودِ[3] السُّرَيْجيَّاتِ[4] تَوْرِيدُ
(٢) تَغَنَّتِ[5] البِيْضُ فاهْتَزَّ القَنَا طَرَباً
مِثْلَ اهْتِزَازِكَ إذْ[6] يَدْعو بِكَ الجُودُ

= وتَفلَّلَت مَضَاربُ السَّيف : تَكَسَّرت ، وغِمْد السَّيف جِرَابُهُ .

(١) حِمَاك : مَحْرَمك وسَاحَتُك .

(٢) لعلّه دُبَيْس بن سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي ، أبو الأعز نور الدولة صاحب الحِلَّة ، وأمير بادية العراق ، كان شجاعاً عارفاً بالأدب ، يقول الشعر ، ولد سنة ٤٦٣هـ ، وتوفي سنة ٥٢٩هـ . انظر أعلام الزركلي ج٢ ص٣٣٦ .

(٣) ق : حدود .

(٤) السُّرَيْجيَّات : ضرب من السيوف واحدها سُرَيْجيّ ، وسُرَيْج : قَيْنٌ معروف ، والسيوف السُّرَيْجيَّة منسوبة اليه . اللسان ، مادة (سرج) .

(٥) ش : فغنت .

(٦) ق : ان .

● وقال سَيْف الدِّين علي بن عمر بن قزل المَشَدّ[1] ، الشاعر ، مُلْغِزاً في الرُّمْح[2] : [الخفيف]

(١) أيُّ شَيْءٍ يَكُـونُ مـالاً وذُخْـراً
رَاقَ حُسْنـاً عِنْـدَ الِّلقـاءِ[3] ومَخْبَـرْ

(٢) أَسْمَرُ القَدِّ أَزْرَقُ السِنِّ وَصْفاً
إنَّـمـا قَلْبُـهُ بِـلا شَـكٍّ أحْـمَـرْ

● وقال الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد الهِنْتَالي[4] ، يَصِفُ

---

(١) هو عليّ بن عمر بن قزل بن جلدك التُّركماني الياروقي الأمير سيف الدين المشد ، صاحب الديوان المشهور ، ولد بمصر سنة اثنتين وستمائة ، وتوفي بدمشق سنة ست وخمسين وستمائة ، ودفن بقاسيون .

اشتغل في صباه ، وقال الشعر الرائق ، وتولى شد الدواوين بدمشق للناصر يوسف بن العزيز مدة ، وكان طريفاً طيِّب العشرة ، تام المروءة ، وهو ابن أخي فخر الدين عثمان ، أُستاذ دار المَلِك الكامِل ، ونسيب جمال الدين ابن يغمور ، روى عنه الدُّمياطي والفخر ابن عساكر ، وكانت وفاته يوم تاسوع . .

انظر : الكتبي ، محمد بن شاكر (٧٦٤هـ) فوات الوفيات ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج٣ ص٥١ .

وانظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج١ ص٥٦٧ .

(٢) الشعر في فوات الوفيات ج٣ ص٥٤ .

(٣) ق : اللقا .

(٤) ق : الهنتامي .

وهو أبو زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن حَفْص عمر صاحب افريقية . كتب له أبو الحجاج يوسف البيّاسي كتاباً سماه «الإعلام بالحروب الواقعة في صَدْرِ الإسلام» . ويبدو أن له بصراً في نقد الشعر ، إذ يروى أن طائفة من الشعراء رفعت له قصائد فوقَّع عليها بما رآه ، وكان منهم شاعر يعرف بابن المحظيَّة ، وكان في قصيدته خطأ فوقَّع : يُعطي إن قصيدته كذا وكذا . . . فاستحسن البلغاء هذا منه .

وورد في ترجمة صاحب فوات الوفيات له أنه الأمير أبو زكريا صاحب افريقية وتونس . . ويذكر القلقشندي أنه دخل تونس في رجب سنة ٦٢٥هـ ، وتوفي في سنة ٦٤٧هـ . انظر في ترجمته : ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، (٦٠٨ ـ ٦٨١) ، =

الرُّمح[1] : [الطويل]

(١) وأسْمَرَ غِرٍّ شَيَّبَ النَّقْعُ رأسَهُ
ألا إنَّما بَعْدَ القَشيبِ مَشيبُ

(٢) مَدَدْتُ بِهِ كَفِّي إليهِمْ كأنَّهُ
رِشاءٌ ومِنْ قَلْبِ الكَمِيِّ قَليبُ

● وقال فَخْر القُضاة ، نَصْر الله بن بَصَاقة الكاتب[2] في الرُّمْح[3] : [الطويل]

= وفيات الأعيان ، ج٧ ض٢٣٨ . والكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ص٢٩٤ ، والقلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ-١٤٠٨م) ، صبح الأعشى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ج٥ ص١٢٧ . والزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤ ، ج٨ ص٩٦ .

(١) الشعر في فوات الوفيات ج٤ ص٢٩٥ ، ويبدو أنه مجتزأ من قصيدة له في الرُّمح لأنّ الكتبي يقول : وقال يصف الرمح من قصيدة ، وهو معنىً غريبٌ ثم يورد الأبيات الآنفة .

(٢) فخر القضاة : هو نَصْر الله بن هِبَة الله بن أبي محمد بن عبد الباقي الغفاري ، أبو الفتح المعروف بابن بَصاقة ، ويضيف صاحب فوات الوفيات على الغفاري قوله : المصري الحَنَفي الناصري الكاتب . وهو كاتب مُتَرسِّل من الشعراء ، ولد بِقُوص سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وقرأ الأدب بمصر والشام ، ووليَ كتابة الإنشاء في الدِّيار المصرية فكان خِصيصاً بالمُعَظَّم عيسى ، ثم بابنه النَّاصر داود ، وتوفي بدمشق . كان أكتب أهل زمانه ، وأجودهم ترسُّلاً ، وأطولهم باعاً في الأدب ، له «ديوان شعر» ورسائل . وتوفي بدمشق سنة خمسين وستمائة . ويذكر السيوطي أن مولده بقوص سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ووفاته بدمشق سنة ست وأربعين وستمائة .

انظر ترجمته : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج١ ص٥٦٧ . والكتبي في فوات الوفيات ، ج٤ ص١٨٧ ، وابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحيّ (ت١٠٨٩) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ج٥ ص٢٥٢ . وابن كثير ، أبو الفداء الحافظ (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، بتحقيق د . أحمد أبو ملحم ود . نجيب عطوي ، والأستاذ فؤاد السيد ، والأستاذ مهدي ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الثالثة ١٩٨٧ ، ج٧ ص٩٦ ، والزركلي ، الأعلام ج٨ ص٣١ .

(٣) وله قصيدة رائية أيضاً في السيف تسير على هذا النحو :

(١) وَلِيْ صَاحِبٌ قَدْ كَمَّلَ اللهُ خَلْقَهُ
وَلَيْسَ بِـهِ نَقْصٌ يُعَـابُ فَيُـذْكَـرُ

(٢) عَصِيٌ ثَقيـلٌ إنْ أُطيلَ عِنـانُـهُ
مُـطِيْـعٌ خَفيفُ الكَـلِّ حِيْنَ يُقصَّـرُ

(٣) يُسابِقُني يَـوْمَ النِّزالِ الى العِدَا
فـإنْ لَـمْ أُؤَخِّـرْهُ(١) فَـمـا يَتَـأخَّـرُ

(٤) ويؤْمَنُ(٢) مِنْهُ الشَرُّ ما دَامَ نائِماً(٣)
ولَكِنْ إذا مـا قَـامَ(٤) يُخشى ويُحْـذَرُ

(٥) أَنالُ بِهِ في الرَّوْعِ مَهْما اعْتَقَلْتُهُ
مَـرامـاً إذا أطْـلَقْـتُـهُ يَـتَـعَـذَّرُ

(٦) تَعَـدَّى على أعْـدائِـهِ مُتَنَصِّلاً
إليهِمْ ومـا أبْـدَى اعْتِـذاراً فَـيُعْـذَرُ

(٧) تَرى مِنْهُ أُمِّيّاً(٥) الى الخَطِّ يَنْتَمي
ومُغْـرًى بِغَزْوِ(٦) الـرُّومِ وهو مُـزَنَّرُ(٧)

وأبْـيضُ وَضَّـاحُ الجَبِـيْنِ صَحِبْتُـهُ ... فـاحْسَنَ حَتّى مـا أقـومُ بِشُكْـرِهِ
إذا خَـذَلَتْني أُسْـرَتي وتَـقَـاعَـدَتْ ... أخِلاّيَ عَنْ نَصْـري حَبَاني بِنَصْرِهِ
يُـواصِلُني في شِـدَّتي مِنْـهُ قـاطِـعٌ ... يُخَفِّفُ عَنّـي في رَخَـائي بِهَجْـرِهِ
شَـدَدْتُ يَدي مِنْهُ على قَـائِمٍ بِمـا ... أُكَـلِّفُـهُ يَـلْقَـى الأعـادِيَ بِصَـدْرِهِ
صَبُورٌ على الشَّكْوَى لَوْ دُسْتُ خَدَّهُ ... عـلى رِقَّـةٍ فيـه وَثِقْتُ بِـصَـبْـرِهِ
إذا نابني . . . . الخ

انظر : فوات الوفيات ج٤ ص١٨٨ .

(١) في الأصل (أوخره) والتصويب من فوات الوفيات .

(٢) ق و ش : (يومن) بتسهيل الهمزة .

(٣) ق و ش : قائماً .

(٤) ش : نام .

(٥) ق : اجبا (وفيه خطأ عروضي) .

(٦) ق : ومعدى يغزو .

(٧) ق : مرر .

(٨) عَجِبْتُ لَهُ مِنْ صامِتٍ وهو أجْوَفُ
ومِنْ مُسْتَطيلِ الشَكلِ وهو مُدَوَّرُ
(٩) وَمِنْ طَاعِنٍ في السِّنِّ لَيْسَ بِمُنْحَنٍ[١]
ومِنْ أرْعَنٍ مُذْ[٢] عاشَ وهو مُوَقَّرُ
(١٠) فَفَكِّرْ إذا ما شِئْتَ[٣] إفْشاءَ سِرِّهِ
فها أنا قَدْ أظْهَرْتُهُ وهو مُضْمَرُ

● وقال مُجير الدِّين بن تميم[٤] ، يَصِفُ مَنْ يَلْعَبُ بِرُمْح : [الكامل]

لمَّا بَدا فَوْقَ الجَوادِ وكَفُّهُ يَلْهو[٥] بأسْمَرَ يَرْتَمي بِشِهابِ
عَايَنْتُ لَيْثاً يَلْتَوي في كَفِّهِ ثُعْبانُ رَمْلٍ فَوْقَ مَتْنٍ[٦] عُقابِ

هذا آخره ولله الحَمْدُ والمِنَّة .

---

(١) ق و ش : بمخبر .
(٢) ش : قد .
(٣) فوات الوفيات : ما رمت .
(٤) مجير الدين بن تميم : هو محمد بن يعقوب بن علي ، أحد شعراء الشام ، عاش في دمشق وانتقل الى حماة وخدم صاحبها الملك المنصور جندياً ، كان فاضلاً شجاعاً عاقلاً ، ويُعَدُّ من فحول شعراء الشام في عصر الدولة المملوكية الاولى ، توفي سنة ٦٨٤هـ .
وأورد له ابن حجة الحموي ، أبو بكر علي بن محمد (ت٨٣٧هـ) في كتاب : ثمرات الأوراق في المحاضرات مقطوعتين في وصف الرماح والسيوف . انظر : ثمرات الأوراق بشرح د . مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣ ، ص٢٧١ و٢٧٦ .
وذكره صاحب فوات الوفيات ، ولم يترجم له ، وأورد له شعراً في تفضيل الورد :
مَنْ فَضَّلَ النَّرْجَس وهو الذي يَرْضى بِحُكْمِ الوَرْدِ إذ يُحْرَسْ
أما تَرَى الوَرْدَ غدا جالِسَاً إذْ قامَ في خِدْمَتِهِ النَّرْجِسُ
انظر فوات الوفيات ج٢ ص٤١٨ .
(٥) ق و ش : تلهو .
(٦) ق : رمل .

«المُلْحَق والفَهَارِس»

(١) ملحق بألفاظ الرِّمَاح .
(٢) فهرس الأَعـلام .
(٣) فهرس الحَدِيث والأَثَر .
(٤) فهرس الكتب المذكورة في متن الكتاب .
(٥) فهرس الأَشْعَار .
(٦) مراجع التَّحقيق .
(٧) فهرس الكتاب .

(١) ملحق بألفاظ الرماح

«ويشتمل على المواد اللُّغوية التي ذَكَرَها السُّيوطي (المشار إلى جانبها بنجمة) وما استدركناه عليه من كُتُب المعاجم» .

(أزن) رُمْحٌ أَزَنِيٌّ وأَيْزَنِيٌّ وآزَنِيٌّ : منسوبٌ إلى ملك حمير ذي يَزَن ، والهمزة مقلوبة عن الياء .

(أسل)* الأَسَل : الرِّماح على التَّشْبيه بالنَّبات ؛ لاعتداله وطوله واستوائه ودِقَّة أَطْرافه . قال الثَّعالبي : الأَسَل : ما أُدِقَّ من الحديد وحُدِّد فيقع ذلك على الأسِنَّة ونحوها ، وخَصُّوا بها الرماح لدِقَّة أَطْرافها .

(ألل) الأَلَّة : أَصْغَر من الحَرْبَة ، وجمعها إلَال ، وفي سنانها عَرْضٌ .

(بوأ) بَوَّأْتُ الرُّمح : إذا سَدَّدْتُهُ .

(تمر) اتْمَارَّ الرُّمح اتْمِئْراراً فهو مُتْمَئِرّ : إذا كان غليظاً مستقيماً .

(ثقف) الرُّمح المُثقَّف : المُسَوَّى بالثِّقَاف ، وهي آلة تُعَدَّلُ بها الرِّماح .

(ثعلب) الثَّعْلَب : ما دخل من الرُّمح في السِّنان .

(ثلب)* رمح ثَلِبٌ : مُتثلم .

(جبب)* الجُبَّة : ما دَخَل فيه الرُّمح .

(جحل) جَحَلَه بالرَّمح : قَصَده به دون غيره .
(جحدل) جَحْدَلَه بالرمح : قصده به .
(جدل) جَدَّلَه بالرمح : طعنه به فقتله .
(جرجم) جَرْجَمَه بالرُّمح : صَرَعه .
(جزر) أَجْزَرْتُهُ الرمح : إذا طَعَنْتُهُ به .
(جعب) جَعَب الرُّمْحَ : قَصَدَ به عدوَّه .
(جعفل) جَعَب الرُّمْحَ : قَصَدَ به عدوَّه .
(جعفل) جَعْفَلَهُ الرُّمحَ : قَصَده به .
(جلز)*الجَلْز والجِلاَز : السِّنان الغليظ ، وجَلْز السِّنَان : الحلقة المستديرة في أسفله ، وقيل : أعلاه .
(جمم) الأَجَمّ : الرجل الذي ليسَ معه رُمْح .
(جهر) آسْجَهَرَّت الرماح : أُشْرِعت .
(جور) جَوَّره بالرمح : جَدَّله به .
(حدر) رمح حَادِرٌ : غليظ ، والحَوَادر من كعوب الرماح : الغلاظ المستديرة .
(حرب) حَرَّبْتُ السِّنان : حَدَّدته .
(حفز) حَفَزَه بالرمح : طعنه به .
(حمم) حُمَّة السِّنان : حدَّتُهُ .
(خدب) رمح خِدَبٌ : واسع الجراحة ، وضَرْبَةٌ خَدْبَاء : مُتَّسعة طويلة .
(خرص)* الخُرْص : سِنان الرمح ، وقيل : ما علا الجُبَّةَ من السِّنان ، وقيل : هو الرمح نفسه .
وجمعه خِرْصَان ، وقيل : الخِرْص (بالفتح والضم) : رمح قصير يُتَّخذ من خشب ، وقيل : هو السِّنان ثم صيروه للقَنَا لما كثر استعمالهم له .
(خزق) سنان خَزْقٌ وخَازِق : نافذ ، وفي المثل : «أَمْضَى من خَازِق» .
(خطر) خَطَر الرُّمح : آهتز ، وخَطَران الرمح : ارتفاعه وانخفاضه للطَّعْن ، والرمح الخَطَّار : ذو الاهتزاز ، وقد خَطَر يَخْطِر خَطَراناً .

(خطل) الخَطِل : الرمح الشديد الاضطراب .
(خطا)* الخَطِّيُّ من الرماح : منسوب الى الخَطّ من هَجَر ، والجمع خَطِّيَّة .
(خلل) خَلَلْتُهُ بالرمح : إذا طعنته به ، وآخْتَللته به : انتظمت فؤاده به .
(خمس) رمحٌ مَخْمُوس : الذي طوله خمسة أذرع .
(خمن)* الخَمَّان من الرماح : الضعيف .
(خور) الخَوَّار : الرمح الخفيف .
(خوى) خَوَاية السِّنان : جُبَّته وهي ما التَقَم ثَعْلَب الرُّمح .
(دسر) دَسَّرته بالرمح دَسْراً : دفعته به دَفْعاً ، وطعَنته به طعناً .
(دعس) المِدْعَس والمَدَاعِس من الرماح : الغليظ الشديد الذي لا ينثني ، وقيل : الصُّمُّ من الرماح .
(دعص) دَعَصَه بالرمح : طعنه ، المَدَاعِص : الرماح ، ورجل مَدْعَص بالرماح : طَعَّان بها .
(ذبل) الرماح الذَّوابل : سُمِّيت بذلك لِيُبْسها ولصوق لِيْطِها ؛ يعني قشرها .
(ذرب) سنان ذَرِبٌ : حَادٌ ، يقال : ذَرَّبته أي حَدَّدته ، وسنان مُذَرَّب : مُحَدَّد .
(ذرع) ذِرَاع القَنَاة : صَدْرها .
(ذلق) ذَلْق السنان : حَدُّه ، وسنان أَذْلَق : حادٌ ، وسنان ذَلِق : حَادٌّ .
(ربع) رمحٌ مَرْبُوع : ما كان طوله أربعة أَذْرع ، وقيل : الذي ليس بطويل ولا قصير .
(ردن) الرمح الرُّدَيْنِيّ : منسوب إلى امرأة اسمها رُدَيْنَة كانت تصنع الرماح بهَجَر .
(رزخ) رَزَخَه بالرمح يَرْزَخَه زَرْخا : زَجَّه به .
(رصع) رَصَعَه بالرُّمح : طعنه طعناً شديداً حتى غَيَّب السِّنان كُلَّه فيه .
(رعش) رمح رَعَّاش : شديد الاضطراب .

(رعف) الرِّماح الرَّوَاعف : المهتزَّة .
(رعل) أرْعَلَه بالرمح : طعنه طعنلاً شديدة .
(رمح) الرُّمْح : آلة الحرب معروف ، وجمعه أرْمَاح ورِمَاح ، والرَّامِح : الطَّاعن بالرمح ، وحامله ؛ لذلك قيل للثَّور الوحشي رامح لمكان قرْنيه .
(ريش)* رمح رَاشٌ ورَائِش : خَوَّار ضعيف ، شُبِّه بالرِّيش لخِفَّته .
(زجج) الزُّجُّ : الحديدة التي تُركَّب في أسفل الرمح ، أزْجَجْت الرمح : جعلت له زُجّاً ، وزَجَّجت الرجل ، طعنته بالرمح ، والمِزَجّ : الرمح الصغير .
(زجل) المِزْجَل : رمح قصير ، والزَّاجل : الحلقة في زُجّ الرمح ، وزَجَلَه بالرمح زَجْلاً : رماه به .
(زحر) زَحَره بالرمح زَحْراً : زَجَّه به .
(زرج) زرجه بالرمح يَزْرجه زَرْجاً : طعنه به .
(زرق) المِزْراق : رمح قصير ، وقد زَرَقَه بالمِزْرَاق زَرْقاً : طعنه أو رماه به .
(زعب) الرمح الزَّاعِبيّ : الذي إذا هُزَّ آضطرب من أوله إلى آخره . والرماح الزَّاعِبيَّة : منسوبة إلى زَاعب وهو رجلٌ ، وقيل : بلد .
(زفر) زَافِرة الرُّمح : نحو الثُّلُث وهو من السهم ما دون الريش .
(زلخ) زَلَخه بالرمح : زَجَّه به زَجّاً لا طَعْناً .
(زمل) الإزْميل : حديدة كالهلال تُجْعَل في طرف رمح لصَيْد بقر الوحش .
(سبل) السَّبَل : الرمح .
(سدد) سَدَّد رُمْحَه : خِلاف عَرَّضَه ، ورمح مُسَدَّد : قويم .
(سدك) رجل سَدِك بالرمح : طَعَّان به .
(سرر) سَرَّه بالرمح : طعنه في سُرَّته .
(سفل) سَافِلة الرمح : نِصْفُهُ الذي يلي الزُّج .

(سفه) تَسَفَّهت الرِّماح في الحرب : اضطربت ، وأصل السَّفَه : النَّزَق والخفّة .

(سلب) رمح سَلِب : طويل ،

(سلف) السُّلُوف : الرمح الطويل .

(سلق) سَلَقَه بالرمح : طعنه به فوقع على ظهره .

(سمح) رمح مُسَمَّح : ثُقِّف حتى لان .

(سمر)* الأَسْمَر : الرمح الذي يضرب لونه إلى السُّمرة . وقيل : هو الدقيق .

(سمهر)* السَّمْهَرِ : الرمح الصَّليب العُود ، منسوب إلى سَمْهَر رجل كان يبيع الرماح بالخَطِّ ، وامرأته رُدَيْنَة .

(سندر) السَّنْدَرِيّ : السهم المُتَّخَذ من شجرة السَّنْدَرَة ، ويُتَّخذ منها أيضاً القِسِيّ والنَّبْل والرماح .

(سنن)* سِنَان الرمح : حديدته لِصَقَالتها ومَلاَستها ، وأَسْنَنْتُ الرمح : جَعَلْتُ له سِنَاناً ، وهو مَسْنُون مُحَدَّد .

(شجر) تَشَاجر القوم بالرماح : تطاعنوا ، رماح شواجر : مختلفة .

(شرع) رمح شُرَاعِيّ (بالكسر والضم) : طويل ، أَشْرَعْتُ : الرمح : مَدَدْتُهُ ، وهي شُرَّاع وشَوَارع .

(شطط) شطَاط (بكسر الشين وفتحها) : القناة المعتدلة .

(شقص) المِشْقَص : الرمح الطويل ، وقيل : السهم العريض النَّصْل .

(شكك) شَكَّه بالرمح شَكّاً : انتظمه به .

(شهب) سنان أَشْهب : إذا جُلي صار لونه الشُّهْبَة .

(صبح) المُصْبَاح : السِّنان العريض ، والصُّبَاحِيَّة : الأَسِنَّة العِراض ، منسوبة .

(صدر) صَدْر القناة : أعلاها : والجمع : صُدُور .

(صدق) الصَّدْق من الرِّماح : الصُّلْب المُسْتَوِي الجامع للأوصاف المحمودة .

(صرد) صَرَدَ الرمحُ والسهمُ يَصْرُدُ صَرْداً : نفذ حَدُّه ، وصَرَده وأَصْرَدَهُ : أنفذه ، وأَصْرَدَ السهمُ : أخطأ ، وقيل : رمح مُصَرَّد : مُخْطِىء (على الأضداد) .
(صعد) الصَّعْدَة : قناة تشبه الرمح تنبت مستوية لا تحتاج أنْ تُقَوَّم ، والجمع صِعَاد .
(صلب) سنان صُلَّبِيٌّ مَسْنُون ومُصَلَّب : مسنون أيضاً .
(صمع) رمح أَصْمَع : صُلْب مستوٍ ، وقناة صَمْعَاء : صُلْبة مستوية الكُعوب مكتنزة .
(صمم)* الصَّمَم : اكتناز القناة ، يقال : قناة صَمَّاء ، ورمح أَصَمّ .
(ضبب) الضُّبّ : اعوجاج في الرمح .
(ضبن) ضِبْنُ الرمح : إبْطُهُ وفيه عَالِيَتُهُ وهو نصفه الأَعْلَى الذي يلي السِّنان .
(ضغن) قناة ضَغِنَة : عوجاء .
(ضلع) ضَلِع الرمح ضَلَعاً : اعْوَجَّ . والضَّلِع : الرمح المُعَوَّج ورمح ضَلِيع : مائل .
(ضهب) تَضْهِيبُ الرمحِ : عَرْضُهُ على النار ليَسْتَوي .
(طحر) قناة مُطْحَرَة : إذا التَوَتْ في الثِّقَاف ، وسنان مُطْحَر : مَسْنُون ، وقيل : مُطَوَّل .
(طرح) رمح مِطْرَحٌ : طويل .
(طرد) المِطْرَدُ : رمح قصير تُطْعَنُ به حُمُر الوحش ، وقال ابن سيدة : المِطْرَد (بالكسر) رمح قصير يُطْرَدُ به الوحش ، والطَّرَّاد : الرمح القصير ، والمُطْرِد من الرُّمح : ما بين الجُبَّة والعالية .
(طرر) سنان مَطْرُور : مَسْنُون .
(طنب) الطُّنَب : اعوجاج في الرمح .
(ظما)* رمح أَظْمَى : أَسْمَر ، وقناة ظَمْيَا ، بَيِّنَه الظَّمَى .

(ظنب) الظُّنْبُوب : مِسْمَار يكون في جُبَّة السِّنان حيث يُرَكَّبُ في عَالِية الرُّمح .
(عتر)* عَتَر الرمح يَعْتِرِ عَتْراً وَعتراناً : اشتدَّ واضطرب واْهْتَزَّ ، والرمح العَاتِر : المضطرب مثل العَاسِل .
(عتل) العُتُلّ : الرمح الغليظ .
(عجف) سنان أَعْجَف : رقيق .
(عذب) عَذَبَة الرمح : الخِرْقة التي في رأسها ، والجمع عَذَبٌ .
(عذر) عَذَار السنان : شَفْرتاه ، وسنان عَذَار : حَادٌ .
(عرت) الرمح العَرَّات : الشديد الاضطراب ، وقد عَـرِتَ وعَرِصَ .
(عرد) رمح عَرْدٌ : شديد صُلْب .
(عرص)* رمح عَرَّاص : لَدْن المَهَزَّة .
(عرن) رمح مُعَرَّن : مُسَمَّر السِّنان بالعِرَان وهو المِسْمَار .
(عسل)* عَسَل الرمح يَعْسِل عَسْلاً وعُسُولاً وعَسَلاناً : اشتد اهتزازه واضطرب ، ورمح عَسَّال وعَسُول وعَاسِل مضطرب لَدْن .
(عشز) قَنَاة عَشَوْزَنَة : صُلْبَة .
(عضب) العَضَب في الرمح : الكَسْر .
(عضض) أَعَضَّ الرمح الثِّقَاف : أَلْزَمه إيَّاه .
(عقل) آعْتَقَل رمحه : جعله بين رِكَابه وساقه .
(عكز) العُكَّازة : عصا في أسفلها زُجٌّ .
(علب) رمح مُعَلَّب : مُتَثَلِّم ، وعَلَّب الرمح عَلْباً : حزم مقبضه بعِلْبَاء البعير .
(علا) عَالِية الرمح : ما دخل في السنان الى ثُلُثه ، وجمعها عَوَالٍ ، وعوالي الرماح : أسِنَّتُهَا .
(عمل) عَامِل الرمح وعاملته : صَدْره دون السنان ، ويجمع على عَوَامل ، وقيل : عامل الرمح : ما يلي السنان ، وهو دون الثَّعْلَب .
(عنز) العَنَزَة : قَدْر نصف الرمح وفيها زُجٌّ كزُجّ الرمح .

(عير) العَيْر : النَّاتِىء في وسط السنان .

(غرر) الغِرَار : حَدُّ الرمح والسهم والسيف .

(غول)* المِغْوَل : نَصْل دقيق له حدٌّ ماضٍ يشتمل به الرجل تحت ثيابه .

(غيب) الغَابَةُ من الرماح : ما طال منها ، وكان لها أطراف تُرَى كأطراف الأَجَمة وقيل : هي المُضْطربة من الرماح في الريح ، وقيل : هي الرماح إذا اجتمعت على التشبيه بالغَابة التي هي الأَجَمة ، وجمعها غَابَاتٌ وغَابٌ .

(فرخ) الفَرْخَة : السِّنان العريض .

(قدس) قَدَسَه بالرمح قَدْساً : طعنه طعناً خفيفاً .

(قدع) تَقَادعوا : تَطَاعنوا بالرماح .

(قرش) تَقَارَشت الرماح : تداخلت في الحرب ، قَرَشَه بالرمح : طَعَنه ، والقَرْش : الطَّعْن .

(قرن) القُرْنَة : حَدّ الرمح والسيف ، وقُرْنَة السِّنان : حَدُّه ، أَقْرَنت الرمح : أَشْرَعته ، والأَقْرَن : مَنْ يرفع رأس رُمْحه .

(قرا)* القَارِيَة : حَدّ الرمح والسيف وقيل : أَسْفَل الرُّمح مما يلي الزُّجّ ، وقَارِية السِّنان : أعلاه وحَدُّه .

(قصد) رمح قِصْدَه وقَصِيد : مكسور، وَتَقَصَّدَت الرِّماح : تَكَسَّرت ، وانقصد الرمح انكسر نصفين ، وكل قطعة قِصْدَةٌ .

(قصف) قَصِفَت القناة قَصَفاً : انكسرت ولم تَبِن ، فإن بانت قيل : انْقَصَفَتْ .

(قطر) قَطَّره بالرمح : طعنه فألقاه على قُطْريه ، أي جانبيه .

(قطر) قَطَّره بالرمح : طعنه فألقاه على قُطْريه ، أي جانبيه

(قطع) القِطْع : النَّصل القصير ، والجمع أَقْطُع وأَقْطَاع .

(قعضب) القَعْضَبيَّة : رماح منسوبة إلى قَعْضَب ، وهو رجل كان يعملها في الجاهلية .

(قلع) اقْتَلَع الرمح : أخذه ليحمل به .
(قلم) مِقْلَم الرمح : كَعْبُهُ .
(قنا) القَنَا من الرماح : ما كان أجوف كالقَصَبة ، وقيل : كل عصا أو رمح مستوٍ أو غير مستوٍ فهو قَنَاة ، وجمعها : قَنًا وقَنوات وقُنِي وقِنَاءٌ .
(قوم) رمح قَوِيم وقَوَام : مُسْتَوٍ .
(كرب) الكَرِيْبُ : الكَعْب من القناة .
(كعب) الكَعْب : عُقْدة ما بين الأُنبوبين ، من القَنَا ، وقيل : هو أُنبوب ما بين كل عقيدتين ، وجمعه كُعُوب وكِعَاب ، ورمح بكَعْبٍ واحدٍ : مستوي الكُعُوب ليس له كَعْبٌ أغلظ من آخر .
(كعبر) كَعَابِر القناة : عُقُودها إذا كانت غلاظاً .
(كور) المُكَوَّرُ : المطعون بالرمح .
(لدن) اللَّدن : الرمح الليِّن ، والجمع لُدُون .
(لزن) لَزَّهُ بالرمح : طَعَنَهُ .
(لما) الألْمَى من الرماح : الشديد السُّمرة الصُّلْب .
(لهذم) اللَّهْذَم : الرمح القاطع .
(لهز) لَهَزَه بالرمح : طَعَنَه في صدره .
(لوا) أُمّ اللِّواء : الرمح .
(ليط) اللِّيْطَة : قِشْرَة القناة ، وجمعها لِيَطٌ .
(مأر) اتْمَأَرَّ الرمح : اشْتَدَّ وصَلُب .
(متل) المِتَلُّ : الرمح الشديد الغليظ القوي .
(مدر) المَدَرِيَّة : رماحٌ تُرَكَّبُ فيها القُرُون المُحَدَّدة مكان الأسِنَّة .
(مرن)* المَارِن : الرمح الصُّلب اللَّيِّن ، والمُرَّان : الرِّمَاح الصلبة اللَدنة ، وأصل المُرَّان : نبات تُصْنَع منه الرماح ، وقيل : المُرَّان من الرمح : مَتْنُهُ ؛ وهو وسطه ، وقد مَرَنَ يَمْرُنُ ، وما أحسن مَرَانَةَ الرمح ومُرُونَتَهُ .
(معد) مَعَد الرمح مَعْداً وامْتَدَهُ : انتزعه من مركزه واجتذبه .
(معط) امْتَعَطَ الرُّمح : انتزعه .

(مغس) مَغَسَهُ بالرمح مَغْساً : طعنه .
(نبرس) النَّبَارِيس : الأَسِنَّة واحدها نِبْراس .
(نحض) النَّحِيض والمَنْحُوض : النَّصْل المرقق المُحَدَّد .
(نجل)* نَجَلَهُ بالرمح يَنجِلُهُ نَجْلاً : طَعَنه وأوسع شَقَّه ، وسنانٍ مِنْجَلٌ : واسع الجُرْح .
(ندس) رماح نَوَادِسٌ : شديدة الطَّعْن ، نَدَسَهُ بالرمح : طَعَنه ، والمُنَادَسَةُ : المُطاعنة .
(نزك)* النَّيْزَك : الرمح الصغير (فارسي مُعَرَّبٌ) .
(نصل) أَنْصَلْتُ الرمح : إذا نزعت نَصْلَه ، ونَصَّلْتُهُ : رَكَّبت عليه النَّصل ، والنَّصْلُ هو السِّنَان .
(نضا) نَضِيُّ الرمح : ما فوق المِقْبَض من صدره : النَّضِيُّ : الخَلَق من الرماح .
(نكت) طعنه بالرمح فَنَكَتَهُ : إذا أوقعه على رأسه .
(هرع) أَهْرَع القوم برماحهم : أَشْرَعوها ، تَهَرَّعت الرماح : أقبلت شَوَارِع .
(هزع) تَهَزَّع الرمح واهْتَزَع : اضطرب ، والهَزَع : الاضطراب ، ورمح هُزَعٌ : مُضْطَرِبٌ .
(هكك) الهَكُّ : مُدَاركة الطَّعْن بالرماح .
(وخض) وَخَضَه بالرمح : إذا طعنه طَعْناً لا يَنْفُذُ .
(ودق) الرمح الوَادِق : الماضي الضَّريبة .
(وشج)* الوَشِيج : الرماح ، واحدته وشِيجةٌ ، وأَصْلُهُ نبات الرماح ، وقيل : هو من القَنَا أَصْلَبُهُ .
(يزن) اليَزَنِيَّةُ : الرماح منسوبة إلى ذي يَزَن ، وهو من ملوك حمير ، ويروى : أَزَنِيَّة .
(يمم) يَمَّمْتُهُ الرُّمح : قَصَدْتُهُ به دون غيره .

(٢) فهرس الأعلام

(٣) فهرس الحديث والأَثَر

(٤) فهرس الكُتُب المذكورة في متن الكتاب

(٥) فهرس الأشعار

(٥) مراجع التحقيق

الأصفهاني ، أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ) : حلية الأولياء ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) .

البخاري ، أبو عبد الله ، محمد بن اسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ) : صحيح البخاري ، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية مصر ١٩٧١م .

البغدادي ، الخطيب أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ) : تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت (د.ت) .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ) : فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية بيروت (د.ت) .

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) : صفوة الصفوة ، حققه : محمود فاخوري ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٥م .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ) :

- تهذيب التهذيب ، مطبعة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٢٥هـ .
- لسان الميزان ، حيدر آباد ، الهند ١٣٣٠هـ .
- الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت (د.ت) .

ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت (د.ت) .

الدولابي ، أبو بشر ، محمد بن أحمد بن حماد (ت٣١٠هـ) : الكنى والأسماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .
الذهبي ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) :
(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، حققه : علي البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت) .
(٢) سير أعلام النبلاء ، حققه : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٢م .
الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ .
السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) :
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، وشركاه ، القاهرة (د.ت) .
- جامع الأحاديث للجامع الصغير ، حققه : عباس أحمد صقر ، وأحمد عبد الجواد ، مطبعة محمد هاشم الكتبي ، دمشق (د.ت) .
ابن أبي شَيْبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم العبسي (ت٧٧٥هـ) :
* المصنَّف ، المجلد الأول والثاني ، ملتان ١٣٢٤هـ .
وبتحقيق مختار أحمد الندوي بخمسة عشر جزءاً ، طبعة الدار السلفية ، الهند ١٩٨٣م .
الصفدي ، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ) : الوافي بالوفيات ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٣م .
ابن عبد البرّ ، أبو عمر يوسف بن عبد الله : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، حققه : علي البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة (د.ت) .

أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٣هـ) : كتاب السِّلاح ، حققه : حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥م .
ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٦هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت) .
فؤاد سزكين :
تاريخ التراث العربي ، ترجمة : محمود فهمي حجازي ، مطبعة جامعة الإمام ، الرياض ١٩٨٣م .
القزويني ، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ) : سنن ابن ماجه ، حققه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي (د.ت) .
القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة (د.ت) .
ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥١هـ) : الفروسية ، مكتبة عاطف ، القاهرة (د.ت) .
الكتبي ، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ) : فوات الوفيات ، حققه : احسان عباس ، دار صادر بيروت (د.ت) .
ابن كثير ، أبو الفداء ، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ) : البداية والنهاية ، حققه : أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٧م .
منصور علي ناصف :
التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول .
دار إحياء الكتب العلمية ، عيسى البابي الحلبي القاهرة (د.ت) .
ابن النديم ، محمد بن إسحق بن يعقوب (ت٣٨٥هـ) : الفهرست ، حققه : رضا ـ تجدد ، طهران (د.ت) .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٢م .

(٦) فهرس كتاب السَّمَاح في أخْبَار الرِّمَاح

ثالثًا: تَعليقَات ومُناقشات

قراءة جديدة
في ديوان اسماعيل بن يسار
تحقيق الدكتور يوسف حسين بكار

للدكتور نوري حمودي القيسي
عميد كلية الآداب - جامعة بغداد

أقف مع أخي الدكتور يوسف الموقف الأخوي الذي وجدت نفسي ملزماً به لعلّ فرصة جديدة تتاح له لإعادة النظر في تحقيق شعر هذا الشاعر مستقبلاً فتكون هذه المحاولة اغناء لمحاولته وإضاءة خفيفة توسع مدى الرؤية التي أضاء بها حياة هذا الشاعر وأبدأ أولاً باستدراك الأبيات .

١ ـ اعتمد الأخ الدكتور يوسف كتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار (شرح وتحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر) وخرّج منه القطعة رقم (٤) ورقم (١٢) وفاتته القطعة الثامنة التي ذكرها صاحب جمهرة النسب فلم يخرجها منه ولي عليها الملاحظات الآتية :

أ ـ قال الدكتور يوسف : قال يرثي أخاه محمد بن يسار والقصيدة كما يذكرها صاحب جمهرة النسب قال : حدثنا الزبير قال : وحدثني مصعب بن عثمان قال : قال اسماعيل بن يسار النّساء يرثي أبا بكر بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . فالمرثية ليست في رثاء أخيه كما ذكرت في المجموع .

ب ـ ولو تأمل أخي الدكتور يوسف البيت الأول من القصيدة والشاعر يقول : لما نعى الناعي أبا بكر . .

ولم يُعرف أخو الشاعر بهذه الكنية . لأدرك أن المرثي غيز أخيه . .

جـ ـ في الأبيات السبعة التي أوردها صاحب جمهرة نسب قريش تصحيح لما ورد في رواية الأغاني . . . فرواية الأول

غلب العـزاء ورواية المجموع عيل العزاء

وهناك اختلافات أخرى في رواية الأبيات لا يمكن اغفالها لصحتها ووثوق روايتها أو قدم مصدرها والفرق كبير بين الزبير بن بكار وأبي الفرج .

د ـ بعد رواية الأبيات السبعة يعقب صاحب جمهرة النسب بقوله : وهي طويلة وهي اشارة يمكن الانتفاع منها لأنها تقدم دليلاً على فقدان شعر الشاعر وطول نفسه وشدة صلته بالمرثي وأمور أخرى تغني دراسة الدكتور يوسف لو تأمل في هذا المصطلح حين يذكر .

٢ ـ في الصفحة نفسها التي ذكرها صاحب جمهرة النسب (٦٥) يقول : قال وأنشدني مصعب بن عثمان لاسماعيل بن يسار النّساء يرثي أبا بكر بن حمزة :

أحين بلغت ما كنا نُرَجّي ... وكنت على أنوف الكاشحينا

أبا بكر ثويت رهين رمس ... يخبّ بنعيك المتعجلونا

ويقول وهي طويلة : وقد أخلّ بها المجموع الشعري :

٣ ـ وفي جمهرة نسب قريش وفي الصفحة ٢٨٩ ـ ٢٩١ قصيدة قوامها سبعة عشر بيتا يرثي فيها الشاعر يحيى بن عروة بن الزبير وقد أنشدها مصعب بن عثمان وهي :

أَلا يا عَيْنُ فانهمِري بغَزْر ... وفيضي عَبْرةً من غَيْرِ نَزْرِ

ولا تَعِدِي عَزَاءً بَعد يحيىَ ... فقد غُلِبَ العَزاءُ وعيلَ صَبْري

وَمُرزِئـةٍ كـأنَّ الجـوفَ مُنهـا بُعَيْد النَّومِ يُسْعَرُ حَرُّ جَمْـرِ
على يَحْيى ، وأَيُّ فتىً كيحْيى لعـانٍ عـائِـلٍ غَلِقٍ بـوِتْـرِ
وللخَصمِ الألـدّ اذا دَعـاني ليـأخـذَ حَقَّ مَقْهُـورٍ بقَسْـرِ
ولـلأضْياف إن طَـرقُوا هُـدُوّاً وللكَـلِّ المُكِـلِّ وكُـلِّ سَفْـرِ
إذا نـزلَتْ بهم سَنَـةٌ جَمَـادٌ أَبِيُّ الـدَّرِّ لم يُتكْسَـعْ بغُبْـرِ
هُنَالك كان غيثَ حَياً تَلاقَتْ يَـدَاهُ في جَنَـابٍ غيـرِ وَعْـرِ
وأَحْـيـا من مُـخَبَّـأَةٍ حَيَـاءً وأجـرأُ من أبي شِبْلٍ هِـزَبْـرِ
هَريتِ الشِّدْق ريبالٍ إذا مَا عـدَا لم تُنْهَ عَـدْوَته بـزجْـرِ
تَـدِينُ الجاذِيـاتُ له إذا مَـا سمعنَ زئيـرهُ في كُلِّ فَجْـرِ
فإمّا يُمْس في جَدَثٍ ضَريحٍ بـمُغَبـرٍ مـن الأرواح قـفْـرِ
فقد يغْصَوصِبُ الجَـادُون مِنْه بـأَروَعَ ماجِـدِ الأعـراقِ غَمْـرِ
إذا ما الضَّيفُ حَلَّ على ذَراهُ تلَّقـاهُ بـوَجْـهٍ غيـر بَسْـرِ
ندىً صافٍ يَبينُ العِتْقُ فيـه يُبَيِّنْ قُبْـلَ مَقْـدَعـةٍ ونُكْـرِ
تُفَـرَّجُ بالنَّـدى الأبـوابُ عنهُ ولا يـكْتَـنُ دُونَـهُـمْ بسِتْـرِ
دَهَاني الحادثـاتُ بهِ فـأمْسَتْ عَلَيَّ هُمُـومُها تَغْـدُو وتَسْـري

وقد أخلّ بها المجموع الشعري :

والسؤال بعد هذا هو كيف يتسنى لأخي الدكتور يوسف أن يعتمد على كتاب جمهرة النسب في مقطوعتين وتفوته المقطعات الأخرى :

في القطعة الثانية عشرة :

اعتمد أخي الدكتور يوسف على جمهرة نسب قريش وأخبارها ٢٧٩ - ٢٨١ .

كتاب نسب قريش الذي وردت فيه الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ .

والتعازي والمراثي حيث وردت فيه الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١٣ - ١٦ .

وهذا يعني ان أكمل نص مذكور في جمهرة نسب قريش . ولكن عندما ثبت النص لم يعتمد جمهرة نسب قريش وإنما وضعت الأبيات واختيرت النصوص دون قاعدة والدليل على ذلك . ان رواية البيت الثاني في جمهرة نسب قريش وردت على الوجه التالي :

زعمت انها هلاكي مع المال . . .

وثبت المحقق الكريم : زعمت أنها ملاكي . . .

ورواية الجمهرة أدق وأوفق .

وكذلك الأمر في الأبيات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ وكان المفروض أن تثبت رواية الجمهرة وتثبت الاختلافات بالنسبة لبقية المصادر لاعتبارين الأول قدم النص والثاني : وجودة مكتملاً وهما سببان موجبان كذلك وان معظم الاختلافات التي تثبت في بقية المصادر (عدا الجمهرة) كانت أضعف وأبعد عن الدقة .

التخريج

يلتزم المحققون بجملة قواعد تعينهم على متابعة الابيات وتكشف لهم عن التصحيف والتحريف الذي يعتري النصوص وتساعدهم على تخريج بعض الوجوه في التفسير وأمور أخرى تعطي النص حقه وتوفر له من المستلزمات ما تجعله أكثر وضوحاً . ومن أجل استكمال هذه المتابعة فقد اهتدى بعض المحققين إلى وضع ضوابط نافعة يمكن اعتمادها في أصول تثبيت النص وطريقة التخريج فكان الأولى أن يعتمد النص الكامل الذي يرد في المصادر أصلاً لأن هذا النص بصورته الكاملة يضيء الجوانب الأخرى للمصادر التي تستعين ببعض أبيات النص على الرغم من تأخر هذا المصدر فالنص الكامل الذي يذكره صاحب الخزانة يعتمد قبل النص المجتزأ الذي يرد في الشعر والشعراء على الرغم من تأخر الأول وتقدم الثاني لأن صاحب الخزانة يعتمد على ديوان كان بين يديه كما يذكر

في مصادره . فروايته أوثق ونصه أوفى وأكمل . . وهكذا أصبحت هذه القاعدة أساساً في التثبيت . ثم بدأ باعتماد المصادر الأخرى التي تتوالى على ذكر بقيته على وفق تسلسل رقمي معروف عند المحققين وفي ضوء هذه القاعدة تثبت مصادر التخريج على وفق تسلسل زمني يعطي العصر أهميته ويوضح الاختلاف ويحدد التاريخ الذي بدأ الاختلاف يداخل النص . وقد أصبحت هذه القواعد أصولاً عند طلبة الدراسات العليا ومن وطّن نفسه للعمل في هذا الميدان التراثي . ولم أجد أخي الدكتور يوسف قد سلك واحداً من هذه المسالك وهو يترك النصوص وتخريجاتها كما تأتي وقد أدّى هذا الاختلاط إلى عدم وجود قاعدة معتمدة في تسلسل ترتيب المصادر .

استدراك مصادر التخريج

حاولت أن أشير إلى مصدر واحد فقط وهو أقرب إلى كل المصادر لما يمكن أن يحتنجه من أبيات شعرية وهو كتاب المنازل والديار فقد وردت فيه الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٩ ، ١٠ من القطعة (٢) في الصفحة ٣٥ . وفي رواية الأبيات اختلاف يمكن أن يصحح ما ورد في الأبيات المعتمدة ، ولعل رواية البيت التاسع وحده تكفي لهذا التصحيح . فقد وردت رواية هذا البيت في الديوان . .

صاح أبصرت أو سمعت براع ردّ في الضرع ماقرى في العلاب

ورواية المنازل :

. . . . . . ردّ في الضرع ما مرى ، وهي أصوب .

أورد البحتري في حماسته ثماني قطعات نسبت ست منها إلى اسماعيل بن بشار واثنتان منهما نسبتا إلى اسماعيل بن بشار الكناني واعتمد المحقق على اجتهاد الأب لويس شيخو الذي اعتقد ان بشارا تصحيف ليسار فنسب القطع إلى اسماعيل بن يسار ، وجريا على هذه القاعدة ألْحَقَ

المقطعتين اللتين وردتا في الحماسة والمنسوبتين إلى اسماعيل بن بشار الكناني إلى اسماعيل بن يسار . وفي هذه النسبة خطورة كبيرة لم يحاول أخي الدكتور أن يؤكدها أو يشير اليها في الدراسة أو يهتدي إلى بيت واحد ورد في هذه المقطعات منسوبا في أي مصدر إلى اسماعيل بن يسار . وكنت آمل أن يقف أخي الدكتور يوسف عندها وقفة المتأمل لدراستها دراسة تحليلية ومقارنة مفرداتها وصياغتها ودلالة معانيها وتراكيب جملها لعله يهتدي إلى ما يجد فيه وجها للمقارنة ليضع دليلا واحداً على الأقل بين أيدينا لنقتنع بهذه النسبة التي هي أقرب إلى الحدس منها إلى الحقيقة .

وإذا تجاوزت هذه المسألة فإن المحقق الكريم حاول أن يجمع بيتين ورداً متفرقين احدهما في الباب الثامن والثلاثين (فيما قيل في كراهة ودّ الملول) والآخر ورد في الباب الخامس والثلاثين والمائة (فيما قيل في الرخاء بعد الشدة) في مقطعة واحدة . وقال كان البيتان متفرقين في حماسة البحتري ، الأول ص ٧ والآخر ص ٢٢٥ ، والمعروف ان قواعد التحقيق لا تبيح مثل هذا الجمع لعدم وجودهما في نص وإنما يمكن اعطاؤهما أرقاماً متتالية . ويشار في الهامش إلى أن البيتين وردا متفرقين ويبدو أنهما من قصيدة واحدة لتشابههما في البحر والغرض والسياق ، ويؤكد على انهما ثبتا على هذه الهيئة التزاماً بالأمانة العلمية .

وكذلك صنع في القطعة الرابعة عشرة وذكر في الهامش انها متفرقة في حماسة البحتري والقطعة الثامنة عشرة ، وذكر في الهامش انها كانت متفرقة فجمعها . . وما يقال في القطعة الأولى يقال في هذه القطع . .

وربما ساور أخي الدكتور يوسف الشك في النسب فقال في القطعة الأولى قال في ترك المراد وفي التاسعة قال اسماعيل وفي الرابعة عشرة قال في من يريد له الخير ويريد لك الشر . والواقع ان الأبيات التي وردت تحت هذا الباب هي ثلاثة والأبيات العشرة وردت في الباب الحادي والخمسين

والمائة (فيما قيل في الندامة على شتم العشيرة ومجازاتها بالسوء وترك العفو عنها) والفرق بين البابين كبير . . ولو فصل بينهما وأشار إلى رأيه بأنهما من قطعة واحدة كان أكثر أمانة وأوثق رواية وأحكم من حيث أصول التحقيق .
وكذلك القطعة الثامنة عشرة التي جمعت بين قطعتين وردتا تحت بابين إلا أن أخي الدكتور يوسف قال : قال في تقلب الدهر ، والواقع ان إحدى القطعتين وردت تحت الباب الرابع والثمانين (فيما قيل في انجاز الوعد وترك المطل) .

إن هذه الملاحظات التي آثرت تقديمها إلى أخي الدكتور يوسف بكار حملني عليها تقديري لجهوده في ميادين الأدب واعتزازي بما يقدم عليه في ميادين التحقيق وجمع الشعر . .

والله نسأل التوفيق والهداية .

والســلام .

نحو معجم للخيل والخيالة *

للدكتور سلمان قطاية
باريس

جلّ من لا يخطىء ، وما أجمل أن يعترف الأنسان بخطئه . واستدراكا لما جاء في المقالة المذكورة أعلاه ، وبعد التفكير ، والاستشارة (وشاورهم في الأمر) ، والسؤال (وفوق كلّ ذي علم عليم) ، وجدت أنّ من الأفضل والأنسب أن تكون المصطلحات التالية كما يلي :

خائل (وج : خيل وخيول) هو اسم الجنس ، أي جنس الحيوان من وحيدات الظفر التي يركبها الانسان منذ أقدم العصور ، والدّهور .

حصان (ج : أحصنه) : الحيوان المعروف .
فحل : الحصان (أي الذكر) المكرّس للسفاد (وبالعاميّة : حصان تَشْبِيَةٍ)
فرس : أنثى الحصان ، ونكرّسها للأنثى جرياً على السنّة المحمّدية .
جِجْر : الفرس المكرّسة للإنجاب .
خيّال : (ج : خيّالة) من يركب الحصان ، ويزاول رياضة الفراسة .

* نشرت المقالة في العدد (٣٥) من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، ص ٢٠١ .

فارس : (ج : فوارس) : المحارب القديم .

وهكذا ، نحصل على الجدول التالي ، بعد الترجمة الى ثلاث لغات أوروبيّة

عربيّة	فرنسيّة	انجليزيّة	ألمانيّة
خائل :	Eqqus	Eqqus	Eqqus
حصان :	Cheval	Horse	Pferd
فحل :	Etalon	Stallion	Beschäder
فرس :	Jument	Mare	Stut
حجر :	Poulinière	Brood-Mare	Zuchstut
خصيّ :	Hongre	Gelding	Wallach

وأنتهز الفرصة لأتمّ بعض المصطلحات الأخرى ، ولأنشر قائمة بخلق الفرس .

عربيّة	فرنسيّة	أنجليزيّة	ألمانية
بيطرة	Art Vétérinaire		
بيطرة خيّلية	Art Vétérinaire équin		
زردقة :			
بيطار :	Maréchal-Ferrant	Farrier	Beschlagschmied
بيطريّ خيليّ :	Vétérinaire Equin		
وصف الفرس ، أو خلق الفرس :	Hippologie	Hippololgy	
عربي ، أصيل ،	Pur Sang Arabe	Pur-Bred Arab	Vollblut
حرّ ، عتيق :		Arabian	Arab Pferd
برذون ، رمكة ، كديش :	Guédish		
حصان شرقي :	Cheval Oriental	Oriental Horse	Orientalische Pferd
حصان محلّي هجين :	Cheval Indigéne Amélioné	Inproved Native Horse	Veredelte Ländische
نقيّ الدّم :	Pure-Sang	Thoroubred	
نصفيّ الدّم :	Demi-Sang	Half- Bred	Halbblut
حصان غربي :	Cheval Occidental,	Western Horse	Abend ländische Pferd
حصان جرّ :	Cheval de Trait	Cart- Horse	Schritt Pferd
حصان فراسة :	Cheval de Selle	Saddle- Horse	Reitpferd
أب :	Sire, Le Pére	Sire	Varer tier

وأجدني مضطرّاً لشرح معاني هذه الكلمات :

فالبرذون : هو الحصان غير العربي ، وكان العرب يطلقونه على الخيول التي جاءت الى بلادهم مع الأقوام الغازية من الشرق ، فهي أذن الخيول التركمانيّة .

الحصان الشرقيّ : مصطلح استعمله الغربيون ، عندما عادوا بعد الحروب الصليبية ببعض الخيول العربية التي أسموها شرقيّة ، ولربّما كانت تركمانية أيضاً أو خليطاً من الأثنين .

الحصان الغربي : هي الخيول التي كانت بحوزة الغربيين عندما جاؤوا في الحروب الصليبية أو بعدها .

الحصان المحلّي الهجين : عمليّاً كلّ خيول العالم التي دخلها دم عربي أو غير عربي وهو نادر .

نقيّ الدمّ : هو الحصان الذي يُحصل عليه بمزاوجة عدد من الخيول بعضها مع بعض ، ثمّ تربّى بشكل تحتفظ بالصفات نفسها ، وكان أوّل من قام بهذه المحاولة بنجاح كبير الانجليز فحصلوا على حصانهم الشهير . لذا فإنّ هذا المصطلح يدلّ على الحصان الانجليزيّ ، وللدلالة على أنّه حصان عربي يجب إضافة كلمة العربي . والحقيقة أنّ الحصان النقيّ الدمّ فعلاً هو العربي .

نصفّي الدم : هو الحصان الذي ٥٠٪ من دمه من نوع والنصف الأخر من نوع آخر . كالانجليزيّ ـ العربي مثلا .

حصان الجرّ : هي الخيول الأوروبية قبل أن يتعرّف عليها الغربيون ، وهي تدعى أيضاً الثقيلة لأنّ الوزن الأدنى لها لا يقلّ عن ٦٠٠ كغم . ولها أعراق كثيرة جدّاً ، أشهرها وأجملها : البيرشيرون الأبيض اللون الكثيف والطويل الثنّة ، وهو الذي يجرّ عربة ملكة إنكلترا .

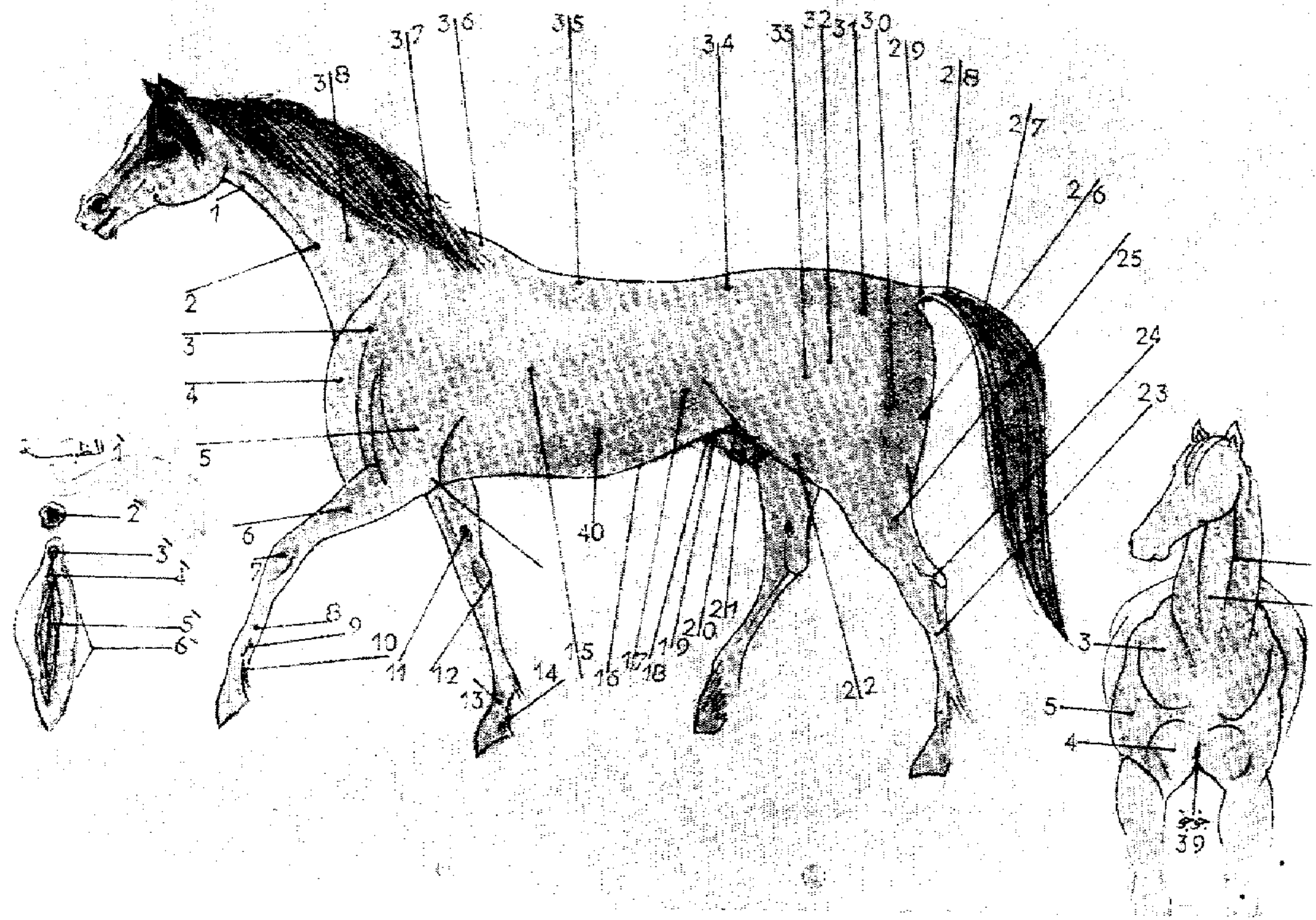
حصان فراسة : هو الحصان المكرّس للفراسة والرياضة . ومن أنواعه المستحدثة بخلط دم عدّة أعراق من الخيل ، حصان الفراسة الفرنسيّ .

أبّ : يطلق على الفحل المكرّس للسفاد والمشهور بأحفاده المسجّلة كلّها في سجلّات أنساب الخيل ويطلق على كلّ الفحول من كلّ الأعراق .

أمّا الزردقة : فهو العلم بتربية الحيوانات والنباتات ، ولا مقابل لهذه الكلمة في اللغات الأخرى .

Francais	English	Deutsh	عربيـة*
1- Gorge	Throat	Die Kehle	مذبح ، منحر
2- Gouttière de la Jugulaire	Jugular Groove		أخدع ، ميزابة الوداجيّ
3- Epaule	Shoulder	Die Schulter	كتف
4- Masse des Pectoraux Chest	Chest	Die Brust	فهدة
5- Bras	Arm	Der Oberarm	عضد
6- Avant-bras	Forarm	Das Röhrbein	ساعد
7- Genou	Knee	Das Voeder Füss Wurzel gelenk	ركبة
8- Boulet	Fetlock	Die Fessel	وظيف
9- Tendon	Tendon	Die Sehne	وتر
10- Fanon	Father, Hairy heel	Der Kötenbehang	ثنّة
11- Chataigne	Chestnut, Castor	Die Kastanie	كستنا ، وسمة
12- Plie du Genou			ثنية الركبة
13- Paturon	Pastern	Die Fessel	رسغ
14- Pied, Sabot	Foot, hoof	Der fuss, Der Huf	قدم ، حافر
15- Côtes	Ribs	Der Rippen	ضلع
16- Abdomen, Ventre	Belly	Der Bauch	بطن

* انظر صورة الحصان المرفقة



Francais	English	Deutsh	عربـــية
17- Flanc	Flank	Die Flanke	خاصرة
18- Urethère	Urethra	Der Urethra	احليل
19- Pénis, Verge	Penis	Die Schlauch	جردان
20- Fourreau	Sheath	Das Geschlechts Organ	قنب
21- Scrotum, Bourses Scrotum	Scrotum	Der Hodensack	صفن
22- Grasset	Stifle	Das Knie	ثفنة
23- Jarret	Hock	Das Sprunggelenk	عرقوب ، شظيّة
24- Tendon du Jarret	Hock's tendon	Die Sprungglenks sehne	وتر العرقوب
25- Cuisse	Thigh	Der Oberschenkel	فخـــذ
26- Fesse	Buttock	Die Hinterbarcke	الـــية
27- Queue	Tail	Der Schweif	ذيل ، ذنب
28- Coccyx	Coccyx	Die Schweifwuzil	عصعص
29- Racine de la Queue	Tail's racin	Die Schweifrühe	عسيب
30- Croupe	Croup	Die Kruppe	كـــفل
31- Ilion	Ilium	Der Hufthocker	عـــجز
32- Ischion	Ischia		ورك
33- Lombes, Reins	Loins	Die Lende, Die Niere	قـطاة
34- Siège, Dos	Back	Der Rüken	صهوة ، ظهر
35- Garrot	Withers	Der Widerrist	غارب ، كاهل ،
36- Crinière	Mane	Die Mähne	عـــرف
37- Encolure	Neck	Der Hals	عـــنق
38- Interars			جـؤجـؤ
39- Région de la Veine de l'Eperon			مركل ، محزم ، منقب

Francais	English	Deutsh	عربــية
1- Organe Féminin Vulve	SexuelUdder, Vulva	Die Scheide	ظبية ، فرج
2- Anus	Anus	Der After	شرج
3- Commissure	Commisur		ملتقى
4- Clitoris	Clitoris	Clitoris	خاتم ، بظر
5- Vagin	Vagina	Die Scheide	مهبل

رابعًا: أخبار مجمعيّة

آ ـ رسائل شكر وتقدير للمجمع

١ ـ رسالة من سيادة الشريف زيد بن شاكر رئيس مجلس الوزراء .

تلقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع رسالة من سيادة الشريف زيد بن شاكر رئيس مجلس الوزراء ، يشيد فيها سيادته بالجهود القيمة التي يبذلها رئيس المجمع وأعضاؤه في خدمة اللغة العربية ورفع مكانتها واعلاء شأنها في مجالات التدريس والبحوث العلمية :

وفيما يلي نصّ الرسالة :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

سعادة الأخ الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

تلقيت بالشكر والتقدير كتابكم رقم ٦٩٥/٥/٨ تاريخ ١٩٨٩/٦/٢٧ ومرفقه المنشورات الحديثة التي صدرت عن مجمعكم الكريم ، وهي أعداد مجلة المجمع أرقام (٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥) بالاضافة الى كتاب الموسم الثقافي السادس والتقرير السنوي لعام ١٩٨٨م .

وانه ليسعدني أن أشيد بجهودكم القيمة التي تبذلونها والسادة أعضاء المجمع في خدمة لغتنا العربية ورفع مكانتها واعلاء شأنها في مجالات التدريس والبحوث العلمية ، وفقكم الله وسدد خطاكم .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي

أخوكم

الشريف زيد بن شاكر

رئيس الوزراء

٢ - رسالة دولة رئيس مجلس الأعيان .

تلقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع رسالة من دولة السيد أحمد اللوزي رئيس مجلس الأعيان تضمنت شكر دولته رئيس وأعضاء المجمع ، وتقديره لما يصدره المجمع من منشورات ثقافية وعلمية ، ودعوته الى مضاعفة الجهود من أجل مناصرة المجمع في عمله الدائب لخدمة اللغة العربية .

وفيما يلي نص الرسالة :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

عطوفة الأخ الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة الأكرم

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

تحية مباركة طيبة وبعد ،،

فقد تسلمت بكل تقدير وشكر وسرور هديتكم القيمة مما صدر من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني .

وهذا العطاء الخير منكم ومن المجمع لهو جهد مبرور يضاعف من مسؤوليتنا تجاه مناصرة المجمع وتعزيز مكانة لغتنا العربية وما تمثله في حياة أمتنا من أساس مكين للنهوض والتقدم في مختلف ميادين العلم والعمل والحضارة .

أشكركم على هديتكم هذه ثانية ، متمنياً لكم مزيداً من العطاء ، ومع أطيب تمنياتي لكم بالتوفيق وموصول النجاح .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

رئيس مجلس الأعيان

أحمد اللوزي

ب ـ من أخبار أعضاء المجمع

١ ـ رئيس المجمع عضو شرف في اتحاد الكتاب الأردنيين .

قام وفد يمثل اتحاد الكتاب الاردنيين يضم كلاً من : السيد ضياء الدين الرفاعي والدكتور سمير قطامي نائب رئيس الاتحاد ، والسيد هاني خير ، والدكتور علي الشوملي والسيد سليمان المشيني . بزيارة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع في مكتبه بالمجمع وقدم له شهادة عضوية الشرف في اتحاد الكتاب ، تقديراً من اتحاد الكتاب لجهود الأستاذ الرئيس في خدمة اللغة العربية والاعتزاز بها في كلّ المواقع العملية والمناصب الادارية التي شغلها . وقد أثنى الأستاذ الرئيس على جهود اتحاد الكتاب في خدمة الثقافة والأدب ، ورعاية الأقلام الواعدة ، وفتح المجالات الواسعة أمام ذوي الكفايات والمواهب للابتكار والابداع .

٢ ـ تعيين نائب رئيس المجمع رئيساً للجامعة الأردنية .

بتاريخ ١٠/٧/١٩٨٩م صدرت الارادة الملكية السامية بتعيين الأستاذ الدكتور محمود السمرة نائب رئيس المجمع ، رئيساً للجامعة الأردنية .

٣ ـ أعضاء من المجمع في مجلس الأعيان :

صدرت الارادة الملكية السامية بتعيين الأستاذ الدكتور اسحق أحمد فرحان ، والأستاذ الدكتور سعيد التل ، عضويْ مجلس المجمع والمكتب التنفيذي ، عضوين في مجلس الأعيان الأردني .

٤ ـ فاز الدكتور عبد اللطيف عربيات عضو المجمع بعضوية مجلس النواب الأردني عن محافظة البلقاء في الانتخابات التي جرت يوم ٨/١١/١٩٨٩م ، وكان الدكتور عبد اللطيف عربيات يشغل منصب

الأمين العام للمجمع قبل أن يقدم استقالته في ١٩٨٩/١٠/١م من أجل خوض المعركة الانتخابية .

٥ ـ أعضاء من المجمع يفوزون بجوائز الدولة التقديرية .

أنعم صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم على الأستاذ روكس العزيزي والأستاذ حسني فريز عضويْ المجمع بجائزة الدولة التقديرية للأدب . كما أنعم على الأستاذ الدكتور عبد الكريم غرايبة عضو المجمع بجائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية .

٦ ـ اتخذ المكتب التنفيذي في جلسته بتاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٥ قرارا بتعيين الدكتور عبد الحميد الفلاح ، أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية الأردني ابتداء من تاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٥ ، وقد رفع هذا القرار الى وزير التعليم العالي الذي وافق عليه بموجب كتابه رقم ٢٦٥١٩/١/٢ تاريخ ١٩٨٩/١١/٢م .

جـ ـ مشاركة المجمع في المؤتمرات والندوات

١ ـ شارك الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس المجمع في اجتماع لجنة الاشراف العلمي على اعداد المعجم العربي الحديث ، الذي عقد في الكويت بتاريخ ١٩٨٩/١١/١١م .

٢ ـ شارك الأستاذ رئيس المجمع في الحفل الذي أقامه اتحاد الكتاب الأردني يوم الاثنين ١٩٨٩/١١/١٠ ، لتكريم الأستاذ روكس العزيزي ضمن الخطة الثقافية التي ينتهجها الاتحاد في تكريم رجالات الرعيل الأول من أهل الثقافة والعلم والأدب ، وقد ألقى الأستاذ رئيس المجمع كلمة تحدث فيها عن مكانة الأستاذ روكس العزيزي الأدبية ، ومؤلفاته العديدة .

٣ ـ أقام مجمع اللغة العربية الأردني بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٦ ، في قاعة الاجتماعات بالمجمع ، حفل استقبال للدكتور خيسوس ريو ساليدو ، المستشرق الاسباني ، عضو الشرف في المجمع وسفير اسبانيا في دمشق وفي بداية الحفل ألقى الأستاذ عبد الكريم خليفة ، رئيس المجمع كلمة رحب فيها بالضيف ، وتحدث عن أعماله الأدبية وخدماته للغة العربية . ثم القى الأستاذ الضيف كلمة وصفها بأنها مقالة التحاق بمجمع اللغة العربية الأردني وكان عنوانها «عيسى الناعوري أو ثلاثة أساليب للترجمة» . وقد تحدث في محاضرته هذه من أعمال الأستاذ عيسى الناعوري الأدبية .

٤ ـ عقدت في الرباط عاصمة المملكة المغربية في الفترة بين ١٠ ـ ١٣ تشرين الأول ١٩٨٩ الدورة السابعة لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي ، وقد اتخذت من «مكانة اللغة العربية في الثقافة العربية الاسلامية» عنوانا لها ومحوراً لبحوثها وأعمالها . وكان الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع قد تلقى دعوة من الدكتور صالح الخرفي مدير ادارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لحضور هذه الدورة والاسهام في أعمالها ، إلا أن ظروفاً طارئة حالت دون تلبية الدعوة . وفي ختام هذا المؤتمر صدر بيان الرباط الذي ألح على أهمية اللغة العربية كآصرة تربط بين الثقافات والشعوب العربية ، وَكَشَفَ البيانُ ما تتعرض له اللغة العربية من محاولات التضييق والهيمنة ، كما أكد المؤتمر على ما تكتسبه قضية التعريب من أهمية جوهرية في عملية البناء الحضاري ، وفيما يلي مقتطفات من ذلك البيان :

بسم الله الرحمن الرحيم

يلتئم المؤتمر السابع للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي بالرباط ، ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين ، وفي زمن تميز بتطور سريع في وجوه الحياة كافة ، وبخاصة في مجالات المعارف والعلوم والتقنيات . كما اتسم بالصراع بين ثقافات مهيمنة كسبت لنفسها مواقع مع حركة المد الاستعماري على حساب ثقافات اخرى ، منها ثقافتنا العربية . ولم تزل هذه الثقافات المهيمنة تخطط بعد تقلص الاحتلال العسكري والاستعمار السياسي لترسيخ مواقعها بأساليب جديدة ، وتطرح نفسها على أنها النموذج الأفضل لبناء التقدم ، وصياغة مستقبل الانسان ، وليس الوطن العربي ، ولا الثقافة العربية بمنأى عن هذا الصراع ، ولا في مأمن من نتائجه .

ان اتخاذ هذا المؤتمر قضية «مكانة اللغة العربية في الثقافة العربية الاسلامية والثقافات العالمية الأخرى» موضوعاً رئيسياً له ، منطلق من وعي صادق بأهمية اللغة في ثقافتنا القومية وما تتعرض له من اخطار تتمثل في هجمات الهيمنة ومحاولات التهميش والاستلاب والتوسع في استعمال العامية وخاصة في وسائل الاعلام المختلفة .

ان الوعي العميق باهمية الموضوع وخطره وانعكاساته على مستقبل الثقافة العربية وتحديد موقعها في حلبة الصراع بين الثقافات هو الدافع الى أن يُعنى هذا البيان الصادر عن المؤتمر بالتركيز على القضية اللغوية مستنهضاً جميع الخبرات والكفاءات واصحاب القرار لمضاعفة جهودهم في خدمة اللغة القومية ، ووضعها في المكانة اللائقة بها في حركة التطور والتقدم على المستويين القومي والانساني ، وتمهيد السبل امامها حتى تستعيد الثقافة العربية رسالتها الرائدة وتؤدي دورها المأمول على المستوى الانساني .

ولئن كانت العناية بتراثنا وكنوزه وخدمته واحيائه بالاعتماد على احدث المناهج والوسائل العلمية والتقنية المعاصرة تمثل هدفاً جوهرياً من اهدافنا

القومية ، فإن ذلك لا ينبغي ان يشغلنا عن الاهتمام بالاستعمال المعاصر للغتنا القومية ، لذلك تظل قضية التعريب قضية جوهرية مصيرية تقتضي القرار الحاسم والتخطيط المحكم والانجاز العاجل .

ان الاعتماد على لغات اجنبية في نقل المعرفة العلمية لناشئتنا ، وتدريس العلوم والتقنيات في الجامعات العربية بلغة اجنبية ، يعني عزل اللغة القومية والثقافة العربية عن كل مضمون علمي ، خاصة وان التجارب قد اكدت ان لا سبيل الى تحقيق تقدم جدي في شتى مجالات المعرفة خارج اللغة القومية .

ان اعتماد اللغة العربية في التعليم بجميع مراحله واختصاصاته ، وفي مختلف اجهزة العمل والادارة والاعلام وفي التأليف والابداع هو السبيل الأمثل لاستعادة اللغة القومية وظائفها الطبيعية ، وهو الشرط اللازم لاثراء الثقافة العربية ولممارسة حقنا المشروع في الاسهام الايجابي في الحضارة الانسانية ، وهذا يقتضي ان نبذل الجهود الفعالة لتبسيطها وتيسير استعمالها وحمايتها من التشويه ، والتسلل اللغوي للالفاظ والتعابير الاجنبية .

ان اللغة العربية مدعوة لاستيعاب المنجزات العلمية والتقنية الحديثة ومواكبة سرعتها في التطور المصطلحي تأكيداً لعلميتها وصلاحيتها في اطار المعاصرة الحضارية ، لذلك تظل الترجمة من مختلف اللغات الحية المعبرة عن مستجدات المعرفة الانسانية عملاً اساسياً من اعمال تنمية الثقافة العربية واغنائها .

ان تطوير لسان عربي علمي ، ليس شرطاً من شروط الوحدة الثقافية والتقدم العلمي وحسب ، ولكنه شرط لازم من شروط القوة والمنعة ، وسبيل الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

﴿ صدق الله العظيم ﴾

د ـ الموسم الثقافي الثامن

أقرت لجنة الندوات والمحاضرات في المجمع الترتيبات اللازمة لاقامة الموسم الثقافي الثامن لعام ١٩٩٠م وفيما يلي أهم القرارات المتعلقة بذلك :

١ ـ يعقد الموسم الثقافي الثامن للمجمع خلال الفترة الواقعة بين ١٢/٥ ـ ١٩٩٠/٦/٩م لمدة خمسة أسابيع بواقع محاضرة واحدة في الخامسة من مساء كلّ يوم سبت من كلّ أسبوع .

٢ ـ سيكون المحور الأساسي للموسم الثقافي الثامن هو «تعريب العلوم الهندسية والتقنية» .

٣ ـ يتضمن الموسم أربع محاضرات ، وندوة ، هي :

ـ التجربة السورية في العلوم الهندسية .

ـ تعريب المصطلحات الهندسية الواقع والمستقبل .

ـ دور الحاسوب في تعريب العلوم الهندسية .

ـ العلوم الهندسية في تراثنا العربي الاسلامي .

ـ وندوة بعنوان «لغة المهن الهندسية» .

وسيشارك في هذا الموسم الثقافي علماء أجلاء من سورية والعراق ومصر والأردن .

هـ ـ من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني

استمراراً لسياسة المجمع في تعريب التعليم العلمي الجامعي ، ورغبة منه في توفير الكتاب العلمي الذي يقدم الدليل الصادق على قدرة لغتنا العربية الشريفة على استيعاب العلوم وتقديمها للدارسين في الجامعات . فقد تم توقيع عقد بين المجمع وديوان المطبوعات الجامعية في وزارة التعليم العالي بالجزائر ، يقوم ديوان المطبوعات بموجبه بطباعة (٢٠٠٠) ألفي نسخة من

كتاب الجيولوجيا العامة ـ أحد منشورات المجمع العلمية ـ من أجل تدريسه في الجامعات الجزائرية .

و ـ المشاركة في المعارض

١ ـ شارك مجمع اللغة العربية الأردني في معرض الكتاب الذي أقيم ضمن مهرجان جرش لعام ١٩٨٩م ، وقد عرض المجمع في هذا المهرجان منشوراته العلمية والثقافية .

٢ ـ تلقى المجمع دعوة للمشاركة في المعرض الدولي الثاني للكتاب الذي سيقام في عمان في الفترة من ٢٠ شباط الى ١ آذار ١٩٩٠ . وقد رحب المجمع بالدعوة وقرر المشاركة في هذا المعرض بجناح خاص بكتب المجمع ومنشوراته العلمية والثقافية .

ز ـ مجمعيان راحلان

١ ـ الأستاذ عبد الله كنون

نعت أنباء المملكة المغربية الشقيقة الأستاذ الكبير أديب الفقهاء وفقيه الأدباء الشيخ عبد الله كنون عضو الشرف في مجمع اللغة العربية الأردني .

وقد بعث المجمع الى أسرة الفقيد وذويه ببرقية التعزية التالية :

الى السيدة الكريمة حرم الفقيد الأستاذ عبد الله كنون
السادة أنجال الفقيد وأخوته وعائلته حفظهم الله
القصبة رقم (٣٩) طنجة ـ المغرب .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فاني أرفع اليكم باسمي واسم أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني أحر تعازينا وصادق مشاركتنا وعظيم احساسنا بالمصاب الأليم ، والرزء الكبير بوفاة الأستاذ الجليل والعالم الأريب والفقيه الأديب المرحوم عبد الله كنون .

وقد كان لهذا النبأ الفاجع أعظم الأثر في نفوسنا ، وعزاؤنا جميعاً أن الأستاذ الفقيد قدم لنفسه بين يدي ربه من خدمة لغة القرآن الكريم والتراث العربي الاسلامي ما يخلد ذكره في الدنيا ويعلي درجته في الآخرة ؛ فنسأل الله عز وجل أن يحفظكم وأن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهمكم جميل الصبر وحسن العزاء وموصول الدعاء له .

وانا لله وانا إليه راجعون

من الدكتور عبد الكريم خليفة / رئيس مجمع اللغة العربية الأردني / عمان الأردن

كما بعث الى المجلس العلمي الأعلى بطنجة ببرقية التعزية التالية :

السادة أعضاء المجلس الاقليمي العلمي . .

حي القصبة رقم ٣٩ ـ طنجة ـ المغرب .

نعت الينا الصحف الأردنية الصادرة يوم الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة ١٤٠٩هـ الموافق للتاسع عشر من تموز ١٩٨٩م ، الأخَ الجليلَ المجاهدَ الأستاذ عبد الله كنون أحد أعلام الفكر والأدب في أعلامنا العرب . وقد آلمنا هذا النبأ الفاجع لما كان يتّصف به الأستاذ الفقيد من سمات نبيلة وأخلاق كريمة ، وعِلْم غزير ، وجهد دائب في خدمة اللغة العربية الشريفة والحضارة الاسلامية . فاليكم جميعاً باسمي واسم أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني أحر التعازي وصادق المشاركة في مصابنا الأليم ، داعين الله عز وجل أن يحفظكم وأن يتغمد الفقيد الجليل بواسع رحمته وان يسكنه فسيح جناته وانا لله وانا اليه راجعون .

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني / الدكتور عبد الكريم خليفة

٢ ـ الأديب الكبير والمربي الفاضل الأستاذ حسني فريز عضو الشرف بالمجمع

في صباح يوم الخميس ، الموافق ١٩٩٠/١/٤ فقد الاردن علماً من أعلامه البارزين في الأدب والثقافة ، ونعى مجمع اللغة العربية الاردني أحد كبار أعضائه ، عضو الشرف ، المربي الكبير والأديب المعروف ، الكاتب الشاعر الأستاذ حسني فريز ، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته .

ولد الأستاذ حسني فريز في مدينة السلط عام ١٩٠٧م وفيها أتم دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم أرسل في بعثة إلى الجامعة الأمريكية في بيروت للتخصص في التاريخ واللغة العربية .

بدأ حياته العملية عام ١٩٣٢ معلماً في مدن السلط وعمان والكرك حتى عام ١٩٤٤ حيث عين مديراً لثانوية السلط وفي عام ١٩٤٦ عين موجهاً تربوياً حتى عام ١٩٥٢ ، وبعدها مراقباً للاستيراد حتى عام ١٩٥٨ ثم صار مساعداً لوكيل وزارة التربية والتعليم من عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٢ ثم وكيلاً للوزارة نفسها حتى عام ١٩٦٣ ، وعمل بعدها مستشاراً أدبياً في وزارة الاعلام إلى سنة ١٩٦٤ .

وفي عام ١٩٧٨ منح الأستاذ حسني فريز عضوية الشرف في مجمع اللغة العربية الاردني ، فكان مثالاً للدأب والنشاط والحماسة لخدمة اللغة العربية وآدابها بخاصة والثقافة العربية بعامة .

وقد انتخب الأستاذ حسني فريز أول رئيس لاتحاد الكتاب والأدباء الاردنيين في مطلع عام ١٩٨٨ ، ويشاء الله عز وجل أن يختاره إلى جواره صباح اليوم الذي حدد لعقد اجتماع الهيئة العامة لاتحاد الكتاب والأدباء لانتخاب هيئة ادارية جديدة ، فكأنما سلّم الأمانة راضياً مطمئناً .

اشترك الأستاذ حسني فريز في عديد من المؤتمرات الأدبية بدأت منذ مؤتمر اليونسكو عام ٤٩ في بيروت ، وقد هيأت له هذه المؤتمرات زيارة بعض المدن العربية مثل بغداد والقاهرة والرباط ودمشق وغيرها .

ومن أعماله الأدبية في مجال الشعر ديوان هياكل الحب ، وديوان بلادي وفي مجال النثر له : قصص ونقدات (١٩٥٤) ومغامرات تائبة (١٩٦٥) وعروة وعفراء (١٩٦٩) وحب من الفيحاء (١٩٧٣) ومغامرات حمار (١٩٥٩) . وله أيضاً بعض الأعمال الأدبية المترجمة مثل كليوباترة (١٩٦٤) وطاغور (١٩٦٤) وأساطير اليونان (١٩٧٥) . وألف الفقيد ثلاثة كتب باللغة الانجليزية للمطالعة الاضافية في المدارس كما اشترك في كثير من الكتب المدرسية .

وهكذا كانت حياة الفقيد الكبير حافلة بالخير ، عامرة بالعطاء المستفيض طوال سِني عمره ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه الجزاء الأوفى لقاء ما قدمه بين يديه في خدمة الأدب العربيّ ، واللغة العربية الخالدة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

استدراك

وقع في ص (٤٦) من العدد (٣٦) من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني خطأ طباعيّ في اسم الدكتور رياض حسن الخوّام ، صاحب بحث (لدن ولدى بين الثنائية والثلاثية ، أحكامهما النحوية) إذ طبع الاسم (الخدّام) خطأ ، والصواب هو (الخوّام) .

كما أضيف إلى البحث نفسه خمسة من المراجع في نهاية ص ٩٩ وهي مراجع لبحث آخر .

الى الأخوة الكتّاب:

يرجى مراعاة ما يلي:

١ـ أن تقتصر البحوث على اللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي: العلمي والأدبي والفني، وشؤون التعريب، ومراجعة الكتب المحقّقة وما إليها، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله.

٢ ـ أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة، وحسن الترقيم، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر.

٣ ـ أن تتّسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادىء، الخالي من الانفعالات الحادّة التي قد تسيء الى المؤلّف أو الباحث.

٤ ـ أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية، وخاصة بالمجلّة.

رئيس التحرير

JOURNAL

Of The Jordan Academy Of Arabic

Nos. (37) VOl. XIII